

حسين قنديل

عبد ممتاز

الطبعة الثانية

مذكرات شاب مصري

يفضل الأتراك في لندن





تصديق أول كل شهر
رئيس التحرير: السيد أبو الناجح عيسى ١٩٧٦



دار المعارف بمصر



اهداءات ٢٠٠١

الدكتور / القطب محمد طبلية

القاهرة

حسان فتوري

مذكرات شاب مصري
يغسل الأطباق في لندن

الطبعة الثانية

اقرأ
٣٨٣
دار المعارف بمصر

(اقرأ ٣٨٣)

الناشر : دار المعارف بمصر - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج. م. ع.

□ الإهداء . . □

إليها . .

هذه الرحلة كلها . . بذكرياتها ومتاعبها وسهر الليالي
فيها . . بمطر لندن الذي شربناه فوق رؤوسنا ونحن
تائهان في شوارع لا نعرفها . . بوقوفنا على محطة
أوتوبيس رقم 81 . . وأروقة وممرات الفندق الذي
كنا نعمل فيه معا ، وطالما شهدتنا معاً ، وشهدت
علينا معاً . .

إليها . . وهي عارفة نفسها !

« حسين قلبرى »

مقدمة

إسمى

حسين

قدرى . . . عمرى ٣٩ سنة وشوية . . . أعمل صحفياً في مجلة « الإذاعة والتليفزيون » . . . طول عمرى أبحث عن المغامرة . . . عن الحديد . . . وراء الحديد ووراء المغامرة مستعد أن ألقى بنفسى إلى التهلكة . . . ولعل هذا هو السبب الأساسى وراء اشتغالى بالصحافة ، مع أنها أبعد ما تكون تماماً عن دراستى الأصلية . . . أحب أن أغوص فى أعماق الناس . . . أحب أن أنكش فى الموضوعات الغربية التى لم يطرقها أحد قبلى . . . الرحلات هوايتى . . . زرت أغلب دول العالم . . . التصوير
هذا ما قد يعرفه عني القراء الذين يتابعون رحلاتى التى أنشرها ، لكننى أريد منهم الآن أن ينسوا ذلك كله وهم يقرأون هذه الرحلة . . . ولنبدأ « نتعارف » من أول وحديد ، بالصورة التى سيرونى عليها طوال فصول هذه الرحلة . . .

إسمى « حسين قدرى » . . . سنفترض أن عمرى ٢٢ سنة : . . . وأنى طالب فى أى سنة فى أى كلية فى أى جامعة مصرية تعجبكم . . . سمعت فى الأعوام الأخيرة الماضية عن ومن « زملائي الطلبة » المصريين فى الجامعات ، الذين سافروا ليعملوا فى أوروبا خلال عطلة الصيف . . . كلامهم فتح أمام عيني عالماً غريباً مهولاً رائعاً ورياً . . . عالماً جميلاً مفروشاً بالزهور والفلوس والشقاوة والسياحة والهدوم الشيك والبولوثرات الـ « سان مايكل » والبنطلونات الآخر موضة والعملية الصعبة الإسترلينية التى عادوا بها معهم من أوروبا . : عالم منطلق متحرر مليء بصور البنات الأوروبيات الشقراوات ذوات العيون الزرق والشعر الذهبى السايح والإبتسامة

الدائمة ، اللاتي لا يخفن من ماما ولا يعملن أى حساب لبابا، ويستطعن أن يسهرن خارج البيت حتى الفجر، وأحيانا لا يعدن إلى البيت على الإطلاق.. باختصار : قررت أن أسافر إلى أوروبا لأعمل هناك هذا الصيف .. واخترت لندن بالذات لأن أغاب أصدقائى وزملائى كانوا فى لندن فى الأعوام السابقة وحكوا لى عنها الكثير ، حتى إننى أتصور من الآن أننى أعرف شوارعها وحواريها والأماكن « الإستراتيجية » فيها ، بالرغم من أننى لم أسافر من قبل إلى أبعد من الإسكندرية شمالا وبنى سويف جنوبا .. وتوكلت على الله وقررت أن أذهب مع زملائى لأعمل معهم فى لندن هذا الصيف ، وأعود لأحكى مثلهم عما حدث لى فى لندن . . سوف أحيا حياتهم وأقابل نفس ظروفهم ونفس مشاكلهم ، ونفس معاناتهم إذا لزم الأمر . .

اتفقنا ؟

إذن

سننسى تماما طوال فصول هذه الرحلة أننى « حسين قدرى الصبحى » ، وسأكون مجرد « حسين قدرى طالب الجامعة المصرى » الذاهب لبحث عن حظه ويعمل فى لندن فى إجازة الصيف . . شئ واحد أحب أن أوضحه قبل أن نبدأ معا هذه الرحلة : بعض الأسماء التى سوف يأتى ذكرها فى هذه الرحلة أسماء مستعارة ، أسماء غير حقيقية لأشخاص حقيقيين . . لكن لظروف خاصة أو لحساسيات خاصة أو « لأن ربنا أمر بالستر » ، فليس مهماً أن يعرف القارئ من هم أصحاب هذه الأسماء المستعارة . . ويكفى أن كل واحد منهم سوف يجد نفسه قطعاً فى هذه الرحلة ، وسوف يتعرف عليه الذين كانوا حوله أو إلى جانبه . .

« حسين قدرى »

(١)

□ القاهرة - لندن . .

سيراً على الأقدام !! □

لم
أصدق

أننى فى طريقى إلى تحقيق حلمى فعلاً إلا وأنا أضع شنطتى الـ « هاند باج » تحت مقعدى فى الطائرة ، ثم أربط الحزام حول وسطى ، وأقرأ الفاتحة ، والطائرة تدرج على ممر المطار بسرعة شديدة ، ثم ترفع مقدمتها لتترك عجلاتها أرض مطار القاهرة وتبدأ تشق « أجواز الفضاء » فى طريقها إلى : لندن . .

الرحلة سوف تستغرق ٥ ساعات فى الجو و ٤ ساعات فى مطارى أثينا وجنيف . . عندى وقت طويل لأستعرض - ولأستريح من - المعاناة التى لقيتها خلال الأسابيع الأخيرة . . من الجرى بين مكتب الجوازات فى الجامعة وإدارة الجوازات فى مجمع التحرير لاستخراج جواز سفر الطلبة المحدد بأربعة شهور الصيف فقط ، ثم ينتهى بعد ذلك تماماً ولا يعود صالحاً للإستعمال مرة أخرى . . وحضور محاضرة التوعية القومية اليتيمة التى تسبق الحصول على پاسپور وتأشيرة الخروج . . ثم الذهاب للبنك لاستبدال الـ ٣٠ جنيها العملة الصعبة المسموح بها لنا ، والوقوف فى طابور - أقصد طوابير - الحجز فى شركة الطيران . . ثم النوم على رصيف سفارة

إنجلترا ليلة بطولها حتى أستطيع أن أحجز دورى فى الصباح فى الطابور المهل للطلبة الراغبين جميعاً فى السفر إلى لندن للعمل فى الصيف . والكذب وادعاء البراءة والكبرياء المفتعلين أمام موظف السفارة الإنجليزى حتى أستطيع أن أقنعه بأننى ذاهب إلى لندن للسياحة والمشاهدة والفرجة فقط لاغير ، وأننى - والله العظيم ثلاثة - لن أعمل هناك حتى لو اتحايلوا على . . . لأفوز فى النهاية بتأشيرة اللخول إلى اللجنة التى إسمها لندن ، فى ختم صغير يقول فى كلمات إنجليزية صريحة وواضحة إنه : « غير مسموح لى بالعمل فى إنجلترا بأجر أو بدون أجر » ، وأن المدة التى سأقضيها فى لندن غايته أسبوعين ثلاثة وبالكثير شهر . . . وحتى بعد هذا الختم وهذه التأشيرة لن أستطيع أن أعتبر نفسى فى لندن فعلاً إلا بعد أن أدوس شوارعها بقدمى حقيقة ، فإن أمانى أن أمر بنفس الامتحان العسير مرة أخرى أمام موظف مكتب الهجرة فى مطار لندن ، فيما أن يقتنع بكلامى هو الآخر فيفتح لى الباب لأدخل لندن ، أو لسبب أو لآخر لا يجد كلامى مقنعاً فمن حقه وسلطاته فى هذه الحالة أن يعينى إلى مصر على نفس الطائرة التى جئت عليها - كما حدث مع كثيرين آخرين قبلى - دون أن أرى من لندن إلا مطارها فقط ! !

على أى حال ، ربنا يستر . .

كنا

مجموعة

واحدة مكونة من ١١ شاباً وفتاة مصريين : ٨ طلبة ، وطالبتين ، وأنا . . المفروض أننى أستاذ ، مدرس ، على رأس هؤلاء الطلبة العشرة المسافرين إلى لندن فى رحلة سياحية . . ده المفروض ، لكن الحقيقة أننى لم أتشرف بمعرفة أى واحد منهم من قبل ، إنما كان ذلك هو الترتيب المعمول حتى أستطيع أن أسافر على الطائرة بالتخفيض للسواح به للطلبة

والشباب تحت سن ٢٦ سنة . وللأساتذة والمدرسين في أى سن على شرط أن يكونوا على رأس مجموعة لا تقل عن ١٠ من الطلبة . وهكذا حدث . . .
عندى الوقت والفرصة الآن لكى أتأمل « تلامنتى » . . على المقعدين
المجاورين لى الفتاتان الوحيدتان فى المجموعة : « إسرائ » و « سامية » . .
« إسرائ » تلميذة فى الثانوية العامة تنتظر النتيجة ، ولا تعرف كلمة واحدة
من اللغة الإنجليزية - وهى رابحة لندن ، وعلشان تشتغل هناك !! -
لدرجة أنها حين احتاجت أن تشرب سألتنى أن أطلب من المضيفة أن
تحضر لها كوب ماء ! ! . . و « سامية » طالبة فى سنة أولى فى كلية
الآداب ، وحالها لا يزيد كثيراً عن حال زميلتها . .

٨ شعبان ينقسمون إلى « شلتين » : أربعة وأربعة . . أربعة منهم
أصدقاء أو زملاء فى كلية واحدة : تجارة أسبوط : « علاء » و « ممدوح »
و « على » ورابعهم « محيى » شقيق « علاء » الأصغر : تلميذ فى ثانوى
 . . والأربعة الآخرون : « عماد » طالب فى كلية طب عين شمس ،
و « فهمى » و « محمود » و « أبوزيد » طلبة فى كليات مختلفة . .

كان هؤلاء الطلبة العشرة هم « العينة » المفروض أن أسافر فى وسطهم
لكى أمر بنفس ظروفهم وأعيش تجربتهم كاملة ، حتى أكتبها بصدق
وبواقعية وبانفعال حقيقى . . وكانوا كأنهم قد اخترتهم على مزاجى فعلا . .
فيهم ابن النوات وابن ال . . مش ذوات . . فيهم المصقول اللميع المتوضب
إلى حد كبير ، وفيهم اللى لسه جاى من أعماق الصعيد فى « قفة » مغلقة
سوف تفتح لأول مرة فى لندن . . فيهم التريل الراسى الملىء بالذكاء
والحبث والدهاء . . وفيهم الذى تدلى فكه هلعاً وانبهاراً بمجرد أن رأى
شكل الطائرة من بعيد وهى لسه على أرض مطار القاهرة قبل أن نركبها ،
وكان فكه لا يزال مللى وفه مفتوحاً فاغراً حين تركته فى شوارع لندن
بد ١٢ يوماً من وصولنا . . وأتصور أنه لن يستطيع أن يعدل فكه بعد
ذلك أبداً . : تمثال حى للبلاهة والعبط . : قروى ساذج جاء إلى القاهرة

فشاهد تمثال رمسيس فأنحرف !! ! .. وكما يقال « الكتاب بيان من عنوانه » . فإنه كان الوحيد في المجموعة الذي أشرت سفارة لندن في القاهرة على جواز سفره بعبارة « زيارة قصيرة » ، وفهم موظف مكتب الهجرة في مطار لندن الرسالة ، فكاد أن يعيده من المطار ، لولا أنه — لأسباب سياحية قطعاً — أراد ألا يحرم السائحون في لندن من متعة مشاهدته ، فسمح له بدخول لندن لمدة أسبوع واحد ، فقط لاغير ! !

أخيراً ..

أستطيع

أن أطمئن الآن ، فأنا في هذه اللحظة أضع قدمي على أرض لندن نفسها .. مررنا جميعاً من موظف مكتب الهجرة المتجههم الوجه .. كل منا خرج بتأشيرة على جواز سفره تسمح له بالبقاء مدة معينة في لندن .. « ممدوح » حصل على أسبوع واحد .. باقى الشبان وأنا أخذنا شهراً واحداً .. « إسرائ » و « سامية » حصلت كل منهما على تأشيرة لمدة سنة كاملة .. « إسرائ » و « سامية » أحسن حالا منا جميعاً ، فإنهما قادمتان وفي جيب كل منهما تصريح عمل من وزارة العمل البريطانية يسمح لها بالعمل في إنجلترا .. استطاعتا الحصول على هذه التصاريح بواسطة أحد المكاتب الأهلية في القاهرة التى تقوم بتشغيل المصريين في لندن ، وتسلمتا عملهما فعلا في نفس الليلة .. أما نحن فيا عالم ، ماذا سوف تفعل لندن بنا وماذا سوف تفعل نحن مع لندن .. صحيح معنا — فى مقابل ٥٠ جنيه دفعها كل واحد منا — خطابات من نفس هذا المكتب إلى مكتب آخر فى لندن قيل إنه سوف يقوم بتشغيلنا فوراً ، لكنه سوف يفعل ذلك « دكاكىنى » سراً وبدون تصاريح عمل ، ولو قفشنا البوليس الإنجليزى فى أى لحظة ونحن نعمل بدون تصاريح فسيقوم بترحيلنا إلى مصر على الفور ، بعد توقيع العقوبات والغرامات التى ينص عليها القانون

الإنجليزى . . لكن أملنا كبير فى أن الله لن يضع البوليس الإنجليزى فى طريقنا ولا يضعنا فى طريق البوليس الإنجليزى فى مدة شهر الصيف الأربعة التى سوف تقضيها هنا . . وبأما غيرنا آلاف جاءوا إلى لندن واشتغلوا طول الصيف ورجعوا دون أن يكتشف البوليس الإنجليزى أمرهم . . على أى حال : هذه هى لذة المغامرة . .

وقادتنا

التعليمات

المطبوعة المعطاة لنا من هذا المكتب فى القاهرة إلى فندق من فنادق الدرجة العاشرة فى لندن يملكه باكستانى اسمه « محمد أكبر » ، لنبيت ليلتنا الأولى فى لندن فى غرفة فى بدروم تحت الأرض ، نمنأ فيها ثلاثة أشخاص ، ودفع كل منا جنيهين ونصف جنيه إسترلنى ، يعنى أكثر من أربعة جنيهات مصرية . . منه لله ! .

وفى الصباح لبسنا أشيك ما عندنا وذهبنا لنقابل الرجل الإنجليزى الذى نحمل خطابات إليه من المكتب الذى فى القاهرة ليقوم بتشغيلنا : مستر « برايان وورثنجتون » الرجل الذى سوف يفتح لنا أبواب اللجنة التى إسمها لندن . . لكن يبدو أننا « مش وش جنة » ، فإن مستر « وورثنجتون » بعد أن لطعنا فى انتظاره فى مكتب الإستعلامات ساعة ونصف لم يسمح لنا بعدها حتى بأن نصعد إليه لنقابله فى مكتبه ، إنما نزل هو ليقابلنا تحت فى الإستعلامات ، وهو منلهش ومستغرب جداً أننا نطلب مقابلته : ليس لديه أى فكرة عنا على الإطلاق ، وليست له أى صلة بتاتا — ده كلامه — بذلك المكتب فى القاهرة الذى بعث بنا إليه ، وأنه متأسف جداً لأنه لن يستطيع — بناء على ذلك — أن يفعل لنا شيئاً ! ! ، وقال أيضاً إنه أرسل أكثر من مرة إلى ذلك المكتب الذى فى القاهرة يطلب منه ألا يرسل إليه أحداً لأنه ليس مسئولاً عن تشغيل

هؤلاء الذين يرسلهم ! ! . فلما احتج « علاء » بأن كل واحد منا دفع
لذلك المكتب الذى فى القاهرة خمسين جنيهًا كاملاً مقابل تشغياله فى لندن
بواسطة « ماستر » وورثنجتون ، أبلى « ماستر » وورثنجتون « دهشته البالغة
وقال إن هذا الكلام خطير ومخالف للقانون الإنجليزى ، لأن تصاريح
العمل فى إنجلترا تستخرج مجاناً ولا يدفع طالبها ملياً واحداً ، ولا تتقاضى
الشركة التى يمثلها « ماستر » وورثنجتون عنها ولا مليماً . . « والى أخذ منكم
الخمسين جنيه فى مصر ضحكك عليكم .. وروحوا له مصر طالبوه بيهم . :
وعن إذنكم وبأى باى !! . . وتركنا « ماستر » وورثنجتون « وعاد إلى مكتبه
وعدنا نحن إلى الشارع بخفئى وورثنجتون ! !

يا بهار

إسود . .

وبعدين ؟ ! هو احنا فى اسكندرية علشان نأخذ الديزل المحرى
ونرجع القاهرة نطبق فى زمامة رقية ذلك الدكتور إياه مدير المكتب الذى
فى القاهرة ، الذى خلدنا وضحك علينا وأخذ فلوسنا ورمانا الرمية دى
وما شغلناش ؟ ! . . ده احنا فى لندن ، فى إنجلترا ، على بعد كذا ألف
ميل من مصر . . ماذا سوف تفعل الآن ؟ ! .

وتذكرت أن فى جيبي خطابين آخرين من ذلك « للمكتب الذى فى
القاهرة » إلى اثنين من مساعديه (!!) الموجودين فى لندن . . كان قد
أعطاهما لى فى آخر لحظة قبل السفر ، على أساس أن نلجأ إليهما إذا
واجهتنا أية عقبات . . فلما استفسرته — قلقاً — عن شكل « العقبات »
التي يتوقعها ، قال إن « ماستر » وورثنجتون « مثله فى لندن ، رجل يسافر
كثيراً إلى خارج إنجلترا بحكم عمله ، وإنه « يوم فى أسبانيا ، ويوم فى
سويسرا ، ويوم فى الفلبين ، بحثاً وراء المزيد من الأيدي العاملة ،
ويحتمل يوم ما توصلوا لندن يكون هو مسافر هنا والا هنا : . فعلى ما يرجع

تقدروا تتصلوا بفلان أو فلان دول : وهما يتصرفوا ويشغلوكم « ! ! :
 لكن مستر « وورثنجتون » لا هو مسافر هنا ولا هنا . . آهو هنا :
 وقابلنا هنا ، وطردها من هنا ، وقال لنا ماتجوش تاني هنا . . ومع ذلك ،
 خيلنا وراء « الدكتور » لغاية باب الدار . . حانحسرايه أكثر مما نحسرها
 فعلا ، و « آهويا طابت يا اتنين عور » ! ! .

ومن كشك التليفون في الشارع رفعنا سماعة التليفون واتصلنا بمساعده
 الأول : مستر « كامل دسوقي » . . وآهو مصري زينا ، وعلى الأقل حانعرف
 ناخذ وندي معاه ، وحاشوف لنا حل . . لكن الرد الذي جاء من مستر
 « كامل دسوقي » لم يختلف كثيراً عن رد مستر « وورثنجتون » :
 « وأنا مالي ومال الشغلالة دي ؟ . . هو أنا قاضي والا عندي وقت
 للحاجات دي ؟ . . هو أنا قادر أشغل نفسي لما حاشغلكم إنتم ؟ » . .
 « طيب يا سيدى كتر خبيرك ، متأسفين لإزعاجك » ! ! . أما « المساعد
 الثاني » مستر « محمد أحمد إبراهيم » فقد ربح نفسه وأخذها من قصيرها
 ورد علينا في التليفون ليقول إنه : « مش موجود . . دخل المستشفى يعمل
 عملية وما نعرفش حايخرج إمتى » ! ! .

صعنا

— من

الصياغة — والحمد لله : ماذا سوف نفعل الآن وقد سدت في
 وجوهنا كل السبل ؟ ! .

ونجلس جميعا على الرصيف في ميدان « راسل اسكوير » نحاول أن
 نبحث عن حل . . وبالرغم من أنني أنا شخصيا في داخل كنت مبعثراً
 تماماً وأعاني — بصدق — هلعاً مما يتظرنا الآن بعد أن فقدنا الأرض التي
 كنا نتصور أننا واقفين عليها . . أشعر تماماً بمشاعر « الطالب » المصري
 الذي وجد نفسه فجأة « صايغا » في بلد غريبة في أوروبا ، ونسيت تماماً

أننى صحفى ولست طالبا . : إلا أن المجموعة التى معى اتجهت أنظارهم جميعا إلى " ، على اعتبار أننى الكبير فيهم ، وصحفى ، ولندن ليست جديدة على " ، وعلى ذلك فيجب أن أتصرف أنا ! ! :

أنا ؟ ! أنا الذى أتصرف ؟ ! أتصرف إزاي ؟ ! أنا لاعمرى كنت « مخدم » ولا باعرف أشغل حد . . ثم ده احنا فى لندن . . يعنى لوفى مصر كان ممكن أعطيك كارت توصية تروح بيه لأى حد وانت وحظك . . لكن فى لندن ممكن أعمل ايه ؟ ! ، أشغلكم إزاي إذا كنت أنا نفسى جاي علشان أشتغل وأدينى زى زيكم آهه مش لاقى شغل ! ! :

ومع ذلك ، فلنبذل محاولة ، مش حانحسر حاجة . . رفعت سماعة التليفون مرة أخرى وطلبت « ليلي سليمان » : صديقة مصرية مقدمة برامج فى إذاعة القاهرة تعيش وتعمل فى لندن منذ ستين . . وقطعاً أصبحت عندها خبرة الآن بهذه الأشياء . . وجاءت « ليلي » وأخذتنا جميعا إلى مكتب « ماسكوت » : مكتب من مكاتب التشغيل أو التوظيف العديدة المنتشرة جداً فى لندن . . لكن مسر « ماسكوت » يعتذر لنا بأن لديه فى الوقت الحالى أسماء ٦٥ طالبا مصريا يريد أن يعثر لهم على وظائف ومش عارف ، لأنهم جميعا جاءوا متأخرين جداً عن بداية موسم الشغل . : فنحن الآن فى منتصف يوليو ، والمفروض أنه كلما وصل الطالب إلى لندن بدرى كانت فرصته فى العمل أكبر وأحسن . . ولكن أن تمتلىء لندن فجأة بعدة آلاف من الطلبة المصريين فى وقت واحد ، أغلبهم لا يتكلم - ليس فقط لا يجيد ، لكنه حتى لا ينطق - اللغة الإنجليزية . . إلى جانب عدة آلاف آخرين من الطلبة الأجانب من مختلف الجنسيات ومختلف الدول ، فيزيد العرض ويقل الطلب . . الطلبة كثيرين والأعمال والوظائف محدودة ، فيصبح الأولاد فى الشوارع . . وهنا لا تنفع الفهولة ولا الفتاكة المصرية . . علشان تلاقى فرصة عمل وتشتغل فى وسط هؤلاء الآلاف الموجودين فى لندن لأبد وأن تكون أحسن من غيرك : أحسن من غيرك

إزاي إذا كنت لا تعرف اللغة الإنجليزية ؟ وصاحب العمل يشغلك ليه إذا كنت إنت مش عارف تتكلم وياه هو شخصيًا ، وفي الوقت نفسه يبجد أمامه عشرات من الشبان من مختلف الجنسيات يتكلمون إلى جانب الإنجليزية عدة لغات أخرى ؟ ! .

ويعتذر

مستر

« ما سكوت » بأنه لن يستطيع أن يفعل شيئًا من أجلنا . . وتنصرف « ليلي » هي الأخرى لكي تلحق ميعاد شغلها ، لكن بعد أن تضع أيدينا على طرف الخيط : « مكاتب التشغيل » أو « وكالات التوظيف » : في كل شارع من شوارع لندن تجد العديد من هذه المكاتب أو « الوكالات » : محل عادي في مستوى الشارع له « قاترينة » زجاجية كل ما هو معروض فيها بطاقات وكشوف بالوظائف المعروضة ، والمفروض أن يستعرض طالب العمل هذه الوظائف المعروضة من خلال زجاج القاترينة ، فإذا وجد فيها شيئًا يناسبه تدخل المكتب أو الوكالة ليعرض خدماته . .

ودخنا دوحة الإبل في صحراء « كالاهاى » ونحن نلف شوارع لندن كلها على كعوب رجلينا نبحث عن عمل في هذه المكاتب أو الوكالات ، حتى تصورت أننا لو حسبنا المسافات التي مشيناها على أقدامنا لكانت قدر المسافة بين القاهرة ولندن ، سيراً على الأقدام ! ! . . وامتلات جيوبنا بعشرات من الكروت والبطاقات فيها عناوين مكاتب أخرى من هذا النوع . : وتدخل المكتب فتقابلك البنات الموظفات بابتسامة عريضة واسعة رائعة ، فتظن أن البنت قد طببت في غرامك وأصبحت صريخة هواك ، لكنها تعتذر لك بأنهم في الوقت الحالى ليس لديهم الوظيفة التي تناسب « إمكانياتك » ، وبقى فوت علينا وقت تانى و : « باى باى » طريقة رقيقة ناعمة وتلاقى نفسك في الشارع مرة أخرى ! :

إذا كنت « فتاة » فسوف تجد عملاً في لندن بعد نصف دقيقة من وصولك . . فالبنت في لندن — أى بنت ، من أى جنس وصنف ولون — عملة صعبة يتخاطفها الجميع ، لوجه العمل فقط فعلاً . . أما إذا كنت « ولداً » فينبغى أن يتوافر فيك شرط واحد على الأقل من هذه الشروط الثلاثة : إما أن يكون معك تصريح بالعمل في إنجلترا . . أو تكون من إحدى دول السوق الأوروبية المشتركة : فرنسا — هولندا — بلجيكا — لوكسمبورج — ألمانيا الغربية — إيطاليا — إيرلندا الجنوبية . . أو من إحدى دول الكومنولث : الهند — بنجلاديش — ميلان — استراليا — نيوزيلاندا — كندا — قبرص — جامايكا — مالطة — سنغافورة . . إلخ : . أما غير ذلك فمجرد وجودك في لندن للبحث عن عمل مخاطرة كبرى . . وكل وكالة من وكالات التوظيف دخلناها قيل لنا فيها إن لديهم ٣٠٠٠ طالب على الأقل يبحثون لهم عن وظائف ، ويطلبون منا أن نمر عليهم بعد ٣ أسابيع ! ! . .

بعد ٣ أسابيع حاتكون فلوسنا خلصت ، وحانق في « أوكسفورد ستريت » نشحت باللغة العربية بإذن الله ! ! .

□ علميوة . . يفرض شروطه على لندن ! □

ونحن

جالسون

على رصيف ميدان « راسل اسكوير » نتدبر أمورنا ، انضم إلينا شاب مصرى آخر جاء وحده بخطاب - أيضا - من ذلك « المكتب الذى فى القاهرة » (١١) . . ولم يكن حظه أسعد كثيراً من حظنا ، فقد طرده الخواجة « برايان وورثنجتون » شرطدة هو الآخر حتى دون أن يكلف نفسه عناء مقابلته . . . فجاء لينضم إلينا ويتلم المتعوس على مخايب الرجا ، وعيشة على أم الخير ! : « سيد » : موظف شاب مرموق فى هيئة التليفونات فى القاهرة ، سمع « الحوادث » التى يحكيها الطلبة المصريون الذين سافروا إلى أوروبا فى الأعوام الماضية ، ولأنه طموح وابن بلد و « فلهوى » فقد حصل على أجازته السنوية وجاء يغزو لندن هو الآخر . . وها نحن جميعا الآن نبدأ « غزو » لندن من على رصيف « راسل اسكوير » ! ! .

وأكتشف مع نهاية اليوم الأول لنا فى لندن أننى قد أنفقت عشرة جنيهات إسترلينية فى يوم واحد . . بين إقامة ومواصلات و « شبرقة » . . الفلوس الإنجليزى تتبخر من بين أصابعنا بسرعة البرق . . ولم يكن ممكناً وقد ضاعت آمالنا فى العمل السريع القورى الذى سنتسلمه « فى نفس يوم وصولنا » كما قيل لنا فى ذلك المكتب الذى فى القاهرة ! . . لم يكن ممكناً

أن نستمر في الإقامة في ذلك الفندق الباكستاني الذي يتقاضى من كل منا جنيهين ونصف جنيه إسترليني في الليلة الواحدة . . . وبدأنا جميعاً نشعر بخيبة الأمل والرعب الشديد من « الفلس » وما يمكن أن يحدث لنا بعد أن ينتهي المبلغ الإسترليني المتواضع جداً الذي خرج به كل منا من القاهرة : ٣٠ جنيهاً ، ضاع منها ١٠ جنيهات في ليلة واحدة ! . . . يعني علينا بعد ٣ أيام فقط ، أو يومين آخرين من الآن ، أن نحمل حقائبنا ونتجه بأسرع وسيلة موصلات ممكنة إلى مطار « هيثرو » لنعود إلى القاهرة في أول طائرة ، ونقابل شئنا الأهل وسخريه الأصدقاء أفضل وأكرم لنا ألف مرة من أن نقابل البهيلة واللمطة والمبيت على ذلك الـ « هايد بارك » والتعرض لظرف وأدب وحسن رعاية أمناء الشرطة الإنجليز ! . . . الشيء الوحيد الذي شعرت بالامتنان من أجله هو أن السفارة الإنجليزية بالقاهرة لم تكن تعطى تأشيرتها لأي طالب مصري إلا بعد أن تطمئن إلى أن معه تذكرة الطائرة إلى لندن ذهاباً وإياباً . . . أهم حاجة في الدنيا الآن هي حكاية « إياباً » هذه . . . تذكرة « الإياب » على الطائرة في جيبى ، وحينما أضع يلى في جيبى فلا أجد فيه غير ٥٠ بنساً فقط ، فسأركب أول أوتوبيس إنجليزى إلى المطار ، فإلى القاهرة فوراً ، وأفوز من الغنيمة بالإياب ! .

لكن

على

أى حال لا داعى لليأس والإستسلام من الآن ، فما زال في جيب كل منا عشرون جنيهاً كاملة ، يعنى ما زال أمامنا بعض الفرصة وبعض الوقت ، على شرط أن نربط الأحزمة من الآن ونتعامل مع أنفسنا بحزم وصرامة : لا إنفاق على الإطلاق إلا للضرورة والشديد القوى ! . . . وأول بند في الشديد القوى هو أن نرحل فوراً وبأقصى سرعة ممكنة عن ذلك الفندق الباكستاني قبل أن يحسب علينا ليلة أخرى بجنيهين ونصف آخرين . . .

« طيب ونروح فين؟! »... لنبحث إذن عن بيوت الشباب التي سمعنا أنها رخيصة جداً في أي مكان في العالم . . لكنني لست عضواً في جمعية بيوت الشباب المصرية . . ويتضح أن أغلب الأولاد أذكفاء ولم تفهم هذه النقطة ، فقد اشتركوا في جمعية بيوت الشباب في القاهرة وحصلوا على بطاقة عضويتها لكي يستعملوها هنا وقت اللزوم . . لكننا لا نعرف مكان بيوت الشباب في لندن . . إذن نضع حقائبنا في الأمانات في المحطة النهائية لأوتوبيس شركة « B.E.A. » قبل أن نذهب للبحث عن بيوت الشباب . .

وأذكر أن في

تجبي عدة أرقام تليفونات لعدد من الأصدقاء المصريين الذين يقيمون في لندن في الوقت الحالي . . أرفع سماعة التليفون من الشارع وأطلب « هدى » : صديقة مصرية قديمة تزوجت وعمرها ١٥ سنة من شاب يقيم ويعمل في لندن ، ومنذ ذلك الحين وهدى تعيش متنقلة بين بيتين لها : واحد في القاهرة والآخر في لندن . . « هدى » مشهورة بين أصدقائها بأنها « عملة لندن » التي تعرف حوارها وأزقتها وكل شبر فيها : وتعرف إلى جانب الإنجليزية ١٥ لغة أخرى من اللغات الحية والميتة ، وفيها شهامة وجدعة تكفي لعشرة رجال ! .

وكان « هدى » كانت لابسة وجاهزة وتنتظر تليفوني - بالرغم من أنها لم تسمع صوتي منذ ١٠ شهور - فبعد دقائق كانت بيتنا مغرقة في الضحك على شكلنا البائس بعد لف ودوران طول النهار في البحث عن عمل ، وحقائبنا مرصوفة أمامنا على الرصيف تنتظر القرب ، بعد أن اكتشفنا - أيضاً - أن مخزن الأمانات يغلق أبوابه في الخامسة مساءً ، وبيوت الشباب لا تقبل نزلاء جلداء بعد الثامنة مساء ، ونحن الآن في العاشرة : : يعني

مقفلة من كل ناحية . . و « تفشكرى نعمل إيه دلوقتى يا هدى ؟ ! » :
ويبدو أن حالنا صعب عايبا . فكان الحل هو آخر شيء ممكن أن نتوقعه
أو حتى نفكر فيه : بتنا الأيالة نأمن على الأرض فى غرفة الصالون فى
بيت « هدى » ! ! .

وأسلمنا

قيادتنا

تماما إلى « هدى » ، التى راحت توجهنا وترشدنا إلى السبيل الصحيح
للحصول على عمل فى لندن : لا تذهبوا جماعة للبحث عن عمل ، فالإنجليز
لا يحبون أن يسلموا العمل لشلة تعرف بعضها . حتى لا يضيع وقت العمل
فى اللدشة والרגى . . قسموا أنفسكم اثنين اثنين ، وكل اثنين يذهبان
للبحث عن عمل فى شارع مختلف . . ابعدا عن منطقة وسط لندن فهى
مزدحمة بطالبي العمل إلى حد التكديس ، وفى الوقت نفسه ليس فيها أى
خرم إبرة ممكن أن تنفذ منه إلى عمل . . لا تتركوا أنفسكم مبهلين أو
منكوشين أو ذقونكم غير محلوقة : لا تسألوا عن العمل بذلة ومسكنة
واستجداء ، لكن ببساطة وأدب وكبرياء . .

وبالرغم من أننا نفذنا نصائح « هدى » بحذافيرها ، إلا أن الأيام ظلت
تجربى يوماً بعد يوم دون أن يجد واحد منا أى عمل : لأسباب عديدة ،
أهمها أننا ليس معنا تصاريح عمل ، وثانيها أن أغاب الأولاد لا يعرفون
مجرد مبادئ اللغة الإنجليزية ويتكلمونها كما لو أنها اللغة الصينية . . حتى
مجرد الحمل البسيطة التى يسألون بها أصحاب الأعمال عن عمل كنت أنا
و « هدى » نقوم بتحفيظها لهم كما هى ، وأحياناً كتابتها لهم فى ورقة فى
يستم - واحد منهم كتبها على كفه ! ! - وبرزه مكانوش بيعرفوا يقولوها .
وكذا نخرج من بيت « هدى » فى الثامنة صباحاً فنظل نلف على كعوب
رجليننا حتى قرب منتصف الليل ؛ فنعود إلى البيت ونحن نجرجر أقدامنا

المهالكة من التعب والإرهاق . . . ولأنه لم يكن لدينا الوقت لنبحث عن عمل ونبحث في الوقت نفسه عن مسكن . فقد احتماتنا سجادة غرفة الصالون في بيت « هدى » أسبوعاً كاملاً !! .

وبالرغم

من

أننى أعتبر نفسى من أبطال « المشى » فى مصر ، لأننى أحب المشى جداً ، إلا أننى كرهت المشى الاضطرارى هذا ، الذى يجعلنى أمشى ١٨ ساعة فى اليوم ولا أكاد أستريح أو أهدأ لحظة واحدة طول اليوم . . . فقد كنت - وكنا جميعاً - فى سباق ليس مع الزمن وحده هذه المرة ، وإنما أيضاً فى سباق مع العشرين جنيهاً المتبقية مع كل منا . . . فلو انتهت هذه الجنيهاً العشرين قبل أن نجد عملاً لكأن علينا أن نرفع راية التسليم ونعود إلى مصر نجرجر أذيال الخيبة والفشل . . . وبدأ الأمر كما لو أن الإنجليز يتسلون علينا : ندخل مطعماً من سلسلة مطاعم الـ « A.B.C. » فى « أوكسفورد ستريت » مثلاً فى وسط لندن ، فيتمابلنا مديره بابتسامة طيبة وباعتذار رقيق ويقول لك : « متأسفين . . . الفرع بتاعنا ده ما عندناش فيه أعمال خالية فى الوقت الحالى . . . لكن لو ذهبت لفرعنا فى (إيلينج برودواى) حاتلاقى عندهم شغل عاشانك . . . وتركب الـ (أندرجراوند) أو المترو تحت الأرض لمدة ساعة كاماة ذهاباً ومثلها إياباً ، وتلغع جنيهاً إنجليزياً فى المواصلات رايح جاي ، ويقاباونك فى الـ « A.B.C. » فى (إيلينج برودواى) بابتسامة أطيب وباعتذار أرق : « متأسفين جداً . . . لو كنت جيت إمبراح كنت لقيت شغل ، لكن لو رحت الفرع بتاعنا اللي فى (بريكستون) أكيد حاتلاقى هناك شغل . . . وزيادة فى التأكيد يرفع سماعة التليفون ويتصل بـ (بريكستون) ويوصيهم عليك خيراً : وتركب الـ (أندرجراوند) ساعة أخرى وتلغع جنيهاً آخر

لتقابلك في (بريكستون) نفس المقابلة الطيبة ونفس الابتسامة الرقيقة
و : « لو كنت قلمت ١٠ دقائق بس كنت لحقت الوظيفة . . لسه معينين
فيها واحد تاني طوقى حالاً . . لكن لو رحت الفرع بتاعنا اللى في
ريتشموند . . . » إلخ . . وإذا ذاك تكتشف أن الابتسامة الرقيقة
لم تكن إلا ابتسامة سخرية ، وتكتشف أنك أضعت يوماً كاملاً وجنيتين
أو ثلاثة لكى يتسلى عليك السادة الإنجليز ويمشوروك في طول لندن
وعرضها مشورة الأرامل في إدارة المعاشات في وزارة الخزانة في القاهرة ! .

أسبوع كامل

مرعلينا الآن في لندن دون أن نجد عملاً بعد ، لا أنا ولا باقى
«الزملاء» . . وأصبحت المسائل شكلها كئيب جداً ولا تبشر بأى خير ،
ولا أمل قريب يبدو في الأفق ، حتى الأبواب التى كانت مواربة وقاباة
للفتح أصبحت الآن مسدودة ومقفلة تماماً ! . . وهرب منى تماماً شعور
الصحنى الذى يجرى وراء تجربة صحفية جديدة ، ولم يبق إلا شعور العاطل
الذى يبحث عن عمل ويقلقه الغد وفلس الغد وما يمكن أن يترتب على
هذا الفلس ، وبدأت أندم على أننى وضعت نفسى في هذا الموقف
وهذه الظروف : مالى أنا ومال الطلبة المصريين اللى بيسافروا أوروبا في
الصيف !؟ ما كنت قاعد في مكتبي في المجلة في مصر باكتب عن مبيعات
الإذاعة وحسناوات التليفزيون ، وباقبض مرتبى كل أول شهر وأنا
مستريح ، وكنت باتخدم ويبجى لى الشاى واللبن كل يوم الصبح في
سريرى وأقوم من النوم ألاقى الفطار جاهز ومتحضر والجرايد إلى جواره ،
وأصحب وقت ما أنا عايز وأنام وقت ما أنا عايز . . كنت باسهر لغاية
الساعة ستة الصبح — أكتب طبعاً — وأنام لغاية الظهر . . حتى
عادتى البسيطة قد تغيرت : كانت عادة مقلصة عندى أن أنام فترة

الظهيرة كل يوم . فبطلت نوم العصر لأننى أبحث عن عمل ، ولأن الشمس تغرب فى لندن فى هذا الوقت من العام فى العاشرة مساءً . . . وكنت أتعامل مع اللش فى الصيف عدة مرات فى اليوم الواحد ، لكننى الآن أقضى ١٨ ساعة فى اليوم بنفس الملابس التى خرجت بها من الصباح حتى منتصف الليل . دون أن تتاح لى الفرصة لمجرد أن أتشطف أو أغسل وجهى مرة واحدة خلال اليوم ! ! . .

وكأن

متاعبى

لم تكن تكفينى . فقد زاد عليها إحساسى بنوع من المسؤولية تجاه الجزء من مجموعة الأولاد المصريين الذين معى هذا ولا يعرفون عن اللغة الإنجليزية إلا أن هناك لغة ما فى العالم إسمها كده ، بالرغم من أنهم طلبة فى الجامعة ! ! . . فقد وجدت نفسى فجأة أعمل مترجماً لهم وأضطر إلى مرافقتهم فى كل خطواتهم أو اصطحابهم معى فى كل خطواتى ، حتى أتصدى أنا للكلام والترجمة وقت اللزوم ، يعنى باختصار أصبحت « آخذهم فى إيدى » كل يوم الصبح لكى أبحث لهم - أذا - عن أعمال : ممدوح و « سيد » و « عليوة » . . « ممدوح » و « سيد » كانا متواضعين ومسلمين أمرهم لله ومستعدين يشتغلوا أى حاجة وبأى أجر . . أما « عليوة » فهو نموذج ظريف جداً وغريب جداً وحادثة لوحده إذا قابلته فى القاهرة ، فما بالك به فى لندن : طالب فى كلية التجارة بجامعة أسيوط . . طول وعرض وجثة ولا شيال فى محطة مصر . . يتكلم باللهجة الصعيدية على طول ، ولم يسمع أصلاً عن أن هناك لغات أخرى فى العالم غير اللغة العربية ، ما عندوش خبر ، ما حدش قال له . . غشيم ومتعافى . : حواديته لا تنتهى عن مغامراته وغزواته بسيارته ال « تاونس » التى يقتحم بها شوارع القاهرة ، وفنونته وحنافاته مع كل الناس . . ويبدو أن أسرته لها فى

قريتهم عزوة وعصبية وكلمة مسموعة ماشية على الكل ، لذا يتصور أن لندن فرع من (ملوى) . . يريد أن يمشي كل شيء هنا أيضاً على مزاجه ، ويتصور أن الناس الإنجليز هنا ينبغي أن يعامدوا كما يعامد الناس الفلاحين في قريته . . هنا أيضاً يريد أن يضرب كل الناس ويشتم كل الناس ويرغم كل الناس على تنفيذ رغباته وتعليماته وأوامره . . يعارض - بغشومية وبجهل - في كل شيء ويريد أن يفرض آراءه هو على الجميع : كل ما يقوله الجميع خطأ وهو الوحيد الذي يتكلم صح وكل ما يقوله هو عين الصواب وعين العقل . . الرأي رأيه والشورة شورته ، ولا يعرف كلمة واحدة من اللغة الإنجليزية ويفترض أن الإنجليز لهم اللي كان لازم يكونوا بيعرفوا عربى ما دام « عليوة » جاي لندن ! ! .

لاحظ « عليوة » إعجابى بتكوين شخصيته ، فبدأ يتصرف كأننى ما جئت إلى لندن إلا خصيصاً لكى أكون مرافقه الخاص ومترجمه الملاكى : يريلنى ألا أبحث عن عمل لنفسى إلا بعد أن « أعتز » على عمل له هو أولاً ، ليس ذلك فقط . لكنه قبل أن ندخل أى مكان لنسأل عن عمل « له » يعطينى « تعليماته » وأوامره فيما يتعاق بالأجر الذى « يطلبه » : الطلبة عادةً يعملون بأجر أسبوعى فى حدود ١٥ جنيهاً ، لكن « عليوة » يشترط أن يتقاضى ٣٥ جنيهاً فى الأسبوع ، ومع « الإقامة الكاملة » على نفقة صاحب العمل أيضاً ! ! . كما أنه يشترط أن يكون صاحب العمل بيعرف يتكلم عربى : « أمال أنا حيا أعرف أتفاهم معلم إزاي ؟ ! !

الإنجليز

يسمون

الأنلرجراوند أو المترو الذى يسير تحت الأرض عندهم ، يسمونه « تيوب » أو « الأنبوبة » ، لأن الأنفاق التى يسير فيها تحت أرض لندن تشبه الأنبوبة فعلاً . . وعلى ذلك فقد دخنا دوحه الشكالى اليوم في

« الأنوبية » . . طول النهار راكبين « الأنوبية » رايجين جايين فيها لما
 اتكسرت رجائنا واتهد حيلنا . . تسعة أيام في لندن الآن ونمحن نبحث عن
 عمل دون جلى ودون أى نتيجة .. الجميع يشترطون أن تكون معنا تصاريح
 عمل من وزارة العمل الإنجليزية ، لأنه بدون تصاريح عمل فالسفارة
 الإنجليزية في القاهرة تختم على الباسپور بأنه غير مسموح لحاماه بالإشتغال
 في إنجلترا بأجر أو حتى بغير أجر . . ذهبنا مرة أخرى إلى الحاجة
 « ماسكوت » مدير وكالة التوظيف ، فقال لنا إن المديـه ١٠٠٠ وظيفة
 لنا إذا كان معنا تصاريح عمل ، لكن بدون تصاريح عمل فهو
 متأسف جداً . . الأعمال الحفيرة التى يرفضها الإنجليز وكل الناس هنا
 ولا يقبلها إلا الزوج ، يقبلها الطلبة المصريون الذين يصابون إلى لندن
 في وقت مبكر بعد انتهاء الإمتحانات مباشرة ، أما الذين يصابون متأخرين
 زى حالاتنا فهؤلاء يلوصون لوصة مهيبة ، ويحتاسون حوصة الإبل في عاصفة
 رملية على الصحراء ! . .

بأه مكانتشى مصر تنضم للسوق الأوروبية المشتركة ، واو عاشان
 خاطرنا ؟ ! ؟ :

وتلتقى

بالوجه

المصرية وبالطلبة المصريين وباللغة العربية باللهجة المصرية في كل
 شبر تمر فيه في لندن ، حتى تصورت في وقت من الأوقات أن في لندن من
 المصريين الآن أكثر مما في مصر نفسها ! ! . . وتلتقى أيضاً في كل مكان
 بقصص النجاح الوهمية الخرافية من الطلبة المصريين الذين نقاباهم ،
 فيدعون أنهم يتقاضون ٥٠ جنيهًا في الأسبوع غير الأكل والشرب والنوم ! ! .
 ولما نجد أن هذه الحكايات « واسعة شوية » نسألهم : « وانتوا بقالكم قد إيه
 في لندن ؟ » ، فيقولون أسبوع أو عشرة أيام . . تسألهم : « طيب

بتشغلوا غين علشان نيجي نشتغل معاكم ؟ » فيهربون منا ولا يذكرون لنا
أماكن عملهم ، أو يعطوننا أى عناوين غير صحيحة تخطر على بالهم ،
ونذهب فندجد هذه العناوين لكنيسة أو سفارة أجنبية أو مدرسة أطفال
أو محطة سكة حديد ! ! . .

وجاء

الفرج

أخيراً . . . أو ما اعتبرناه نحن بداية انفراج أزمنا . وكان ذلك
بسبب : « الطفاسة » ! ! . كنا كل يوم ننقل مجال بحثنا عن عمل إلى
منطقة جديدة أوحى آخر جديد من أحياء لندن غير الحى الذى بحثنا فيه
بالأمس . . ذهبنا اليوم نبحث عن عمل فى منطقة « فليت سترى » أو
شارع الصحافة فى لندن . . وانقطع قلبنا واتكسرت رجلينا والمطر غرقنا
ویمتنا من الجوع . . ثم أتت الطفاسة بنتيجة حين دخل « علاء »
و « مملوح » ليشترى صاندوتشات من مطعم أو رستوران . فخرجنا منه - إلى
جانب الصاندوتشات - بوعد بالعمل فى نفس المطعم اعتباراً من الغد . .
لذا ، فبعد خروجهما بقليل دخل « محيى » و « عماد » نفس المطعم ليلعبا
نفس اللعبة ، يشترى صاندوتشات ويسألان عن عمل ، وخرجنا بنفس
النتيجة : الصاندوتشات والوعد بالعمل فى الغد ! ! . . هايل . . الحمد لله ،
بدأت تفرج ، ويبدو أن هذا المطعم لقطة . . لكن لما دخلت بعد ذلك
أنا و « عليوة » قالوا لنا : « متأسفين . . خلاص الوظائف اللى عندنا
خلصت » الظاهر علشان لم نشر صاندوتشات ! ! . .

الظريف أنه حين ذهب « علاء » و « مملوح » فى اليوم التالى ليتسلما
عملهما حسب الوعد - وكانا هما اللذين تلقيا الوعد أولاً - اعتذرت مديرة
المطعم لهما بأن الوظائف الحالية قد شغلت . . وذهب « محيى » و « عماد »
بعدهما بلقائى فتسلما العمل فعلاً ! ! . . غريبة جداً هذه الحكاية . .

لكننى أعتقد أن شكل « ممدوح » المذهول دائماً المتلى الفك دائماً هو الذى جعل الست المديرة ترفض « ممدوح » و « علاء » معاً !! ..
 وفى اليوم التالى استطاعت قائدتنا « هلى » أن تعثر لـ « سيد » على وظيفة مساعد طبّاخ فى مطعم متواضع فى (بيكرستريت) . . يقشر بطاطس طول اليوم ثم يمسح المطبخ قبل أن ينصرف! فى مقابل ثلاثة جنيهات إسترلينية يومياً : ثلاثة أيام فقط فى الأسبوع ، وإذا مسح الجزء من الرصيف الذى أمام المطعم يتقاضى ٥٠ بنساً أخرى !! .
 لكن « سيد » رفض حكاية مسح الشارع هذه . . مركزه الاجتماعى — فى مصر — لا يسمح له بمسح الشارع . لكن بتقشير البطاطس معاش !! ..

ثم وجد « علاء » أيضاً عملاً : « وشر Washer » أو غسال أطباق فى مطعم إيطالى : يغسل الأطباق بيديه طول اليوم ، يعنى حتى ليس على ماكينة غسل الأطباق الأوتوماتيكية الشهيرة التى تغسل الأطباق وحدها . ومن يعمل عليها لا يكون عليه إلا أن يوص الأطباق المستعملة على رفوف خاصة ثم يدفعها إلى داخل الماكينة ويقل عليها ويضغط على زر فتقوم الماكينة بحلها بكل العمل ، ثم يوص الأطباق بعد غسلها على رفوف أخرى حتى تصبح جاهزة للاستعمال . . أما صديقنا « علاء » فهو يغسل الأطباق بيديه طول اليوم فى مقابل ثلاثة جنيهات ونصف يومياً خمسة أيام فى الأسبوع ..
 كويس . . العجلة دارت : ولم يبق غيرى أنا و « ممدوح » و « عليوة » . . :

وببدء

إنفراج

الآزمة — جزئياً — بدأت الأخلاق تظهر على حقيقتها : « الأستاذ » علاء اشتغل ، فعين نفسه قائداً وزعيماً لنا جميعاً ، وبدأ يصدر تعليماته

وأوامره وإرشاداته و « توجيهاته » . . وبدأت « المريسة » تظهر والحركات
اللى مش ولا بد : عاد ذات مساء من « شغله » ليبشرنا أنه قد وجد عملاً
لـ « ممدوح » من الغد فى مطعم صغير إتفق مع صاحبه التونسى على أنه
سوف « يرسل إليه » زميلاً مصرياً ليعمل عنده . . ولما كان « ممدوح »
لا يتكلم الإنجليزية على الإطلاق ويتكلم العربية بصعوبة ، فقد
« كلفنى » الأستاذ « علاء » بأن أذهب مع « ممدوح » لأقدمه لصاحب المطعم .
فلما ذهبنا فى اليوم التالى بلىرى جداً فى موعد العمل ، فوجئ بنا الرجل
التونسى ، وطردها بحفاء شديد على اعتبار أن كل ما حدث أمس هو أن
« علاء » سأله عن عمل فقال له « منيش » وانتهى الأمر عند ذلك . . !
وتكررت هذه القصة أكثر من مرة من الأخ « علاء » ؛ ونذهب
بى فلا نجد شيئاً ، حتى بدا أن المصريين هم الذين يتسلون علينا الآن بدلاً من
الإنجليز ! . .

صحيح

أنه

مازال ثلاثة منا لم يعملوا بعد : « ممدوح » و « عليوة » وأذا . : لكن
كان لابد وأن ذك بيت « هدى » بشكل عاجل جداً . . البيت الإنجليزى
النظيف الأنيق الرشيق المخلوق تحول إلى مزبلة هائلة نتيجة مبيت سبعة
أفراد على أرض غرفة الصالون كل ليلة ، ويخرجون الصبح بلىرى جداً
ويتركون الدنيا تضرب تقلب : البهوات اللى اشتغلوا رايحين شغلهم ومش
فاضين يوضبوا مطرح ما زاموا ، والبهوات اللى ما اشتغلوش مسروعين
عايزين يتزلوا جرى علشان يبحثوا عن شغل . . ويتهد حيل « هدى »
المسكينة فى إعادة التوضيب والتنظيف كل يوم حتى فاض بها الكيل ولم تعد
تحتمل أكثر من ذلك فقالت لنا ما معناه : « يا بنت من زار ونخفف ،
وإن كان حبيبك غسل ، وانتوا آنتونا خالص وما نعطلكوش بأه » . . !

وصحبتنا « هلى » إلى (كارميل هاوس هوتيل) : فندق صغير متواضع صاحبه تونسي متزوج من إنجليزية اسمه « محمد والى » . . . ويوافق الرجل على أن يؤجر لنا غرفة واحدة تضمنا جميعاً على أن يدفع كل منا ستة جنيهات ونصف كل أسبوع ، ونوافق نحن من باب « مكره أخاك لا بطل » ، ويتقاضى منا العربون فعلاً . . . لكن « هلى » الطيبة الساذجة التى تتصور أن شهرتى كصحفى قد طبقت الآفاق وعبرت البحار والمحيطات ووصلت إلى لندن ، تقول للتونسي صاحب الفندق : « إنك ما تعرفشى الأستاذ حسين قلسرى ؟ ! ده الصحفى المصرى المعروف » ! ! . . . ويبدو أن الرجل كان يعرفنى فعلاً ، لأنه رد لنا العربون على الفور وسحب موافقته على تأجير الغرفة لنا ! ! . . .

رضينا بمحمد والى ومحمد والى مش راضى ! ! . . .

ويقطع

رئيسنا

الجلديد الأخ « علاء » بأن « يهتم شخصياً ، وبنتفسه » بحل المشكلة ، فيغرقنا زيادة . . . ويذهب لبحث عن فندق آخر نقيم فيه ، فيؤجر - باسمنا وبالنياحة عنا - غرفة حقيرة جداً تحت السلم فى فندق آخر اسمه (روس هاوس هوتيل) بإيجار أسبوعى قدره ١٤ جنيهاً للفرد الواحد منا ! ! وكنا قد أصبحنا الآن خمسة فقط . . . وذلك معناه أن ندفع ٧٠ جنيهاً إيجاراً لهذه الغرفة الحقيرة فى الأسبوع ، أو ٣١٥ جنيهاً استرلينياً فى الشهر ، وبالمصرى ٥٣٥ جنيهاً فى الشهر ! ! . . . هايل « علاء » ده ! !

لكن المضطر يركب الصعب ، والصعب هنا هو هذه الـ ١٤ جنيهاً كل أسبوع ، وبالعملة الصعبة ، إنما لم يكن أمامنا إلا أن نقبل أى شىء قبل أن تطردنا « هلى » ، ويكفى ما سببناه لها من متاعب . . . فلم يكن ينظر على بالى فى وقت من الأوقات أن تستضيفنى « هلى » أنا - برغم

صداقتنا - في بيتها، فكيف بهذه « المدرسة الداخلية » أو « الحضانة » التي فتحتها في غرفة الصالون ١ . ولعلها كانت وهي تفتح لنا بيتها بالكرم المصري المعهود فيها والذي لا ينفع في لندن : قد تصورت أن المسألة ليلة واحدة وتعلو ، فلما وجدت أنها قد وصلت إلى أسبوع كامل ومش باين لها نهاية ، قالت :
لأ بأه ، خليتنا إنجليز أحسن !! .

وكان

« سيد »

هو أول من يثس ورفع راية التسليم . : فبعد ٣ أيام عمل فقط في تفسير البطاطس قرر أن المسألة لا تستحق كل هذه البهيلة ، وأنه مشر جاي لندن علشان يقشر بطاطس ، كما أن مجموعة « التلامذة » تنبذه بعيداً عنها لأنه موظف ولأنه أكبر منهم سنًا .. فقرر أن يعود إلى عمله في مصلحة التليفونات في القاهرة ويلبس بملته الشيك ويمارس مهام منصبه ويتأمر على السعاة ويشخط في صغار الموظفين اللي تحت إيداه ١ . وسام « سيد » العهلة لطعم (بيكر ستريت) : الميلة الشمع وسكينة تقشير البطاطس ، وعاد إلى القاهرة فعلاً بعدها بيومين !!

وفي نفس الليلة عثر « علاوة » و « ممدوح » على عمل . : « عليوة المهم » سوف يتولى أعمال « النظافة » في بار صغير لمدة ٥ ساعات يومياً خمسة أيام في الأسبوع بأجر قلوه جنيهان - بحالهم ! - في اليوم . : يعني ١٠ جنيهات أسبوعياً ، والمطلوب منه أن يدفع ١٤ جنيهًا كل أسبوع كإيجار لسرده في الغرفة التي ورطنا فيها الأخ « علاء » !! .. معادلة صعبة فعلاً : ٥

أصبحت

أنا

الوحيد في المجموعة الذي لم أجد عملاً حتى الآن . . وأصبحت أيضاً في موقف حرج جداً بعد أن أوشكت تقودى أن تنهى تماماً . . الباقي معي جنبيات قليلة تعدّ على أصابع اليد الواحدة . . لكنني كنت أحتفظ أيضاً بكارت أخير . . ورقة أخيرة . . كنت مصراً على ألا أستسلمها إلا في حالة الضرورة القصوى وحين تقفل في وجهي كل الأبواب . . وأظني الآن مضطراً لأن ألعب هذا الكارت الأخير . . من كشك التليفون في الشارع طلبت صديقتي الإنجليزية « Jocelyn Clements » جوسلين كليمنتس التي تعمل كمساعدة مدير عام المستخلمين في سلسلة فنادق « سنتر هوتيلز » التي تضم ٢٢ فندقاً من فنادق الدرجة الأولى منتشرة في كل أنحاء إنجلترا . . ودعني « جوسلين » للذهاب إليها في مكتبها الآن فوراً . .

وسمعت « جوسلين » حكايتي بسرعة وباختصار ، ثم رفعت سماعة التليفون وكلمت شخصاً اسمه مسر « هوبكنز » . . وبعد دقيقة واحدة وضعت السماعة مرة أخرى وقالت لي وعلى وجهها الجميل ابتسامة تضيء حتى شبرا بحاله : « مبروك . . لقد تم تعيينك في وظيفة تناسبك تماماً وتخدم جداً الفكرة الصحفية التي تبحث عنها . . »

• • •

وفي نفس الليلة أيها السادة ، بعد ١٢ يوماً من البطالة والتعطّل في لندن ، وفي فندق « سنتر إيربورت هتيل » بمطار « هيثرو » الشهير ، تسلمت عملي — عقبال ما تشرفوا أولادكم — : بواباً ! ! !

□ لوغاريتمات إنجليزية !! □

ذهبت

فقابلت

مستر « هوپكنز W. Hopkins » المدير المساعد لفندق « سنـ
إيرپورت هوتيل Centre Airport Hotel » الذى اتصت به صديقتى
« چوساين كليمنتس » ، وشرحت له فكرة وشكل العمل الصحفى الذى أقوم
به . . وأعجب مستر « هوپكنز » بالفكرة وبطريقة تنفيذها ، واتفقنا على أن
يظل هذا الأمر سرّاً بينى وبينه هو فقط ، يعنى لا يعلم أحد من العاملين فى
الفندق أننى صحفى ، حتى لا يتخرج الإنجليز الذين سيزالونى فيما بعد منى
معاملة خاصة ، وحتى لا يتحفظ معى المصريون الذين يعملون فى نفس الفندق . .

كانت الوظيفة التى رشحتنى لها « چوساين » هى وظيفة « نايت پورتر
Night Porter » ، و « پورتر » كما تعلمناها فى حصص اللغة الإنجليزية
فى المدرسة وكما قرأناها فى قواميس الإنجليزى / عربى : معناها « شىال »
أو « حمال حقائب » . : إذن فـ « نايت پورتر » معناها « شىال يعمل
بالليل » . . وكانت هذه فعلاً هى الصورة التى رسمتها فى ذهنى وأنا ذاهب
فى نفس الليلة لأتسلم عملى : « نايت پورتر » :

ويتسلمنى مستر « جون أوليرى John O'leary » كبير الـ « پورترز » :
شاب طول وعرض ومنظر وأبهة ووسامة وشياكة كأنه ممثل سينما أجنبى
أو ضابط فى الأسطول البريطانى . . يتسلمنى ليأخذنى إلى غرفة الملابس

لأختار الـ « يونيفورم » الذى يناسب مقاسى . . وضحككت جداً على نفسى وأنا أرى شكلى فى المرأة مرتدياً بدلة الـ « پورتر » الرمادية ذات الأزرار النحاسية الصفراء والياقة والأكمام الحمراء والبنطلون ذو الشريط الأحمر على الجانبين ، والكرافتة الكحلى المنقوش عليها شعار ساسلة فنادق الـ « سنتر هوتيلز » ! ! . . الله يرحمك يا أمى . . يا ما نصحتينى وقلتى لى : « إبعد عن الصحافة ، الصحافة حاتبهدلك . . روح ، قلبى مش راضى عنك ، وبكرة حاشوفك شيال فى محطة مصر » . . وآهو حصل ودعوتها تحققت ، لكنها قطعاً لم يكن يخطر على بالها أن دعوتها سوف تستجاب على هذه الصورة : شيال صحيح ، لكن ببدلة شيك ، وفى مطار لندن ! ! :

ويشرح

لى

« جون أوليرى » بشكل سريع على الذى سأقوم به ، ثم يقلبنى إلى رئيسى الحديد الذى سأعمل معه فى واردة الليل : « ريتشارد برايان Richard Brayn » . . على أن يتولى « ريتشارد » شرح التفاصيل لى شيئاً فشيئاً أثناء العمل . . وكنت أتصور أن المسألة مش محتاجة لشرح تفاصيل ولا حاجة . . فأية تفاصيل ممكن أن تكون فى عملية حمل الحقائق ؟ ! . . حقائق وبتنشال على أى صورة من الصور . . يعنى هو انا حاشيل إقنابل ذرية ؟ ! . .

لكن يتضح من ليلتى الأولى فى العمل أن الأمر مختلف تماماً فعلاً عما تصوره ، وأن المسألة ليست مجرد حمل حقائق النزلاء وتوصيلها إلى حجراتهم . . فالـ « نايت پورتر » هو الحاكم الفعلى للفندق خلال فترة الليل : مكتب طويل عريض عليه ٣ تليفونات يدير من خلالها حركة الفندق كله خلال الليل : هو المسئول مسئولية كاملة عن الفندق ونزلائه من لحظة وصولهم إلى الفندق وبمجرد تسلمهم مفاتيح غرفهم منه ، حتى يسددوا حسابهم

ويسلمونه مفتاح الغرفة مرة أخرى.. كل علاقة النزلاء بمكتب «الإستقبال Reception» هو أن يملأوا عنده البيانات الموجودة في الاستمارات ويتسلموا «رقم» الغرفة فقط ، ثم تنقطع صلتهم بـ «الإستقبال» تماماً بعد ذلك ويكون الـ «پورتر» هو المسئول عنهم : النزيل الذي يريد أن يستيقظ في ساعة معينة ، أو يريد الإفطار في غرفته ، أو يريد كذا وكذا من صحف الصباح . . النزيل الذي يريد أن يحجز لنفسه مكاناً على الطائرة المسافرة إلى أى مكان في العالم ، الـ «پورتر» هو الذى يحجز له بالتليفون . . النزيل الذى سيقضى ليلة واحدة في لندن ويريد أن يسهر في مسرح أو سينا أو ملهى : الـ «پورتر» هو الذى يحجز له : بالتليفون . . النزيل الذى يريد أن يستأجر سيارة خاصة يقودها بنفسه طول المدة التى سوف يقضيها في لندن : الـ «پورتر» هو الذى يستأجرها له ، بالتليفون . . النزيل الذى لديه يوم واحد يقضيه في لندن ويريد أن يقوم بجولة سياحية فيها ليرى أشهر معالمها : الـ «پورتر» هو الذى يرتبها له . . النزيل الذى يريد أن يسأل عن مواعيد قطارات السكة الحديد بين لندن وباقي إنجلترا . . النزيل الذى يملك سيارة ولا يعرف الطريق إلى المكان الذى يريد أن يذهب إليه . . النزيل الذى يريد أن يتصل بالتليفون أو يرسل برقية إلى أى دولة في العالم : الـ «پورتر» هو الذى يقوم بكل ذلك : بالتليفون من على مكتبه . . النزيل الذى يريد أى شيء يخطر على باله ماعليه إلا أن يرفع سماعة التليفون في غرفته ليطلب رقم تليفون مكتب الـ «پورتر» ويخبره برغبته ، وعلى الـ «پورتر» أن يحقق له ما يريد في أسرع وقت ممكن حتى لو طلب لبن العصفور أو جناح نملة يتيمة الأب . . وذلك كله في فندق به ٣٦٠ غرفة مزدوجة . . يعنى ممكن أن يتعامل الـ «پورتر» مع رغبات ٧٢٠ نزيلة كل ليلة لو أن كل نزيل طلب منه طلباً واحداً فقط ! ! .

وطبعاً

فإن

ال « پورتر » يستعين في تنفيذ كل ذلك بكل ما يحتويه مكتبه الهائل من قوائم مواعيد الطائرات على اختلاف شركاتها من لندن إلى أي مكان في العالم . قوائم مواعيد القطارات والأوتوبيسات والمترو تحت الأرض « الأنلر جراوند » . وقوائم وأرقام تليفونات الوكالات التي تؤجر السيارات الخاصة ، وتحت يده البرامج الأسبوعية لكل مسارح وسينات وملاهي لندن ، ومجموعة هائلة من الخرائط لكل شبر في إنجلترا . . . يعني باختصار فإن ال « نايت پورتر » ، أو ال « پورتر » عموماً سواء كان يعمل بالليل أو بالنهار ، المفروض فيه أن يكون دائرة معارف متحركة ، وأن يجيد استخدام كل الوسائل والمراجع التي تحت يده لتنفيذ رغبات النزلاء ، وبسرعة جداً . . . والمفروض أيضاً أن يكون لبقاً وظريفاً وذكياً ومبتسماً ومحترماً وواثقاً من نفسه وحسن التصرف . . .

وطبعاً لم يكن مطلوباً مني أن أقوم بذلك كله من أول ليلة . . . لكن المفروض أن أصل إليه بالتدريج يوماً بعد يوم طبعاً . . .

ليس ذلك فقط هو كل عملنا — كما شرح لي زميلي أو رئيسي الإنجليزى « ريتشارد » — لكن « أمن » الفندق خلال فترة الليل هو جزء من مسئولياتنا أيضاً ، بل لعله الجزء الأهم : لو أن أحد المسافرين في كافيتيريا الفندق شرب شوية زيادة وأساء التصرف : فالمفروض أن ذلك يدخل في اختصاص ال « پورتر » ، ابتداءً من تهدئة الزبون السكران وإخراجه من الكافيتيريا سواء بالحسن وبالذوق أو بالعنف ، ثم بالبوايس إذا لزم الأمر . . . المفروض أن أعرف شكل النزلاء بحيث لا أسمح بوجود غرباء في الفندق خلال واديتي : واردة الليل بالذات . . . المفروض أن أمر على الفندق كله شبر شبر بغرفة ال ٣٦٠ ثلاث مرات خلال الليل في

جولة تستغرق نحو نصف ساعة كل مرة للاطمئنان إلى أن كل شيء على ما يرام .. إذا حدث واحتاج الأمر إلى استدعاء البوليس فإن الوحيد الذي من سلطاته ومسئوليّاته أن يفعل ذلك في الفندق كله هو « پورتر » فقط لا غير . :

وبعد كل ذلك ، فإن آخر وأبسط وأسهل مهام الـ « پورتر » هو حمل الحوائب من وإلى غرف النزلاء ! ! ! .

رئيسي

الجلد

« ريتشارد » شخصية ظريفة جداً فعلاً : شاب إنجليزي عمره ٢٤ سنة . . من منطقة الـ « إيست إند » في لندن التي تشبه عندنا في القاهرة بولاق وأبو العلا والحسينية . . يعني منطقة « أولاد البلد » الإنجليزي . . وأولاد البلد الإنجليزي كما هو الحال مع أولاد البلد عندنا في مصر : لم طريقة أو « لكنة » خاصة في الكلام واصطلاحات خاصة لا يكاد يفهمها إلا هم . . فهم يتكلمون وأفواههم مقفلة . . وبالضبط يتكلمون بشفاههم فقط وأسنانهم مضمومة لا تنفرج ، يعني لا يفتحون أفواههم عندما يتكلمون زى كل مخاليق ربنا ، فيخرج الكلام من بين أسنانهم مضغوطاً غير واضح وقد « تأكل » نصفه فلا تفهم ماذا يقولون ، ولا تعرف إن كانت اللغة التي يتكلمونها هي الإنجليزية فعلاً أم لغة أخرى خاصة بهم . .

« ريتشارد » من هذا النوع من الإنجليز الذين يتكلمون الـ « كوكنى » فلا تفهم ثلاثة أرباع كلامه ، والباقي تفهمه بصعوبة جداً وبالحدافة والشطارة . . هذا بالإضافة إلى أنه هو شخصياً نموذج في غاية الظرف للإنجليزي الطيب الساذج الأهل الذي يصل إلى حد العبط أحياناً ، بمشيته الغريبة وملامح وجهه وحركات عينيه العصبيتين من وراء نظارته

البيضاء التي تجعله في مجموعته يشبه ممثلي الكوميديا الإنجليز الذين تقوم أفلامهم دائماً على شخصية البطل العبيط ذي التصرفات المضحكة ! وبالرغم من ذلك كله فقد كان « ريتشارد » رئيساً طيباً فعلاً .. شرح لي كل شيء ودربنى على كل شيء بإخلاص فعلاً .. وكان واضحاً أنه سعيد جداً بوجودي . وكل شوية يروح ويبجي جايب لي معاه شاي أو كاكاو أو لبن — عرفت بعد ذلك أن كل هذه الأشياء ببلاش للعاملين في الفندق ! — حتى فوجئت به يسألني : « هل سأنشر صورته هو أيضاً في المجلة التي أعمل بها ؟ ! » فقلت له مندهشاً : « وكيف عرفت أنني صحفي ؟ » فقال وابتسامته العريضة تملأ وجهه كله : « كيف عرفت ؟ ! إن كل من في الفندق يعرفون أنك صحفي مصري وأنتك هنا لكي تكتب سلسلة موضوعات عن الطلبة المصريين » . إلخ إلخ إلخ ! منك لله يا مستر « هوپكنز » . بأه ده السر اللي احنا اتفقنا إنه يكون بيننا إحنا الاتنين بس ؟ ! .

ويبدو

أن

عرق العبط ليس في « ريتشارد » وحده ، إنما هو أصيل ومتوارث ويمتد في جنور الأسرة الكريمة . « ريتشارد » — بمجرد أن يعرف أنني مصري — يسألني على الفور : « سأجرب لك امتحانا : ماهي أشهر أكلة شعبية في مصر ؟ » قلت له : « الفول المدمس » وشرحته له ، فhez رأسه نقياً ، قلت : « الطعمية » وشرحتها له ، فhez رأسه نقياً ! فاندبهشت أنا : إيه ده بأه ؟ ! فزورة دي والا إيه ؟ ! هو حاي عرف الأكلات الشعبية المصرية أكثر مني ؟ حاي عرف البصارة مثلاً أو الفول النبات أو الكشري أو العدس أو الفتة بالحل والتوم ؟ ! . اختصرت الطريق وقلت له ما اعرفشي غير الفول والطعمية . فقال وقد اتسعت

ابتسامته المبهلة لتحتل وجهه كله وهو يهز رأسه بحكمة الخبراء الحكماء العالمين ببواطن الأمور : « الكباب » ! !

الحواجه « برايان » الكبير - أبو « ريتشارد » - كان يخدم في البحرية الإنجليزية في شبابه أيام المراكب الورق ، وزار مصر مرة واحدة يتيمة لمدة أربعة أيام منذ سبعة وعشرين عاما ، أكل خلالها الكباب المصري مرة . ولأنه راجل عاطفي وحساس ومخلص وعشوي فإنه لم ينس الكباب حتى الآن ! ! . . ويبدو أن هذه المسألة دخلت في سجل تاريخ الأسرة ضمن الذكريات العائلية المحيطة لدرجة أن الأب يحدث أبناءه عنها باستمرار طيلة هذه الـ ٢٧ عاما ، حتى إن « ريتشارد » بمجرد أن يعرف أنني مصري يسألني على الفور عن « الكباب » إلى أبوه هتوسهم ييه ! ! .

بالرغم

من

أننى قد اشتغلت فعلا وتسلمت عملي فعلا ، إلا أنني قد وجدت نفسي قد دخلت في دوامة معادلة حسابية صعبة غير ممكن حلها بأى شكل ولا بالعقل الإلكتروني : عرفت من « ريتشارد » أن مرتبي سوف يكون ١٧ جنيهها كل أسبوع ، يصل بعد الضرائب والخصومات إلى ١٤ جنيهها وبضعة بنسات . . أنا الآن أسكن مع باقى الأولاد في فندق بجى « ساسكس جاردنز » في وسط لندن بـ ١٤ جنيهها في الأسبوع . . وأدفع في المواصلات بين سكنى وبين الفندق الذى أعمل فيه في ضاحية مطار « هيثرو » « ميديلسكس » جنيهها كاملا في اليوم ذهابا وإيابا . . وذلك معناه أنني إذا لم أكل ولم أشرب ولم أفعل أى شئ على الإطلاق غير دفع إيجار السكن ومصاريف المواصلات ، فإن ذلك سوف يكلف ٢٠ جنيهها كل أسبوع . . فكيف يمكن أن أفعل ذلك بمرتبي الذى لن يزيد عن ١٤ جنيهها ؟ ! . . .

لو غاريم إنجليزى غير قابل للحل على الإطلاق قطعاً ! ! .
 لكن حيرتى انتهت ومشكلتى حلت تماماً قبل أن تنتهى ليلتى الأولى
 فى العمل : « ريتشارد » حل جزءاً منها ، و « أمين القصاص » حل باقى
 المشكلة . .

جرسون

وسيم

من جرسونات الكافيتيريا بالخاكت الحمراء القصيرة وال « پاپيون »
 الأسود . أطل برأسه من باب الكافيتيريا حين هدأ الجو فى الفندق قليلاً
 قرب الثانية صباحاً . ليقول لى بإنجليزية مدشدة : « شكلك مصرى . .
 إنت من مصر ؟ » ظننته برتغالياً أو أسبانياً أو إيطالياً . . فى ملامحه
 خفة دم أبناء البحر الأبيض . . قلت له بالإنجليزية : « فعلاً أنا مصرى . .
 وأنت من أين ؟ » فأجاب باللغة العربية ضاحكاً وهو يمتحنى داخل
 الكافيتيريا : « من عابدين ، يعنى حاكون منين ؟ » . .

« أمين القصاص » : طالب بسنة ثالثة فى كلية التجارة بجامعة القاهرة . .
 أول مرة يخرج من مصر هذا الصيف . وجاء إلى لندن بمجرد انتهاء
 الإمتحانات ليكون أكثر منا توفيقاً فيجد عملاً فى اليوم التالى اوصوله .
 ويعمل فى عدة فنادق فى ضاحية مطار « هيثرو » قبل أن يستقر فى هذا
 الفندق منذ أسبوع واحد . . ومع أنه « جديد على الكار » إلا أنه سرعان ما
 « أكل الجو » بخفة الدم المصرية وبسرعته ونشاطه وفهاوته ، وبرغم إنجليزيته
 الضعيفة ، إلا أنه كان سريع الإلتقاط وسريع التعلم وقادراً على أن يفهم
 ما يريدون وأن يجعلهم يفهمون ما يريد . . ازاي ؟ ! ما اعرفشى . . لكن
 قطعاً فيه شيء لله . .

« أمين القصاص » فى دقيقة واحدة حل الجزء الأكبر من مشاكلى :
 مشكلة السكن فى « ساسكس جاردنز » . ١٤ جنيهها كل أسبوع ، ومشكلة

جنيه المواصلات كل يوم بين لندن وضاحية مطار « هيثرو » . : قال لي « أمين » : « ما دام أنت بتشتغل في « هيثرو » إيه اللي يسكنك في لندن ؟ . . ما تيجي تسكن هنا قريب جنب شغلك وتوفر الجنيه اللي انت بتدفعه في المواصلات كل يوم » . .

فكرة ظريفة جداً فعلاً ، إزاي كانت غايبة عني ؟ ! . . لكنها على أى حال لا تحل إلا جزءاً من المشكلة . . فإنني إذا وفرت المواصلات فإن مرتبي سيكون — يا دوب — يكفي لإيجار السكن . . لكن « أمين » يحل هذه المشكلة أيضاً : « ومين قال لك إنك حاتسكن في المنطقة هنا ؟ ١٤ جنيه زى لندن ؟ . . هنا النظام مختلف . . سيب لي الموضوع ده وأنا أسكنك في غرفة نظيفة جداً ، لوحداك ، وبتلاتة جنيه بس في الأسبوع . . بكرة الصبح نمشي سوا من هنا وأنا أخلص لك الموضوع ده في ١٠ دقائق » ! ! .

فراغيرو « أمين » ده . . حلال العقد والمشاكل المستعصية . :

وحل

« ريتشارد »

أيضاً الجزء الباقي من المشكلة . . حله على مرحلتين . الأولى أنه في الثالثة صباحاً أخذني من يدي لندخل الكافيتيريا ونجلس في ركن منها مكتوب عليه « ستاف Staff » ، بمعنى أنه مخصص للعاملين في الفندق فقط . . ظننت أنه سوف يدعوني إلى شاي أو قهوة أو شئ من هذا القبيل ، لكنني فوجئت به يسألني : « حاتتعشى إيه ؟ » ! ! . . وقبل أن أعتذر أو أشكره وقد سقط قلبي رعباً من أجل الجنيهين اليتيمين اللذين بقيا في جيبي ، استطرد « ريتشارد » قائلاً : « ما دمت تعمل في الفندق ، فإن من حقك أن تتناول العشاء أو الغداء — حسب موعد عملك — على حساب الفندق في حدود ٨٠ بنسا للوجبة الواحدة ! ! » . : ياسلام . .

كل مشاكلي أصبحت الآن محلولة : لا سكن غالى . . لا مواصلات جنيه في اليوم . . والأكل مجانا أيضا ! ! . . يا بركة دعا الوالدين . . أما مفاجأة المفاجآت التي حملها إلى « ريتشارد » الليلة أيضا - والليلة عموما كانت كلها مفاجآت - فقد جاءت بالصورة التي لم أكن أتوقعها أو أفكر فيها أو تخطر على بالي على الإطلاق : بعد أن عدنا أنا و « ريتشارد » إلى مكتب ال « پورترز » بعد العشاء ، مد « ريتشارد » يده في جيبه لتخرج وفيها كبشة عملات معدنية شخشيخ بها قليلا في كفه وهو يقول لي : « ده رصيدى الليلة . . إنت عملت قد إيه ؟ ! » . . قلت له مندهشا : « عملت قد إيه في إيه ؟ ! » . . قال ببساطة : « بقشيش .. » . . قلت وقد ازدادت دهشتي : « بقشيش ؟ ! . . بقشيش إيه ؟ ! » .

وضحك « ريتشارد » وهو يفهمنى شيئا جديداً من (أصول المهنة) : البقشيش الذى يدفعه النزلاء لـ « پورتر » حين يقوم لهم بخدمة ما ، أو حين يقوم بتوصيل حقائبهم إلى الغرف أو إحضارها منها ! ! . . أفرعنى ذلك . . أشغل « پورتر » أو بواب أو شيال أو حتى سباك معلش . . آهى تجربة صحفية باقوم بيها لفترة محدودة وبس ، لكن كمان أمد إيدى للناس علشان آخذ بقشيش ؟ ! آهوده اللى مش ممكن أبداً . . تيجى إزاي ؟ ! وكرامتى ؟ ! ومركزى كصحفى ؟ ! . . مستحيل . . لا يمكن أبداً . .

و « عقلنى » ريتشارد : علشان تقوم بالتجربة كاملة لازم تمر بكل ظروفها . . إنت في الأول حاتبقى مكسوف لأنك مش متعود على كده ، لكن بسرعة حاتتعود عليها وحاتبقى حاجة عادية .. وما دام أنت عارف إن شغلك ده نفسه حاجة مؤقتة ولغرض صحفى ، يبقى إيه اللى يمنع إنك تتعامل مع كل جزئياته ؟ .. ثم إنك مش أنت اللى بتطلب البقشيش ، ده النزيل هو اللى يقلمه لك من نفسه :

كان

شعوراً

غريباً جداً ، وكنت مكسوفاً من نفسي جداً ومطرقاً بعينَيَّ إلى الأرض وأنا أمد يدي لأتناول أول بقشيش يعطيه لي أحد النزلاء . . . وكنت قد تهربت من نزيلين قبله بأن وضعت حقائبهما في الغرفة وانصرفت بسرعة جداً ، لدرجة أن كلا منهما وقف ينظر ورأى بدهشة شديدة والفلوس في يده . . لكنني بعد ذلك روضت نفسي على أن أعود ذلك . . . وفعلته فعلاً ، لكن بتردد وبحجل طول الوقت . . وفي أقل من ساعة كنت قد جمعت ٥٠ بنساً ، وقبل أن تنتهي الليلة كانت الحصيدلة جنيهين وعشرة بنسات ! ! . .

وكان أول شيء فعلته في الصباح وقبل أن تنتهي واريديني ، هو أنني اتصلت بالصديقة الإذاعية « ليلي سليمان » . . كانت حكاية البقشيش هذه تزعجني جداً وتؤرق كرامتي ، وغير قادر على استساغتها أو قبولها ، وكان لا بد وأن « أفضفض » لأحد لأشركه معي في اتخاذ القرار : « هل أستمر أم لا ؟ » . . وكان من رأي « ليلي » أنني يجب أن أستمر مادام ذلك داخلاً في نطاق التجربة ولكي تكتمل الصورة ، وأني إذا كنت قد قبلت على نفسي أصلاً أن أحمل حقائب الناس فإنني لست فاعل خير ولا راجل شهم متطوع لخدمة الناس لوجه الله . . ثم : « وهو أنت أحسن مني ؟ ! ما أنا برضه يأخذ بقشيش ! ! ! »

(٤)

□ دكتور : ماذا فعلت بأخيك ؟ !! □

في
الصباح

خرجت مع « أمين القصاص » لبحث لي عن غرفة في حي (كرانفورد Carnford) حيث يسكن ، أقرب حي سكني في ضاحية (ميديلسكس Middlesex) التي بها مطار « هيثرو Heathrow » والفندق الذي نعمل به . . ضاحية (ميديلسكس) كلها تشبه عندنا ضاحية مصر الجديدة في أنها تقوم حول المطار ، وإن كانت أكثر شبهاً من ناحية الشكل بطريق المعادي وحاوان في أنها عبارة عن شارع طويل جداً « باث رود Bath Road » تقطعة سيارة الأتوبيس في نصف ساعة ، وتقع على جانبيه عدة أحياء متفرقة : حي ، ثم منطقة أراضي زراعية تمتد محطة أو محطتين أتوبيس ، ثم حي آخر ثم منطقة زراعية ، وهكذا . . . ويأتي مطار « هيثرو » الهائل الضخم ليسط مساحته الواسعة خلف هذه الأحياء والقبيلات ويمتد لمسافة طويلة . . وكلمة « حي » هنا (واسعة شوية) ، فهو ليس « حياً » بالمعنى المفهوم ، إنما هو شارع أو شارعان كبيران يمتدان متعامدين على الشارع الرئيسي « باث رود » ، وكل شارع منهما يضم ١٢٠ أو ١٥٠ قبيلة فقط ليس أكثر . والمحلات هنا ليست في وسط البيوت وبينها زي عندنا في مصر ، لكن كل الخدمات من محلات ومكاتب بريد وتليفون و . . إلخ ، كلها تتجمع في الشارع الرئيسي من الخارج . .

ذهبت مع « أمين القصاص » لبحث عن غرفة لي في حي (كرانفورد) حيث يسكن . . ساكن في خرم إبرة « أمين » بثلاثة جنيهات في الأسبوع :

غرفة صغيرة جداً كانت في الأصل دولاب فتح وربنا عليه . بحيث إنها لا تتسع لواحد طويل شوية زيادة ولا تستوعب واحداً سمين شوية زيادة . ما يعرفشى يدخل فيها أصلاً . وإذا دخل ما يعرفشى يخرج !!

لم أستطع أن أقنع نفسى بأن أسكن في مثل هذا « الصندوق » . . . ذلك صحيح فعلاً . فهم يسمون هذه الغرف الصغيرة « بوكس روم Box Room » بمعنى « الغرفة الصندوق » أو « العلبة » . . . فبدأنا نبحث عن غرفة أوسع . . . الغرف هنا نوعان فقط لا غير : « بوكس روم » هذه ، وإيجارها ثلاثة جنيهات في الأسبوع ، وغرفة أخرى عادية طبيعية مثل أى غرفة في كل البيوت اللى خلقتها ربنا ، تضم سريراً عريضاً ودولاباً وتسريحة وتراييزة صغيرة وكريسين فوتيل . . . يعنى غرفة يقدر الواحد يعيش فيها على راحته دون أن يشعر بأنه يعيش في غواصة . . . وهذه إيجارها ستة جنيهات في الأسبوع ، ويسمونها « الغرفة المزدوجة » أو « دابل » . . .

« أسكن بسة جنيه يا أمين وأبقى على راحتى » . . . « طيب تعالى بأه نروح المكتبة » . . . « مكتبة إيه يا ابنى ؟ أقول لك أسكن تقول لى مكتبة ؟ ! عايز أسكن الأول وبعدين أقرأ وأكتب على مهلى » . . . « معلش . . . ما هو كل الإعلانات عن الغرف الخالية بتكون متعلقة فى لوحة الإعلانات اللى على باب مكتبة الحى » ! ! . . . لكننا لم نجد فى اللوحة إعلانات عن غرف مزدوجة خالية فى الوقت الحالى . . . أخلتنى « أمين » من يدى وقال : « تعالى نروح ليوسف . . . يوسف هو اللى يقدر يحل لك المشكلة دى حالياً » . . . « مين يوسف ؟ » . . . « يوسف عميرة . . . شاب مصرى مقيم هنا من ٤ سنين ، ويعتبر عمدة (كراتفورد) كلها ، وله دلال وله كلمة على الكل هنا : مصريين وأجانب » . . . وفعلاً استطاع « يوسف » أن يحل المشكلة ، لكن بطريقة غريبة جداً : شخط فى مستر « مالك » الهندى صاحب الفيلا اللى يسكن فيها « يوسف » شخصياً لكى يتنازل لى عن غرفة الصالون فى الفيلا لمدة أسبوع واحد حتى أجد غرفة أخرى أنتقل إليها على راحتى ! ! . . . وقد كان . . .

ضاحية « كرانفورد »

هي ضاحية الهنود والباكستانيين في لندن ، ضاحية هادئة جداً تشبه ضاحية المعادي عندنا . . كلها فيلات صغيرة من دورين على الطراز الإنجليزي ذي السقف المخروطي المغطى بالقرميد الأحمر . . وكل فيلاتها يملكها الهنود أو الباكستانيون الذين تجمعوا في هذه المنطقة من لندن ، لأنهم جميعاً يعملون في مطار « هيثرو » أو الخدمات المحيطة به : الفنادق مثلاً أو المطاعم أو المصانع وهكذا . . وجميعهم يمتلكون — إلى جانب الفيلات الأنيقة — سيارات فاخرة ويحبون حياة مريحة لا يفرقون فيها عن الإنجليزي في شيء إلا في لونهم الغامق . . إنجليز سمراء ! . . ويسكن الهندي أو الباكستاني هو وأسرته في غرفتين في الدور الأرضي من الفيلا ، ويؤجر الغرف الثلاث التي في الطابق العلوي مفروشة . .

ووافق مستر « مالك » على أن يؤجر لي غرفة الصالون لمدة أسبوع واحد ، على شرط أن « أجلو » عنها في حالة مجيئ ضيوف لزيارته ! ! ولم يكن في وسعي إلا أن أقبل ولا اضطررت لدفع ١٤ جنيهات أخرى في تلك الغرفة الصغيرة تحت السلم في فندق « روس هاوس هوتيل » التي ورطنا فيها الأخ « علاء » الله . . . يساعده . . . وهكذا انتقلت من غرفة تحت السلم إلى غرفة شيك جداً فيها إلى جانب الأثاث المعتاد : تليفون أبيض وجهاز تليفزيون ملون ومكواة بالكهرباء وطقطوقة سجائر . . عزماً بعده عزاً .

ثاني

يوم

عمل لي في الفندق . : لسه لم أتأقلم بعد بحكاية أن أشتغل « پورتر » . . حاجات كثير لسه مش إفاهمها أو مش قادر أستوعبها بسرعة كافية : دخت

الليلة السبع دونحات ولفيت أجنحة وطوابق الفندق كله بحثاً عن الغرفة رقم ٧١٩ ،
ثم يتضح في النهاية - بعد أن انقطع قلبي - أنها في الطابق الأرضي !! .

وتلك الحسنة التي جاءت تطلب مني « Paper » أو ورقة ..
أعطيتها ورقة بيضاء فأتت على روحها من الضحك ، لأنها كانت تريد
« جريدة » بس هم يبدلعوا الـ « نيوز بيپر » ويسموننها « بيپر » فقط ..
طيب ربنا عرفة بالعقل : أنا أعرف منين إنها قصدها « جريدة » وليس
« ورقة » ما دامت نفس الكلمة بالإنجليزية تستعمل للمعنيين !! ..

ونحو الخامسة صباحاً تصل إلى باب الفندق قافلة من السيارات
الصغيرة تقودها مجموعة فتيات شقراوات زى القمر وزى الورد المفتوح
ولابسين شيك جداً .. يدخلن إلى الفندق زرافات وغزالات .. ظننتهن
نزيلات عائدات من سهرة ظريفة طالت .. لكنني فوجئت بهن بعد
قليل وكل واحدة منهن قد أمسكت مكنسة بالكهرباء أو جردلاً وفرشاة ،
والتي تمسك بفوطه تنظف بها المكاتب وتلمعها والتي تحمل كيساً كبيراً
من النايلون تجمع فيه الزباله !! .. ويتضح أن هؤلاء الحسناوات هن
عاملات النظافة اللاتي يتولين نظافة مدخل الفندق فقط في فترة الصباح
الباكر هذه !! . الواحدة منهن زى القمر وزى لهطة القشطة بنت الإيه
ويتشغل عاملة نظافة .. ولو كانت عندنا في مصر وبالجمال ده لكانت
تزوجت أمير شرق ، أو على الأقل (إكتشفها) مخرج سينمائي من إياهم ،
أو جريت على شارع الهرم !! ..

اشتغلت ،

وسكنت ،

فهدأت واسترحت نفسياً من ناحية الشغل والسكن ، وراح عني
الخوف من الفلس : وبدأت أهيب نفسي لبدء عملي الصحفي الذي
أمر بهذه التجربة من أجله : وبدأت أيضاً أتذكر : كيف نشأت

الفكرة عندى أصلاً ؟ ! . . ثم ماذا حدث لتنفيذ الفكرة حتى وجدت نفسي في النهاية هنا في هذا المكان وفي هذا الفندق وأقوم بهذا العمل . .

كانت البداية قديمة منذ أكثر من ٣ سنوات : « يسرية » صديقة مصرية قالت لي يوماً إنها قررت أن تسافر إلى لندن لتعمل هناك . . طبعاً أنا كنت خالي الذهن تماماً عن هذا الموضوع وعن فرص العمل في لندن . فقلت لها : « تشتغلي في لندن إزاي ؟ هو انتي فكرك إن الشغل في لندن أسهل من الشغل في القاهرة ؟ . . إذا كنتي إنتي مش لاقية شغل أصلاً في القاهرة تبي حاتلاتي في لندن ؟ ! » . . فحككت لي قصة سريعة عن شاب اسمه « عادل محمددين » يتخذ لنفسه مكتباً في نقابة عمال الملاهي والترفيه والحرسونات في شارع عدلي ، وأنه هو الذي يقوم بترتيب إجراءات سفر الراغبين والراغبات في السفر للعمل في إنجلترا ، ويحصل لهم على عقود عمل هناك بحيث يكون سفرهم بشكل رسمي معتمد من الدولتين : مصر وإنجلترا ، وبحيث أن الشاب أو الفتاة يكونان يعرفان من قبل سفرهما المكان الذي سوف يعملان فيه والأجر الذي سوف يتقاضاه كل منهما وكل الترتيبات والتفاصيل الأخرى قبل أن يضع قدمه في الطائرة إلى لندن . . وأن « عادل محمددين » يتقاضى في مقابل ذلك مبلغاً بسيطاً ، نحو ٥٠ جنيهاً مصرياً — على ما أذكر الآن — ولا يمانع أيضاً في قبول بعض الهدايا البسيطة ! ! .

شيء ما في حكاية صديقتنا هذه لم يعجبني وأثار شكوكي . . الحكاية كده شكلها فيه عملية نصب واحتيال ، ويمكن « أشياء أخرى » أيضاً !! . وكانت حكاية العصابات التي تغري البنات المصريات بالسفر إلى بيروت وبعض البلاد الإفريقية واستغلالهن هناك منتشرة في ذلك الوقت . . فذهبت مع « يسرية » مرة لرؤية « عادل محمددين » هذا فزاد شكى : كانت انطباعتي عنه أنه فعلاً نصاب وفهلوي ولا يستطيع الواحد أن يطمئن إليه . . فيه حاجة مش مضبوط ، مش صح ، لكن مش قادر

أعرف أين هي . . فتمت بتحريرات عنه لم تسفر عن شئ ضده : .
ذهبت فقابلت اللواء « مخلوف » مدير عام مصلحة الجوازات وقتها وحكيت
له القصة وصارحته بشكوكى . فقال لى إنه فكر نفس تفكيرى وبحث
الموضوع ولكن لم تصل إليهم شكوى واحدة ضد « عادل محمدى »
هذا ولم تسفر تحرياتهم عن أنه نصاب ولا حاجة . .

وسافرت « يسرية » إلى لندن . وجاءتنى رسائلها بأن كل ما وعد به
« عادل محمدى » فى القاهرة قد تحقق بالضبط ، وأنها تعمل فى لندن
ومبسطة ٢٤ قيراط والحمد لله . .

ومر عامان على هذه القصة ، وضاع من ذاكرتى الموضوع كله فى
زحمة مشاغل العمل والحياة ، ونسيته تماماً مع مضى الأيام والشهور : .

على
سلم

مبنى التليفزيون التقينا : أنا داخل وهى خارجة تجرى ومستعجلة
جداً : الإذاعية « لى سليمان » مقدمة البرامج بالبرامج الموجهة . .
« رايحة فىن يا لىلى وبتجرى ليه ؟ » . . « تعالى معايا وانت تعرف » .
« آجى معاكى فىن ؟ مش تقولى لى الأول ؟ » . . « حاجة يمكن تطلع
منها بموضوع صحفى كويس » . . وفى التاكسى حكى لى « لىلى سليمان »
الحكاية : « لىلى » انتابها الملل والزهق من عملها ونتيجة ظروف أخرى ،
فقررت أن تبعد عن القاهرة وعن مصر كلها لفترة . . وسمعت عن
مكتب فى شارع سليمان باشا يهيء فرص العمل فى لندن للراغبين وللراغبات
من المصريين بعقود عمل رسمية معتمدة من وزارة العمل الإنجليزية : .
نفس القصة التى كنت قد سمعتها من « يسرية » الصديقة المصرية قبل
ذلك بعامين . . وأن « لىلى » خلاص قد أنهت إجراءاتها تقريباً ولم يبق
إلا تحديد موعد السفر فى خلال أيام قليلة . . وأنها ذاهبة الآن إلى هذا

المكتب لأنهم طلبوها بالتليفون لاستكمال بعض البيانات الأخيرة . .

مكتب كبير وفاخر وشيك جداً في عمارة من أكبر عمارات شارع سليمان باشا . . سجاجيد وديكورات وأثاث فاخر واستعلامات وسكرتارية وتليفونات وحسابات قاعدين على مكاتب ، وجو ولا جو الشركات الكبيرة فعلاً . . ودخلت « ليلي » لتقابل المدير وخرجت . . لكنني طلبت منها أن تنتظرنى لأننى سأدخل لمقابلته أنا أيضاً . . طلبت مقابلته فاستقبلنى على الفور : غرفة مكتب واسعة ولا مكاتب الوزراء . . ديكور فخيم فعلاً وأجهزة تكييف وتليفونات ولوحات فنية وأبواب مبطنه بالجلد من الداخل ومن الخارج . . جو فاخر مريح يدعو للثقة والإطمئنان . . والمدير نفسه « الدكتور . . . » رجل علاقات عامة فعلاً : إستقبلنى مرحباً وقال لى - وأنا متأكد أنه لم يكن صادقاً - إنه يعرفنى من خلال كتاباتى ويقرأ لى ويتابعنى من زمان وإنه يسعده أن يلتقى بى شخصياً وأنه تحت أمرى . . قلت له إننى سمعت عن النشاط الذى يقوم به مكتبه فى فتح أسواق جديدة للأيدى العاملة المصرية فى أوروبا ، وأن هذا الموضوع يستهوينى صحفياً لأكتب فيه ، لكن بطريقتى الخاصة التى اعتدت تناول مثل هذه الموضوعات بها ، وهى أن أعيش تجربة كاملة بنفسى حتى أكتب عنها بمعايشة حقيقية وبصدق . . وعلى ذلك فإن ما أطلبه هو أن يتيح لى الفرصة لأن أمر بكل الظروف التى يمر بها طالب العمل المصرى منذ أن يبدأ اتصاله بهذا المكتب حتى يسافر فعلاً إلى لندن ويعمل هناك ، على أن تكون المدة التى أعمل فيها هناك محدودة بشهور قليلة فقط كافية لاستيعاب التجربة حتى أتمكن من الكتابة عنها . .

ووافق « الدكتور . . . » على الفور ، لكنه قال إن الوقت متأخر الآن لبدء إجراءات جديدة لأن الموسم السياحى فى إنجلترا قد قارب الإنتهاء الآن ، وطلب تأجيل ذلك حتى بداية الموسم السياحى الجديد بعد سبعة أو ثمانية شهور . . وأعطانى مقالا مكتوباً على الآلة الكاتبة

لكى أنشره فى مجلة « الإذاعة والتليفزيون » على أنه « بقلمى » !! : :
فأخذت منه « المقال » ووضعتة فى درج مكتبى التحتانى خالص الذى
لا أفتحه إلا مرة كل ٤٣ سنة . .

وسافرت « ليلى سليمان » إلى لندن فعلا ، وانقطعت أخبارها عني ،
ومرت عدة شهور على هذه القصة ، وضاع من ذاكرتى هذا الموضوع
أيضاً ونسيته هو الآخر : :

لكنه

كرجل

علاقات عامة نشيط لم ينس ، فبأتينى صوته من خلال التليفون
ذات ليلة بعد نحو ٧ أو ٨ شهور ليذكرنى بنفسه ، وليقول لى : « إيه
يا راجل . . إنت مش ناوى تنفذ الفكرة اللي كنا اتفقنا عليها ؟ آهو
وقتها جه آهه » . . والتقىنا من جديد . . وكانت الصحافة المصرية قد
بدأت تهتم وتشجع وتفرد صفحاتها لموضوعات سفر طلبة الجامعات
للعمل فى أوروبا خلال أجازات الصيف ، وقال لى « الدكتور : . . »
إن مكتبه هو المكتب الوحيد المعتمد من الدولة ومن وزارة العمل لترتيب
سفر الطلبة إلى أوروبا وتشغيلهم . . وأرأى ملفات وذسيهات وأوراق
رسمية ومحاضر جلسات حضرها ممثلون لوزارات العمل والداخلية والشباب
وغيرها . . ورأيت أن الموضوع يستحق الإهتمام فعلا فقدمت « الدكتور : . . »
مرتين فى البرنامج الإذاعى الذى أشترك فى إعداده ، وقال « الدكتور : . . »
فى الحديثين إن الطالب الذى يسافر إلى لندن بدون تصريح عمل من
وزارة العمل البريطانية يكون يبتحر ويلقى بنفسه إلى التهلكة ويعرض
نفسه للبهلة ولأن « يقفشه » البوليس الإنجليزى ويقوم بترحيله إلى خارج
إنجلترا فوراً إذا اكتشف أنه يعمل بدون تصريح عمل ، بعد أن يرغبه على
رد كل المبالغ التى تقاضاها وهو يعمل بدون تصريح ، وأنه لذلك لا يستطيع

أبداً أن ينصح أى طالب بأن يجازف بالسفر بمجهوده الشخصى دون أن يكون معه تصريح عمل . .

ولما كان مكتبه هو المكتب الوحيد المعتمد من الدولة (!!) لاستخراج تصاريح العمل للطلبة : فإن ذلك كان معناه أن على كل الطلبة الذين يريدون السفر أن يحصلوا على التصريح الذى يفتح أبواب اللجنة من مكتبه هو ، نظير دفع الرسوم التى قال أنها فى مجموعها تصل إلى ٥٠ جنيهاً مصرياً تقاضيلها كالتالى : ٥ جنيهات مصاريف إدارية ، يعنى مقابل مصاريف بريد ومراسلات وتليفونات ومطبوعات وما إلى ذلك + ١٥ جنيهاً قيمة أتعابه التى حددتها لجنة وزارية مكونة من مندوبين عن وزارات . . إلخ + ٣٠ جنيهاً مصرياً تدفع كأمين يستردها الطالب مرة أخرى بعد أن يقوم بسداد مبلغ ١٥ جنيهاً إسترلينياً إلى « مكتبه فى لندن » بعد أن يتسلم العمل هناك ، وهذا المبلغ هو قيمة الرسوم التى تقاضاها وزارة العمل البريطانية فى مقابل استخراج (تصريح العمل) للطالب :

وما
أن

أذيع الحديثان فى الراديو حتى انهالت المكالمات التليفونية على مكتب مقدمة البرنامج : « إيه الكلام اللى انتوا بتقولوه فى الراديو ده ؟ الراجل ده نصاب ويضحك على الناس ، والطلبة اللى سافروا عن طريقه فى الستين اللى فاتوا إتبهدلوا آخر بهدلة ، ولا اشتغلوا ولا عملوا . . وتيجوا إنتوا تقولوا الكلام ده فى الراديو وفى إذاعة الدولة الرسمية ، يبقى معنى كده إن الدولة نفسها بتعتمد هذا الكلام « !! . . وتحيل مقدمة البرنامج أصحاب هذه المكالمات إلى حسين قدرى على اعتبار أنى أنا الذى قدمت هذه الفقرات . . ويتصل بى بعضهم فعلاً لكنهم يرفضون أن يفصحوا عن أسمائهم ، والبعض الآخر جاءوا شخصياً لزيارتى ، لكننى لم أجد ما يثبت

صدقهم إلا مجرد أنهم « يقولون » ذلك . إذن ما الذى يجعاني أصدقهم هم وأكذبه هو طالما أن المسألة من ناحية الطرفين « مجرد كلام » لا يشته شيء . وإن كان كلامه هو أقرب إلى التصديق بحكم الأوراق والملفات والدوسيهات وندائهم بالجلسات التى شهدت بها بنفسى وشهدتها أيضاً مقدمة البرنامج حين أزعجتها كثرة المكالمات التى تدعى أننا قدمنا نصاباً ليتكلم فى الراديو من خلال ميكروفون الإذاعة . . وكانت وجهة نظر « الدكتور » معقولة فعلاً ، وهى أن : الحاقدين الذين يحقدون على أى عمل ناجح ويريدون هدمه كثيرون ! .

ولما كانت « المية تكذب الغطاس » و « خليك ورا الكداب لغاية باب الدار » كما تقول الأمثال . . فإن اتفاقنا أنا وهو كان « أن أمر بالتجربة بنفسى » . . وبدأ « الدكتور » فعلاً فى ترتيب إجراءات سفرى ضمن مجموعة من الطلبة لأعمل فى لندن مثلهم تماماً . . وعلى هذا الأساس حضرت عدة اجتماعات له فى مكتبه مع الطلبة الراغبين فى السفر . . وشاهدت وسمعت بنفسى الكلام الشديد الإقناع الذى كان يقوله لهم : « إنتم كلكم أولادى على اعتبار إنى أستاذ جامعة سابق (!!) ودى مش اسكندرية لو رحت مالقيتشى شغل تاخد الديزل المجرى وترجع مصر . دى لندن وفيها سفر وبحر وطيارة . . مش ممكن أسييكم تسافروا من غير تصاريح عمل وتلاقوا نفسكم صايعين فى شوارع لندن ورجليكم الإثنين مشعلقة فى الهواء . . لكن لما تسافروا بتصاريح من وزارة العمل البريطانية حاتلاقوا الشغل فى انتظاركم ، و « مكتبنا فى لندن » حابرعاكم ويتابعكم ويحل لكم أى مشاكل ممكن تصادفكم هناك » . .

وبعد اجتماعاته مع الطلبة التى حضرتها فى مكتبه بدأ يصلنى أنه يقول للطلبة فى الاجتماعات التى عقدت بعد ذلك دون حضورى إن « الأستاذ حسين قدرى - دى اللى هو أنا - هو المستشار الصحفى للمؤسسة - هكذا (!!) - وأن المؤسسة سوف توفدنى إلى إنجلترا فى الصيف « لأشرف » على الطلبة الذين سيسافرون عن طريق المؤسسة !! »

حدث

مفاجأة : إنجلترا - على كلامه هو - رفضت إعطاء مصر حصة عمالة هذا العام اعتبار أن إنجلترا قد انضمت إلى دول السوق الأوروبية المشتركة ، ونظام السوق يجعل العمل في هذه الدول مقصوراً على المواطنين من دول السوق فقط ، بمعنى أنه غير مسموح بالعمل في إنجلترا الآن إلا لمن يحملون جنسيات أى دولة من دول السوق الأوروبية المشتركة فقط . . .

« طيب وبعدين يا دكتور ؟ حاتعمل إيه في المشكلة دي ؟ حاترجع للطلبة فلوسهم وتقول لهم مفيش سفر السنة دي ؟ ! » . . . « أبدأ . . . ولا يهملك . . . برضه مكتبنا في لندن حاتصرف في الحكاية دي » . . . « حاتصرف يعني حايعمل إزاي ؟ ! » . . . « يعني برضه حايشغل الطلبة من غير تصاريح عمل » . . . « طيب والكلام اللي أنت قلت في الراديو واللى انت دائما تقوله للطلبة في اجتماعاتك معاهم ، وتخويفك لهم دائماً من السفر بدون تصاريح عمل والصياغة في شوارع لندن والنوم في الهايدپارك والبوليس الإنجليزي ؟ ! » . . . حاتسحب الكلام ده كله إزاي ؟ ! » . . . « لأ . . . ما هو الطالب لما يسافر لوحده غير لما يبقى مسافر عن طريقنا ، لأن (مكتبنا في لندن) حايسهل له كل الأمور وحايشغله بمعرفته ويقف جنبه وقت اللزوم » . . . « طيب بفرض كده . . . المفروض في الحالة دي إن الطالب ما يدفعشى الـ ٣٠ جنيه اللي كانوا حايروحوا لوزارة العمل الإنجليزية في مقابل استخراج تصريح العمل ، ما دام مش حا يكو فيه تصريح عمل أصلاً » . . . « لأ . . . ما هو المبلغ ده حا يأخذه » مكتبنا في لندن « في مقابل الحصول على عمل للطالب » . . . « أمال الـ ١٥ جنيه اللي الطالب بيدفعهم هنا لمكتبكم اللي في مصر بتوع إيه ؟ ! »

: . مش دول برضه فى مقابل الحصول له على عمل فى لندن ؟ « ! . .
لا جواب . . أو على الأقل : لا جواب متنع . .

وبدأ الفار يلعب فى عبي : أكونشى ورطت نفسى فى عملية نصب
على الطلبة وأنا مش واخذ بالى ؟ ! . . وصارحت « الدكتور . . . »
بأن الصداقة شئ والصحافة شئ آخر . . وبأئنى طول عمرى صحفى
ملتزم بأمانتى الصحفية وأمام الحق ما باعرفشى أخويا ، وأئنى لو قبلت
دعوته بالسفر إلى لندن فلن أكتب حرفاً واحداً يخالف ما سوف أراه
على الطبيعة فعلاً . .

وبدأ التراجع . . وبدأ يؤجل ويماطل فى موعد سفرى . . وبدأت
عمليات التفتيش . . وبدأ ناس من المقربين جداً إليه يتصلون بى
ليقولوا لى إن من مصلحتى أن أعدل عن السفر وأن أبتعد عنه لأن العملية
كلها نصب فى نصب ، وحتى لا « تيجى رجلى فى الموضوع » حين ينكشف !! . .
ولم أتصور للحظة واحدة أن هؤلاء الناس — الذين يعملون معه — قلبهم
على أنا أكثر مما قلبهم عليه هو أو على أنفسهم شخصياً . . لم أتصور
أن أمرى يهمهم أكثر مما يهمهم أمره هو ، فازددت إصراراً على
المضى فى التجربة حتى لو أدى الأمر إلى أن أسافر عن غير طريقه . .
وصارحته بذلك ، فسلم أمره لله وحدد موعد سفرى . . وسافرت فعلاً مع
مجموعة مكونة من ١٠ من الطلبة . . وكان ما كان وحدث ما حدث مما كتبه
فى الفصل الأول من هذا الكتاب . . وطرдна مستر « برايان وورثنجتون »
الذى أرسلنا « الدكتور . . » إليه فى لندن . . ويتضح أنه لا يوجد « مكتبنا
فى لندن » ولا يحزنون . . ويتضح أن المسألة كلها ، بلاش أسميها أنا ،
لكنها كما عرضتها تماماً . .

وفى لندن

تحدث عدة مفارقات تستحق أن تروى هنا . . . فقد حدث فى خلال ال ١٢ يوماً الأولى التى كنت أبحث فيها عن عمل بنفسى فى لندن ، أن ذهبت مع صديقة مصرية تعمل هناك إلى فندق « سان جيمس » لأقابل « مس شپرد » المسئولة عن التعيينات فى الفندق بعد أن زكنى الصديقة المصرية عندها . . . ووافقت « مس شرد » على تعيينى وأعطتنى طلب الإستخدام المطبوع لكى أملأ بياناته ، فملأت البيانات وأعدت الطلب إليها ، لكن الصديقة المصرية الطيبة أرادت أن تخدمنى أكثر فقالت : « مس شپرد » إننى صديق « الدكتور . . . » الذى تعرفه « مس شپرد » ، فما كان من الست إلا أن « رجعت فى كلامها » وردت لى الطلب معتذرة بأنه لا توجد لديها وظائف خالية فى الوقت الحالى ! ! .

ومرة أخرى كنت فى مكتب مستر « برايان وورثنجتون » الذى جمعتنا الظروف بعد ذلك فتعرفت به بعد أن اشتغلت فعلاً ، فدخلت مكتبه فتاة مصرية تعمل فى إنجلترا منذ عدة سنوات إسمها « آمال صبحى » ، وهى تصحب معها شابين مصريين : « عبد الحميد على الششتاوى » من كلية الطب ، و« مجدى بكير حسن » من كلية الإعلام بجامعة القاهرة ؛ جاءا من مصر بخطاب من « الدكتور » ، لكن مستر « برايان » طردهما كالمعتاد . . . وضاع الشبان فى شوارع لندن لمدة خمسة أسابيع دون أن يوفقا فى الحصول على عمل ، فعاشا فى بيت « آمال صبحى » التى تعرف أسرتيهما من مصر فيما يبدو . . . ثم جاءت معهما لتقابل مستر « برايان » الذى أعطاهما خطاباً يفيد بأنهما لم يشغلا عن طريقه وأنه لا علاقة له بـ « الدكتور » على الإطلاق ، حتى يستطيعا أن يستردا مبلغ ال ٥٠ جنيه الذى دفعه كل منهما إلى « مكتبه فى القاهرة » ! ! . . .

ثم — بعد أن اشتغلت أيضاً — أتلقى تليفوناً من الأخ « محمد أحمد إبراهيم » الذى كان « الدكتور . . . » قد قال لى عنه فى مصر أنه « أحد مساعديه فى لندن » . ولما اتصلت به بعد وصولنا إلى لندن أنكر نفسه وادعى أنه مريض وفى المستشفى وسيعود سنة ٩٩٩٩ . . يتصل بى الأخ « محمد أحمد إبراهيم » بعد أن عرف أنى صحفى وعرف رقم تليفونى بصورة ما ، ليطلب أن يلتقى بى هو و « كامل دسوقى » — مساعد « الدكتور » فى لندن أيضاً !! — الذى كان قد رد على مكالمتى التليفونية بخفاء وغاظة حين طلبته ليلة وصولنا إلى لندن وقال إنه « مش فاضى للحاجات دى » . . طلبا أن يلتقيا بى ليحكيا لى كلاماً كثيراً عن « الدكتور . . . » !! . . لكننى اعتذرت لهما وقلت إنى لست محتاجاً الآن لأن أسمع منهما شيئاً طالما أنى رأيت بعينى كل شئ ، وأننى أمر بالتجربة بنفسى الآن ! .

ويعود الأولاد

الذين سافروا معى وطردهم مسر « وورثنجتون » إلى القاهرة ، وينهبون فى مظاهرة ثائرة إلى مكتب « الدكتور . . . » ، ويسوقه « عليه » أمامه — تحت تهديد مسدسه — إلى البنك ، فيرد لهم على الفور المبالغ التى دفعوها — بعد أن يستبقى لنفسه مبلغ خمسة جنيهات من كل منهم ، كـ « مصاريف إدارية » — برضه !! — . . ويندهش الأولاد لهذه الطيبة والمسألة التى لم يكونوا يتوقعونها . . لكن إذا عرف السبب بطل العجب : تفجرت الأمور فى القاهرة فى فترة غيابنا عنها ، مباحث وزارة الداخلية هاجمت مكتب « الدكتور . . . » وقامت بتفتيشه ، وأحالته إلى النيابة العامة . . وأمام النيابة العامة يعترف « الدكتور » بأنه ليس « دكتوراً » ولا حاجة ، وإنما هو مجرد « إسم شهرة » !! . . ويعترف بأنه ليس — ولم يكن فى يوم من الأيام — أستاذاً جامعياً كما كان يدعى أمام الطلبة دائماً . .

ويعترف ويعترف ويعترف : : وتسحب إدارة الأمن العام في وزارة الداخلية منه تصاريح تعامله مع الهيئات الأجنبية في الخارج . . ويأمر نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية بتحويل كل أوراق قضية « الدكتور » إلى المدعى العام الإشتراكي ، لاتخاذ الإجراءات اللازمة لحماية مئات الآلاف من طلبة الجامعات من هذه المكاتب الوهمية التي تباع للشباب الأمل الكاذب في العمل في الخارج ! ! .

كل الأمور

قد استقرت بالنسبة لي الآن : إشتغلت ، وسكنت ، ووفرت نفقات مواصلاتي ، واطمأنيت بالنسبة لموضوع الأكل والشرب أيضاً . . فبدأت أبحث عن الأصدقاء الذين سبقوني إلى لندن . . . الإذاعية « ليلي سليمان » عثرت عليها . . صديقتنا المصرية « هدى » عمدة لندن عثرت عليها ونزلت مع باقي الأولاد المصريين في ضيافتها أسبوعاً . . أبحث الآن عن « يسرية » الصديقة المصرية التي كانت السبب أصلاً في تجربتي ، وصديقتي الصغيرة « بيسة » طالبة كلية التجارة جامعة القاهرة التي أوصاني بها خيراً والدها الأستاذ في جامعة الأزهر ، والتي كان مفروضاً أن نسافر معاً لكنها سبقتنى إلى لندن بنحو أسبوعين . .

رفعت سماعة التليفون وطلبت الغرفة رقم ٥٦٨ في الفندق الذي تعمل وتقيم فيه « بيسة » . : وما إن سمعت « بيسة » صوتي حتى اختنق صوتها بالبكاء من فرط التأثر ، ثم بمجرد أن استطاعت أن تنطق كان أول كلام قالت : « أونكل حسين عايزة أروح مصر ، عايزة أرجع مصر حالا ، مش عايزة أستنى هنا ولا دقيقة واحدة بعد دلوقتي » ! ! .

(٥)

□ هؤلاء الأولاد الهايفين . .

وتصرفاتهم الطائشة !! □

» ليه

يا بيسة ؟

مش دى لندن اللي كنتى حاتموتى عليها وكنتى عمالة تستعجلى
ميعاد سفرك علشان تشوفى لندن ؟ ! » . . قالت ونحن نتمشى فى
الـ « هايدپارك » ليلاً بعد أن التقينا فى محطة الأندرجراوند فى (ماربل آرش) :
« كنت مخدومة . . ما كنتش فاكدة إنها كده . . تعبانة جداً من
الشغل . . بيتهد حيلى فيه . . الإنجليز ما بيدفعوش بنس واحد إلا إذا
كانوا حاياخدوا قده ١٠ مرات . . ولولا شمانة الأهل والمعارف كنت رجعت
مصر من تانى يوم . . ما كنتش فاكدة إن المسألة كده أبداً . . وكمان شاعرة
إنى وحيدة جداً ولأول مرة بعيدة عن أهلى وبابا وماما وإخوانى اللي عمرى
ما بعدت عنهم . . صحيح معايا فى نفس الأوضة ٤ بنات مصريات ،
لكن الأهل هم الأهل . . مش قادرة أبعد عن أهلى أكثر من كده . . عايزة
أرجع لبابا ولماما ولإخوانى وليتى ولأوضتى ولأصحابى » . .

وهذأت من روع « بيسة » ، وقلت لها إن هذه هى ملامح التجربة ،
ففيها الحلو وفيها المر ، فيها التعب وفيها الراحة ، وفيها المتعة وفيها المتاعب ،
فيها السعادة وفيها الشقاء ، مثلها فى ذلك مثل أى شئ فى الدنيا . .

واقترنت « بيسة » أخيراً بأن تعطى لنفسها فرصة أخرى . . مهلة أخرى
تحاول فيها أن تتعايش مع التجربة وتتفاعل معها وتؤقلم نفسها عليها ،

بعد أن اطمأنت إلى أنها — بوجودى — لن تكون وحيدة بعد الآن . . . وأننى سأنوب لها عن الأهل وعن الأصدقاء . . . وأنها إذا كانت — بحكم علاقتنا العائلية — ترانى فى القاهرة مرة كل أسبوع . فسوف تجلنى هنا فى لندن بجانبها ومعها كل يوم . . . فنفس مشاعر الوحدة والغربة التى تحس بها هى أشعر بها أنا كذلك . . .

وإذا

كان

البعد عن الأسرة وعن البيت وعن الأهل قد أخذ هذه الصورة عند « بيسة » : صورة الحزين والرغبة فى العودة . . . فإن البعد عن البيت يأخذ أحياناً صوراً أخرى غريبة جداً : صورة الولد المصرى الطايح الذى استبدل الناصية التى كان يقف عليها فى شارعهم فى القاهرة بناصرية أخرى فى شارع آخر فى لندن . . . وصورة البنت المصرية التى جاءت إلى لندن فشعرت أنها هنا بلا أسرة وبلا أهل . وبالتالي بلارقيب أو حسيب ، فانطلقت تفرج عن كبتها الذى كانت تعاني منه فى مصر ، وتمارس ما تتصور أنه « حريتها » . بطريقة « اللى يعرف خالى يروح يقوله » كما يقول المثل الشعبى عندنا !!! . . . وتبدأ الأخلاق التى جاء بها وجاءت بها من القاهرة تظهر وتتضح فى تعاملاته وتعاملاتها هنا فى لندن . . .

ذلك ليس معناه أن كل الأولاد أو كل البنات المصريين الذين هنا نماذج سيئة ، بالعكس ، هنا أيضاً نماذج ممتازة جداً ومشرفة جداً ، لكنها فى الحقيقة لا تمثل ظاهرة ، إنما الذى يمثل ظاهرة حقيقية — وغريبة فعلاً — أن الغالبية العظمى من رأيتهم وقابلتهم هنا هى النماذج التى « هربت » من مصر لتمارس شطحاتها وانفلاتاتها هنا ! .

● ما إن يجد الشاب المصرى أو الفتاة المصرية عملاً هنا ، ويكون معه مصرى آخر يعمل إلى جانبه ، حتى تبدأ التصرفات الهايفة وخفة الدم التى فى غير موضعها والـ « عمال على بطلال » تظهر . . . ويسوق الهبالة

على الشيطنة على الإستعباط على الخيافة . فيرغم أصحاب الأعمال على ألا ينظروا إليه نظرة محترمة . ويترك انطباعة سيئة عندهم عن المصريين :
 ● صديقنا طالب كلية الطب الذى يعمل جرسونا فى كافيتيريا « A. B. C »
 . . مديرة الكافيتيريا أعطته « تورتاية » لكى يضعها فى الثاثرينة . فببساطة جداً تسلل بها إلى المطبخ لكى : يأكلها !! لولا أن المديرة لحقته قبل أن يأكلها فأخذتها منه وكادت أن تفصله من العمل لولا أن ساق عليها كل الناس . مدعياً أنه « فهم » أنها قد أعطته التورتاية ليأكلها !!
 . . البية طالب كلية الطب « فهم » أن الست تقدم إليه تورتاية بحالها — تكفى حفلة — لكى « يتشبرق » بينها لغاية ما ييجى ميعاد الغداء ! !

● « محيى » و « عماد » . . طالب ثانوى وطالب جامعة . يعملان جرسونات فى كافيتيريا . ويعودان مع المساء كل ليلة ليضحكيا لنا مغامراتهما الصببانية فى المكان الذى يعملان فيه . وكيف أنهما يتصرفان بقلة أدب وإهمال واستهتار ويكسران الفناجين والأطباق متعمدين ، ويغنيان باللغة العربية بصوت عال أمام رواد الكافيتيريا ومديرتها ، ويناديان على بعضهما من أول المحل لآخر المحل بشكل يلفت نظر الزبائن ويزعجهم ويضايقهم . . « محيى » و « عماد » يحكيان ذلك بفخر وهما يتصوران أنه ظرف وخفة دم وأنهما يضحكان على الإنجليز . : برغم أنهما جربا وذاقا مرارة التعطل والتسكع فى شوارع لندن حتى وجدوا هذا العمل . . لكنها النمرودة . .

● ثلاثة شبان مصريين : « علاء » و « سيد » و « على » . . تائهون فى شوارع لندن ومعهم ورقة مكتوب فيها عنوان . . إستوقفوا إنجليزياً فى الشارع ليسألوه . . من قال لا أدري فقد أفنى . . الرجل لم يعرف العنوان فقال لهم : « متأسف ، مش عارف » . . فينسحب « سيد » من لسانه بدون مناسبة ليقول « علاء » باللغة العربية : « سيك منه ده حمار » فيرد الرجل الإنجليزى باللغة العربية المكسرة : « مين فينا اللي نخمار

يا خومار ؟ !! . . ويتضح أنه يعرف شوية عربي كانت كافية ليفهم الشتيمة . . وكادت أن تحدث مشكلة لو تدخل فيها البوليس لطردهم جميعاً من لندن ! .

● الشقيقتان المصريتان ، طالبتا الجامعة ، اللتان تعملان معاً في كافيتيريا واحدة . فأحالتا الكافيتيريا إلى قهوة بلدى من قهاوى شارع الخليج : ضحك وكركة بصوت عال . . هزار مع بعض ومع باق الأولاد المصريين الذين يعملون معهما . بطريقة ملفتة للنظر . . ويضيع الشغل ويرتبك العمل مع الإستهتار والتهاون والمياصة . . وتتعدد الأمور زيادة حين تنضم إليهما زميلة ثالثة مصرية أيضاً ، فلا تجد مديرة الكافيتيريا بدأً من أن تضع حداً لذلك كله ، فتفصل الثلاثة معاً في ليلة واحدة ، وتصبح الصورة أمام كل الناس أن البنات المصريات يفصلن بالحملة . . ويبدأ البكاء وتبدأ الدموع والتوسل والإستعطاف ، حتى توافق المديرة في النهاية على أن تبقى واحدة منهن فقط ، حتى توقف هذه المظاهرة المصرية الصاخبة وهذا الدلع اللي مالوش لازمة ! .

● فتاة مصرية طالبة بجامعة الإسكندرية : جميلة وحسنة صـحيح ما قلناش حاجة ، ممشوقة القدر رشيقة القوام ما قلناش حاجة ، بيضاء وشقراء وذات شعر أصفر وعينين دعجاوين ما قلناش حاجة . . لكنها مغرورة جداً وواحدة في نفسها ٣٠ قلم ومش طايقة الدنيا من فرط إحساسها بحسنها وجمالها ومتصورة أنها ست الحسن والجمال وأن على العالم كله أن ينحني لجمالها . . رفضت أن تعمل كجرسونة في كافيتيريا ، ورفضت أن تقوم بترتيب الغرف في الفنادق ، ورفضت أن تعمل عاملة شباك تذاكر في سينما ، لأن كل هذه الأعمال مش قد المقام السامى الكريم . : طيب أmaal جاية لندن تشتغلى إيه ؟ ! رئيسة وزارة مثلاً ؟ ! عضوة في مجلس اللوردات ؟ ! . .

● الفهلوية والعارفون يواطن الأمور ، الذين يفتون في كل شيء

ويفهمون في كل شيء في لندن وهم لسه واصلين حالا ولا يعرفون ولا كلمة إنجليزية . . . والمعارضون على كل شيء . . . وبمجرد أن يعملوا يصبحون هم المحاور التي ينبغي أن تدور حول الدنيا كلها . . . ويحكون نوادرهم ومغامراتهم في أماكن عملهم بالطريقة التي تصورها أبطالاً صناديد الأماكن التي يعملون فيها ما كانتشى عارفة - مسكينة ياعيني - تشتغل ولا تمشي قبل أن يعملواهم فيها : ويمكن - والله أعلم - تتوقف وتغلق أبوابها بعد أن يتركوها ويعودوا إلى مصر . . . لكنني أتصور أنها غالباً سوف تتوقف وتغلق أبوابها وهم هنا بفضل مجهوداتهم العظيمة . . . ولن أستغرب أو أندمش إذا قطعت إنجلترا علاقاتها السياسية بمصر بسبب ومن تحت رأس الأولاد الهايفين وتصرفاتهم الطائشة ! :

ياترى أخبار

مصريه ؟ . . . لانستطيع أن نستمع في لندن إلى أى إذاعة عربية . . . ونادراً ما تجد في السوق جريدة عربية ، وإذا وجدت فهي صحف بيروتية غالباً . . . والصحف الإنجليزية طوال المدة التي قضيتها هنا حتى الآن لم تنشر سطوراً واحداً عن مصر أو أخبار مصر . : على أى حال المثل الإنجليزي يقول : « إذا كانت لا توجد أخبار فذلك في حد ذاته خبر كويس » ، وبما معناه أنه إذا كانت مفيش أخبار خالص يبقى على الأقل مفيش أخبار سيئة . . .

تهت أنا « ييسة » في شوارع لندن ونحن نبحث عن متحف « مدام توسو » - متحف الشمع - وبرغم أن مشاهدة المتاحف ليست من هواياتي ، لكنها على أى حال يجب أن تشاهد خصوصاً إذا كنت في بلد أجنبي . . . سيدة إنجليزية جاوزت سن الشباب تعبر الشارع إلى جوارنا إستوقفناها لنسألها - بالإنجليزية طبعاً - عن شارع (ميريليون

رود) ، ففوجئنا بها ترد علينا باللغة العربية ! ! . . . عرفت من شكلنا أننا مصريان . . . هي الأخرى مصرية من القاهرة . . . أشبهت عليها فأكتشف أنها أرملة صديقنا الكبير المرحوم الدكتور « صبرى جرجس » الطبيب النفسى الشهير . . . جاءت إلى لندن بعد وفاة الدكتور « صبرى » لتقضى الصيف إلى جوار إبنهما « رعوغ » الذى يدرس العقل الإلكترونى « الكومبيوتر » هنا فى لندن . . .

ولا نكاد نترك مدام « صبرى جرجس » ونسير بضع خطوات فى شارع (إدجوار رود) حتى تقتحم أذن حكاية باللهجة المصرية تحكيها فتاة تسير إلى جوارنا . . . هذا الصوت - العالى - أنا أعرفه . . . وفعلا : زميلتنا الصحفية فى الأهرام « شويكار على » ، جاءت إلى لندن مع عريسها كجزء من رحلة شهر العسل . . . منذ سنة بالضبط تزاملت أنا و« شويكار » فى رحلة صحفية إلى قبرص ، ومنذ ذلك الحين لم نلتق فى القاهرة إلا مرة أو مرتين . . . وتجمعنا الظروف هنا فى شوارع لندن الآن : هى عروس فى شهر العسل ، وأنا بواب قد الدنيا ! .

بعد
أيام

قليلة من عملى فى الفندق استطعت أن أحفظ مسالك ومتاهات الفندق الذى يشبه بيت جحا . . . ولأنه مكون من طابقين فقط فإن غرفه ٣٦٠ موزعة على ثمانية أجنحة ممتدة فى اتجاهات مختلفة . . . أستطيع الآن أن أقوم بجولة الأمن وحدى كل ليلة . . .

جولة الأمن هذه المفروض أن أقوم بها كل ليلة . . . فى الواحدة وفى الثالثة وفى الخامسة صباحاً ، للمرور على كل شبر فى الفندق للتأكد من أنه لا يوجد به متسللون أو غريباء ، أو حتى لا يحدث فجأة حريق فى أى مكان دون أن ننتبه إليه . . . وبرغم انتظام الإنجليز الشديد فى أداء

أهمهم على الوجه الأكمل دون رقابة إلا أن الإحتياط واجب برضه :
 خصوصاً فيما يتعلق بموضوع الأمن . وخصوصاً أن القنابل الأيرلندية
 تنفجر هذه الأيام في كل مكان في لندن دون سابق إنذار . . . لذا فإنه
 لا بد من ضمانات حتى لا يصهين ال « پورتر » عن القيام بجولة الأمن
 في مواعيدها كسلا أو انشغالا : آخذ معى ساعة ذات شكل خاص
 تشبه المنبه ، بداخلها شريط ورقي يشبه شريط الآلة الكاتبة . وبها فتحة
 تتسع لمفتاح معين . . . وتوزعت في أرجاء الفندق ٢٢ مفتاحاً من هذا
 النوع ، وكل مفتاح محفور عليه رقم مسلسل ، من ١ إلى ٢٢ . . . أضع
 المفتاح في الساعة وأديره فيختم الرقم المحفور على أسنان المفتاح على الشريط
 الورقي الموجود داخل الساعة . ويختم أيضاً الوقت الذي مرت فيه على
 هذا المفتاح . . . وهذه المفاتيح موزعة على أرجاء الفندق بتسلسل خاص
 بحيث إنى حين أنتهى من ختم المفاتيح ال ٢٢ جميعها أكون قد مرت
 على كل شبر في الفندق فعلاً . . .

الغريب أنهم مع حرصهم الشديد على تنفيذ جولة الأمن هذه ثلاث
 مرات كل ليلة ، إلا أنه لا يوجد في الفندق كله حارس واحد لا ليلاً
 ولا نهاراً . . . المفروض أنى أنا هذا الحارس ، وأنا لست مسلحاً ولا حتى
 بدبوس إبرة ، يعنى لو طلع لى حد فى الظلام وشخط فى ، حاطب ساكت ! .

أسبوع
كامل

مر على الآن فى العمل . . . أقلمت نفسى الآن تماماً مع العمل ،
 وأصبحت أتصرف بثقة وكأننى ولدت لأكون « پورتر » طول عمرى . . .
 وزال نخجلى تماماً من موضوع البقشيش ، بالعكس ، أصبح مصدر
 تسلية لى أختبر به فراستى فى معرفة التريل الذى سيدفع بقشيشاً من التريل
 اللى حايبصهين . . . من شكل التريل وطريقة تصرفه والتعبير الذى

على وجهه ، ومشيته ورأى أو أمانى وأنا أوصلى له حقائبه إلى غرفته . .
بل أصبحت لى فراسة خاصة أيضاً فى معرفة « قيمة » البقشيش الذى
سيدفعه . . الظاهرة الغريبة جداً أن التراء الذين يبدو التراء على مظهرهم ،
وعلى حقائبهم الكثيرة الكبيرة الفاخرة ، لا يدفعون بقشيشاً ، ويعموا
حركات للتهرب منه . كأن يتشاغلون بالكلام مع من معهم ، أو
« عد » العملات الفكة التى معهم حتى يخجل ال « پورتر » فينصرف ،
أو يتركون حقائبهم فى مدخل الفندق لكى يذهب بها ال « پورتر » وحده
وهم غير موجودين فى غرفهم . . وفى الوقت نفسه فإن هناك نزلاء يبدو
شكلهم أصلاً أنهم لن يدفعوا بقشيشاً ، ومع ذلك يدفعون بقشيشاً
كبيراً ، مثل ذلك الرجل المكعب المبهدل من (روديسيا) الذى لا يتواءم
شكله أبداً مع فخامة الفندق ويبدو غريباً على مجتمعه الفاخر . الذى
بعد أن أوصلته إلى غرفته مد يده لى وفيها ثلاثة جنيهات . . ثم حين
نزل فى الصباح طلب أن يشتري طوابع بريد ليضعها على خطاب يرسله
إلى روديسيا ، فوضعت له طوابع بريد ٦ بنسات ، فأعطاني جنيهين
آخرين ! ! . . لكن أمثال هذا الرجل ليسوا هم القاعدة ، فهناك أيضاً
تلك السيدة العجوز التى بدا على شكلها من اللحظة الأولى أنها ليست
من النوع الذى يعطى بقشيشاً على الإطلاق ، لكنها بعد أن أوصلت
لها حقائبها إلى غرفتها أستمهلتنى — هى من نفسها — لكى تعطينى
بقشيشاً ، وقلبت كيس نقودها كله على السرير فامتلاً السرير بالفكة ،
ونكشت نكشت نكشت حتى أخرجت من بينها : نصف بنس . .
تعريفة . . وأعطته لى . . فأعدته إليها مرة أخرى وأنا أقول لها على
الفور : « متأسف . . ماعنديش فكة » ! ! . .

وبمناسبة البقشيش ،

نسيت أن أقول شيئاً حدث في أول ليلة لي في الفندق وعند بداية تعاملي مع البقشيش : قال لي «ريتشارد» ليلتها إن البقشيش الذي يجمعه كل منا لا يضعه في جيبه ، وإنما نضع جميعنا رصيدنا في نهاية الليلة في صندوق واحد . ثم في نهاية الأسبوع تقسم الحصيلة كلها بيننا بالتساوي : أنا و «ريتشارد» و «توني» ، الزميل الإنجليزي الثالث الذي أعمل معه في الأيام التي يكون «ريتشارد» فيها في أجازة . . .

ولأن اليوم كان نهاية الأسبوع ، فقد أعطاني «ريتشارد» مظروفاً به نصيبي من البقشيش عن الأسبوع المنتقضى : ٦ جنيهات فقط لا غير ! . . . يا ولاد ! . . . يا للصوص يا حرامية يا نور . . . قطعاً أنا جمعت في هذا الأسبوع ليس أقل من ٢٠ جنيهاً ، لأن الذي أضعه كل ليلة في الصندوق لا يقل عن ٣ جنيهات في المتوسط ، والمفروض أنني أحدثهم وأقلهم خبرة وممارسة في موضوع البقشيش ، وأنهما — «ريتشارد» و «توني» — يجمعان أكثر مني ، فكان المفروض أن يكون نصيبي «أكبر» مما وضعت في الصندوق وليس «أقل» . . . لكن الظاهر أن المسألة فيها خم واستكراد . . . وأحكى لـ «أمين القصاص» ، صديقي جرسون الكافيتيريا طالب كلية التجارة ، ما حدث ، فيقول لي : «لأنك طيب وساذج ومش عارف تعاملهم بمعاملتهم» . . . «إزاي يا أمين ؟» . . . «يا عزيزي البيه ، صحيح ماتديش ، فكة تقسم بالنص ، تطلع في الآخر إنت الكسبان» . . . لم أفهم شيئاً طبعاً . . . «زدني إيضاحا ياسى أمين أفادكم الله» . . . «شوف يا بيه . . . الجنيئات الصحيحة والدولارات الصحيحة والعملات الورقية على اختلاف جنسياتها ، دى تدخل جيبك الشخصى فوراً ، مالهش دعوة بالصندوق . . . الفكة نصفها لجيبك ونصفها للصندوق . . .

وفي الحالة دي تطلع إنت كل ليلة باتنين ثلاثة جنيه لحسابك الخاص ،
والباقي تحطه في الصندوق وتأخذ نصيبك فيه آخر الأسبوع برضه ..
طلع كثير طلع قليل مش مهم .. وتأكد إنهم هم كمان بيعملوا كده « !! ..
يا ابن الإيه يا « أمين » .. والمصيبة إن اسمه « أمين » !! ..

و « أمين

القصاص »

في نظري هو أصدق تمثيل لشخصية الولد المصري الفهلوى الحريك
الفرعونك اللي يفوت في الحديد ويسلك في أي مصيبة ، اللي ترميه في
النار وأنت تخشى على النار من أن يحرقها « أمين » !! ..

« أمين » ابن بلد وشهم وخدم ويعرف الأصول ويبيع روحه
علشان واحد مصري زيه .. لدرجة أنه مرة وجد زميلاً حديث العهد
بالعمل في لندن محتاس ومش عارف يغسل ملابسه إزاي ويكويها فين ،
فيتطوع « أمين » ليأخذ منه ملابسه ليغسلها بنفسه ويعيدها إليه مكوية
ومتطبقة . جدعنة ، دون أن يتقاضى منه بنساً واحداً !! .. لكن مع
الإنجليز ف « أمين » هو أبو لمعة المصري حين يقع في براثنه خواجة ، مع
تغير طفيف : « أمين » ليس كذاباً ولا بكاشاً ولا مياساً ، إنما هو
يتصرف مع الإنجليز في الكافيتيريا من خلال وجهة نظر يعلنها ولا يخفيها —
عن أصدقائه المصريين فقط طبعاً — : هو قادم إلى لندن لـ « يخم »
الإنجليز في عقر دارهم ، وينتقم — على قدر إمكانياته — من إستعمارهم
لمصر ٧٠ عاماً : « ياما سرقونا ونهبونا ومصوا دمنا واستولوا على خيراتنا ..
فش أقل من إني أحاول أسترد منهم ولو جزء صغير » !! وانطلاقاً من
هذا المبدأ « يؤمم » أمين نصف إيراد الكافيتيريا كل ليلة لحساب نفسه ..
إنتماماً من أحقاد الإنجليز المستعمرين !!

وجهة نظر .. والمصيبة — مرة ثانية — إن اسمه « أمين » !!

أصبحت موظفاً

قديماً اليوم بعد عشرة أيام فقط من تعييني في الفندق . . فقد انضم إلى واديتي مع «ريتشارد» زميل جديد عين اليوم : «ريكمار لوبيز Ricmar Lopez» . . شاب فلبيني عمره ٢١ سنة جاء من (ماندالا) ليستقر هنا في لندن . فأصبحت أنا - بحكم أقداميني عنه بعشرة أيام - رئيساً عليه . .

وإن كان من الصعب أن يحكم الإنسان على أخلاق شعب بأكمله من خلال فرد واحد من هذا الشعب . إلا أنني لم أستطع أن أمنع نفسي من تكوين انطباع سيئة على الأقل عن الفلبينيين : ولد نمود جداً وشرير جداً ودلوعة ويتصرف باستهتار . . قعد على الكرسي وانجص ووضع رجلاً على رجل بألاطة شديدة جداً . ووضع في عينيه نظارة وقعه كأنه يتحدثني حين عرف أنني لا أسبقه في العمل إلا بعشرة أيام فقط ، فقامت له بهدوء جداً إنني أستطيع أن أتركه حتى يمر المدير الليلي ويراه جالساً هكذا فيأتي به في الشارع فوراً ! ! . فتلكأ قليلاً ثم قام متباطئاً . .

عموماً : بالانطباع السريعة أصبحت لأحب الفلبينيين من تحت رأس الأخ «ريكمار لوبيز» . الشهير بـ «ريك» ! !

خبر أسعدني

جداً تلقيته الليلة في التليفون : «سوسن» وصلت إلى لندن اليوم من القاهرة ! ! . «سوسن» هذه ليست أختي وليست ابنتي ، وإنما هي مزيج من الإثنين . . «سوسن» زميلة «بيسة» في كلية التجارة جامعة القاهرة وصديقتها الحميمة منذ كانتا تلميذتين في المدرسة الابتدائية ، والحب الذي يجمع بينهما لا يفوقه إلا الحب الذي يجمع بين «سوسن» وأختها

التوأم « سناء » الطالبة في كلية الفنون التطبيقية والتي ولدت معها في يوم واحد وفي « كيس » واحد نزلنا فيه معاً في لحظة واحدة . . . يعني لم تسبق واحدة منهما الأخرى ولا بدقائق قليلة . . . ولعل الحب الذي يمتلئ به قلب « سوسن » لكل الناس ، خصوصاً لتوأمتها « سناء » . هو الذي جعلني أحب « سوسن » نفسها . . . أتصور أنها هي نفسها الحب مجسداً . . . وقصة مجيء « سوسن » إلى لندن هي أصدق تعبير ونموذج لهذا الحب الذي يجمع بين التوأمتين . . .

كانت « سوسن » أصلاً هي صاحبة فكرة الحجى إلى لندن في الصيف ، لكن « سناء » تحمست للفكرة أكثر وشبّطت فيها أكثر . فقررت التوأمتان أن تبيئا معاً إلى لندن . . . جمعتا كل مدخراتهما وكل ما استطاعتا أن تحصلا عليه بالإقراض والسلف من كل فرد من أفراد العائلة ابتداء من شلن حتى خمسة جنيهات . . . لكن كل ما جمعتاه في النهاية لم يكن يكفي إلا لثمن تذكرة سفر واحدة فقط . . . ومع أن « سوسن » هي صاحبة الفكرة أصلاً ، إلا أنها حين رأت حماس « سناء » وانفعالها والآمال التي بنتها على سفرها إلى لندن ، تخلت « سوسن » بسراحة ورضى وطيبة وحب ، عن حقها في السفر ! « سناء » . . . وكانت سعيدة جداً لأن « سناء » قد حققت الحلم الذي تمته أياماً وأسابيع وشهوراً . . . وجاءت « سناء » إلى لندن وحيدة ، بدون تصريح عمل وبدون أى خبرة وبدون حاجة أبداً ، وبدون حتى معارف في لندن . . . لكنها كانت موقفة ، فاشتغلت في عمل في فترة الصباح ، ثم بحثت عن عمل آخر في فترة المساء أيضاً ، وادخرت كل بنس ممكن من المرتبين ، ثم أستلفت على مدخراتها من كل زميلاتهن المصريات اللاتي يعملن معها ، حتى استطاعت في النهاية أن تجمع ثمن تذكرة الطائرة ! « سوسن » في أقل من خمسة أسابيع . . . وجاءت « سوسن » إلى لندن اليوم ليجتمع شمل التوأمتين معاً مرة أخرى ! !

قصة حب كبيرة رائعة بين الأختين ، جعلتني أفكر — مخلصاً — في أن أتزوجهما معاً . . . علشان يبقوا ضراير ! !

□ كيف تشتري لندن .. بشلن ! □

المهلة

الممنوحة

لى - وقدرها أسبوع واحد - لكى أجلو عن غرفة الصالون فى فيلا الهندى مستر «مالك» . كادت أن تنقضى . . ولم أكن محتاجاً إلى أن أطلب مدة هذه المهلة ، فأنا نفسى بعد يومين أو ثلاثة كنت قد قررت أنه لا بد وأن أترك هذا المكان حتى لو توساوا هم إلى أن أبقي . . مستر «مالك» إشرط على أن أخلى الغرفة عندما يكون ينتظر ضيوفاً . . لكن الذى لم يقله لى هو أنه رجل إجتماعى وعشرى ويحب الناس : لذا فهو يستقبل ضيوفاً كل يوم !! ، وعلى ذلك فعلى أن أكون خارج الغرفة كل يوم وأصوع فى الشوارع من الساعة الرابعة عصراً حتى يحين موعد عملى فى العاشرة ليلاً ، حتى يتمكن آل «مالك» من استقبال ضيوفهم . . لكننى اكتشفت بعد عدة أيام حين اضطررت مرة للعودة إلى الغرفة لأخذ شئ نسيته أن المسألة ليس فيها ضيوف ولا حاجة ، إنما هو يحب أن يتفرج على التلفزيون مع زوجته وأولاده ، و بدلاً من أن يكلف خاطره ويتعب نفسه وينقل التلفزيون من غرفى إلى غرفته هو ويتركنى نائماً ، فإن من الأسهل عليه طبعاً أن يقول لى إنه ينتظر ضيوفاً حتى أخرج أنا وأترك لهم الغرفة . . وطلعت أنا اللى هندى مش مستر «مالك» !

لذا ،

فعندما

شاعت الظروف أن ألتقى بالمستشار « إبراهيم رشدي » ، وهو صحفي قديم من محرري جريدة (المصري) ربنا تاب عليه وشفاه من داء الصحافة فانتقل إلى سلك القضاء وأصبح الآن رئيس محكمة ، وكان يقضي إجازة سريعة في لندن . . وأعرف منه أنه سيغادر لندن إلى جنيف بعد أيام قليلة ويترك غرفته التي يسكنها في الفيلا رقم ١٠٣ في نفس الشارع الذي أسكن فيه . وأطمئن إلى أنها ليست غرفة صالون ، فأبادر على الفور بتأجيرها . .

غرفتي الجديدة ليس فيها تليفون أبيض ولا تليفزيون ملون ولا مكوة بالكهرباء ولا حاجة أبداً أكثر من غرفة نوم عادية بسيطة ، لكنها مريحة جداً وظريفة وواسعة ، ويتاعى أنا وحدي لا يشاركني فيها ضيوف مسر « غلام » . . مسر « غلام الرسول » صاحب الفيلا الجديدة التي انتقلت إليها باكستاني مسلم ، زوجته شابة باكستانية حسنة اسمها « حفيظة » وطفلتها اسمها « فوزية » - ٥ سنوات - وإبنتها اسمها « عمران » - ٦ شهور - . أسرة مسلمة جداً ومحافضة جداً ، كانت شروطها مختلفة تماماً عن شروط مسر « مالك » الهندي : ألا أستقبل « صديقات » في غرفتي ، ألا أستعمل المطبخ ، ألا أحضر معي إلى البيت شيئاً يندرج تحت بند « المنكر » ، يعني لا خمر ولا لحم خنزير . . ووافقت على الشرطين الثاني والثالث على الفور . لأنني لأتعامل أصلاً مع المنكر بكل صوره . . أما الشرط الأول : عدم استقبال « صديقات » في غرفتي ، فإن « بيسة » و « سوسن » كانتا معي حين ذهبت لاستئجار الغرفة ، وهما تنادياني بـ « أونكل حسين » . . ولما كانت كلمة « أونكل » في اللغة الإنجليزية تعني « خال » أو « عم » . فقد فهم مسر ومسر « غلام »

أنتى خالهما. لذا لم يَسْرَ على «بيسة» و «سوسن» و «سنا»
 شرط المنع هذا ..

أدفع فى غرفتى الجديدة نفس الإيجار الذى كنت أدفعه عند مسر
 «مالك» : ٦ جنيهات إسترلينية فى الأسبوع ، يعنى حوالى ٢٦ جنيهًا
 إسترلينيًا فى الشهر ، أو ما يساوى نحو ٤٤ جنيهًا مصريًا فى الشهر
 الواحد أدفعها فى مقابل غرفة واحدة! .. فى القاهرة أدفع ١٦ جنيهًا -
 مصريًا طبعاً - إلا قليلا فى شقتى المكونة من ٦ غرف وصالة فى أكبر
 عمارة فى أهم ميادين القاهرة ..
 يا حلوة يا بلدنا ، يا رخيصة يا بلدنا ..

«سوسن»

برغم

سنواتها العشرين ، إلا أنها مازالت تعيش فى سن الرابعة عشرة ، شكلا
 وموضوعاً .. طفلة صغيرة الحجم دقيقة القدّ مريحة لاهية تمسك بمفاتيح
 الحياة بين أصابعها ، لم تصطدم بأبواب الدنيا بعد .. تغضب وتتمصص
 لأقل سبب ، ثم فى لحظة تشرق ابتسامتها وضحكاتها من بين دموعها ..
 فإذا ضحكت «سوسن» فقل يا رحمن يا رحيم : حنفيه وباطت جلدتها
 وفسد محبسها .. تظل تضحك وتضحك وتضحك دون أن تستطيع أن تتوقف
 حتى لو حاولت .. ولا تتوقف إلا حين تكتشف فجأة أنها نسيت السبب
 الذى كانت تضحك من أجله ، فتبدأ تضحك من جديد على
 عباطتها !! ..

كانت «سوسن» هى النموذج بالضبط الذى أريد أن أرى من خلاله
 إنطباع الطالب المصرى أو الطالبة المصرية التى ترى أوروبا لأول مرة فى
 حياتها .. أوروبا ليست جديدة على أنا .. «بيسة» و «سنا»
 سبقتنى فى الوصول إلى لندن ، وحين لحقت بهما كانت الإنبهار الأولى

التي أريدها قد زالت تقريباً . . أما « سوسن » فهي لسه طازة وكل ما تراه هنا هو عالم خرافي غريب مدهش بالنسبة إليها . . لذا فقد فرغنت نفسي أسبوعاً كاملاً قضيته كله مع « سوسن » لكي أرى لندن من جديد ، بعينها هي ! .

حسنا

زى

القمر . . لو القمر من نفسه قام وقال لها « اتفضلى » مش حاترضى تقعد مطرحة . . ولو رضيت تقعد مطرحة أكيد الدنيا حاتنور أكثر . . رأيتها تمشى - كالبدر المنور - مسافة لاتقل عن ٢٠٠ متر ذهاباً ، ومثلها إياباً ، لكي تلقى بورقة مكورة فى يدها فى سلة المهملات فى الشارع ، فقط لا غير !! ، مع أن حسنا كهذه لو كانت رمت الورقة فى الشارع لسعد الشارع لأنه تلقى شيئاً من يديها . . لكنهم هنا إلى هذا الحد يهتمون بالنظام وبالنظافة . . وعندنا فى مصر برى قشر الموز وقشر البطيخ من الشبايك وينفض السجاجيد من البلكونات فوق رؤوس الناس اللى ماشين فى الشارع !! . .

الناس هنا منظمون جداً ومنتظمون جداً مثل الساعات المضبوطة التي لا تقدم ولا تؤخر . . كل شيء عندهم بنظام ومواعيد ، والنظام والمواعيد يراعيان بدقة تصل إلى حد الهوس . . على محطة الأوتوبيس ، كل محطة بلا استثناء ، تجد لوحة مكتوباً عليها أرقام الأوتوبيسات التي تقف عند هذه المحطة ، وتجد أيضاً بروازاً زجاجياً أنيقاً به لوحة أخرى مطبوعة تشرح خط سير كل أوتوبيس محطة محطة وشارع شارع ، والوقت - بالضبط - الذي يتحرك فيه من محطة البداية والذي يصل فيه إلى آخر الخط ، والوقت - بالدقيقة - الذي يتوقف فيه عند محطتك . . يعنى أنك لو اتفقت مع صديق لك على أن تلتقيا فى أوتوبيس واحد ،

ويركب هو من محطته وتركب أنت من محطتك ، فإذا قال لك إنه سيركب الأوتوبيس من محطته الساعة تسعة و٣ دقائق ، فستعرف مقدماً أن هذا الأوتوبيس سوف يصل عندك على محطتك الساعة تسعة و١٧ دقيقة بالضبط ، وكالساعة السويسرية الـ ٤٩ حجر المضبوطة جداً يدخل الأوتوبيس محطتك في الموعد المكتوب في اللوحة تماماً . . للدرجة أنني أتصور أنه لو عمل حادثة ودهس أحداً في الطريق فلن يتوقف خشية أن يتأخر عليك عن موعدك المكتوب في اللوحة ! . .

شيء آخر : أيام السبت لها مواعيد مختلفة عن باقي أيام الأسبوع : مكتوبة وحدها . . أيام الأحد لها مواعيد أخرى مختلفة : مكتوبة . . أيام الأجازات والأعياد : عيد الفصح وعيد البنوك وعيد الميلاد وعيد رأس السنة وعيد ما اعرفشى إيه وإيه وإيه : لها مواعيد مختلفة : مكتوبة . . نظامهم يفرس لكن ذلك هو المطلوب . . ويارب يا رب يا رب ، قبل أن أموت أرى بلدنا الطيبة وقد وصلت إلى واحد على مليون من هذا النظام وهذا الإنضباط وهذه الدقة . .

طبعاً هذه « حجة » قدام ربنا علشان أعيش ألف سنة أخرى !!

وحين

تكون

هناك إصلاحات تجرى لسبب ما لرصيف فيه محطة أوتوبيس ، بحيث إن الأوتوبيس لن يستطيع أن يقف أمام المحطة تماماً، فإنهم يحيطون المحطة بحبال عليها أعلام ملونة ، ويضعون عليها لوحة تقول إن هذه المحطة معطلة مؤقتاً ، ثم يضعون محطة أخرى متنقلة أو متحركة على مقربة منها يقف عندها الأوتوبيس !! . . تنتهى الدقة والنظام واحترام إنسانية الإنسان . . في مصر ممكن هيئة النقل العام تلغى خط أوتوبيس بحاله دون أن تفكر في أن تعمل إعلاناً صغيراً تقول فيه للناس إن هذا الخط إتلغى ،

ويمكن أن السواق نفسه يغير خط سير الأوتوبيس ليسير به أمام بيته في حوارى السبتية ويطلق الكلاكسات فمراته تزغرط وجيرانه يفرحوا بيه ، ويمكن أن الكمسارى يركن الأوتوبيس علشان يتزل يشترى صابندوتشات كرشة ولحمة راس .. أما هذا فالأوتوبيس تستطيع أن تضبط ساعتك عليه بالدقيقة وبالثانية . ولو حدثت ظروف طارئة — وذلك نادر جداً — فسوف تجد على محطة الأوتوبيس الرئيسية لوحة مكتوباً عليها بوضوح وبأدب شديد جداً : « نظراً للعجز في عدد السائقين الذى يعانى به مرفق مواصلات لندن ، فإننا نعتذر ومتأسفين جداً لأن الأوتوبيس خط رقم كذا الذى يقوم من محطة كذا الساعة ٨.٤٦ مساءً ، لن يقوم اليوم الأحد ١٦ سبتمبر ١٩٧٣ . لكنه فى الغد — الإثنين ١٧ سبتمبر — سوف يتحرك فى موعده . . . متأسفين جداً » ! ! .

و حين يصل

الأوتوبيس أمام المحطة فإنه يتوقف عند بداية الطابور بالضبط كأن السائق قاسها بالمسطرة والمثلث ، وينفتح البابان معاً : الأمامى للصعود والخلفى للنزول .. لا أحد يجرى ليصعد من الباب الخلفى ، ولا أحد من داخل الأوتوبيس يزاحم ليتزل من الباب الأمامى . . . الجميع يقفون فى طابور هادئ منتظم ، ويصعدون إلى الأوتوبيس باللور ، واحداً بعد واحد . فيدفعون ثمن التذكرة ، فكة . للسائق ، ويأخذون تذكرتهم من الآلة الصغيرة الموضوعة إلى جواره . . . وحكاية « خلينا إنجليز » التى كنا نسمعها زمان : لا أحد يدفع لأحد ، ولا أحد يحلف برحمة أمه ما انت دافع ، ولا اثنين يفعلوا يتعازموا على بعض والكمسارى ملطوع فى انتظار نهاية مفاوضاتهم .. قد تجد صديقين أو لصديقين أو فتاة واقفين على محطة الأوتوبيس يتبادلان القبلات — فى الطابور برضه —

فإذا جاء الأوتوبيس صعدا واحداً بعد آخر وكل منهما مجهز ثمن تذكرته في يده !! . .

ظريفة جداً الحكاية دى ، لو يعملوها عندنا فى مصر . . وياريت كمان لو بآثر رجعى !! . .

لا أحد يقوم لأحد فى الأوتوبيس . لا للستات العواجز ولا للشابات ، ولا أحد يتطوع ليأخذ منهن الحقائق أو الأشياء التى يحملنها فى أيديهن . . كل واحد مشغول بنفسه فقط . . لا أحد يتكلم مع أحد - حتى ولو كانا معاً - ولا أحد يهزر مع الآخر ولا يقول له آخر نكتة ولا يضحكوا ولا يعملوا حاجة أبداً . كأنهم واخدين حقن بنج قبل أن يركبوا الأوتوبيس مباشرة . أو كأن الكلام ممنوع فى الأوتوبيسات بمرسوم ملكى أو كأن اللى حايتركلم فى الأوتوبيس حايروح النار . . أقصى حاجة ممكن أن يعملوها فى الأوتوبيس أو فى المتروهى أن يقرأوا الصحف أو المجلات ، يحلوا الكلمات المتقاطعة . يناموا ، يتبادلون القبلات - من سكات برضه - فقط لا غير !! . .

ومع ذلك ، فى كل أوتوبيس تجد ثلاث مقاعد متجاورة مخصصة لكبار السن وأصحاب العاهات ومشوهى الحرب واللاتى يحملن أطفالا . . يعنى حتى « الإنسانية » هنا بنظام !! . .

والأوتوبيس

هنا

درجة واحدة كله ، مفيش درجة أولى ودرجة ثانية ، كله بسعر واحد وبمستوى واحد . . وأوتوبيسات لندن فيها ألف يافطة ويافطة من الداخلى ومن الخارج . : الأوتوبيس ملين إرشادات وتعليمات وكتابة : « التدخين ممنوع فى الطابق الأسفل » . . « رن الجرس مرة واحدة من فضلك عندما تريد النزول » . . « النزول من الباب الخلفى » . . « إترك

التذاكر المستعملة في هذا الصندوق» . . « الأشياء التي تفقدها أو تنساها في الأوتوبيس تجدها أو تسأل عنها في الحقة الفلانية أو في رقم تليفون كذا وكذا» . . «جهاز الفكّة وأنت طالع الأوتوبيس» . . «وسع السكة من الباب» . . «عايزين سائقين جدد» . . «ما تعطلشى السائق علشان توصل في ميعادك» . . وناقص يكتبوا في الأوتوبيس : إغسل يديك قبل الأكل وبعده !! . .

يفط يفط يفط . ومع ذلك فالأوتوبيس نظيف جداً من الداخل ومن الخارج كأنه لسه واصل من المصنع الآن حالا . . مفيش لوح زجاج مكسور ولا شباك مخلوع ولا أكّرة ناقصة ولا كرسي جلده مقطوع بموس أو مطواة ، مفيش واحد شاطب على كلمة «عدم» وترك «الرجا . . . التلخين» ، مفيش حد بيرمي تذكرته على الأرض . . مفيش حد بيقرقر لب وسوداني ومالي الدنيا حواليه قشر . . مفيش واحد شاييل كيس فاكهة وعمال يقشر برتقال ويوسفندي وياكل ويشرف في الأرض ، مفيش واحد ييمص قصب ، مفيش واحد عامل هوسة ويحكي غرامياته بصوت عال للى قاعد جنبه ، مفيش واحد واقف سادد الباب جنب السواق علشان يتزئق في الستات والبنات اللي طالعين ، مفيش حد مستخف دمه وداخل قافية مع الكمساري أو السواق . . مفيش حد يحاول يركب زيادة عن العدد المقرر للأوتوبيس ، وبمجرد أن يرفع السائق يده مشيراً بمعنى «كفاية» فذلك معناه أن أحداً لن يصعد بعد ذلك حتى لو كان أبوه مدير عموم أوتوبيسات لندن والأقاليم ! .

وهذه

الغرفة

الزجاجية الأنيقة هي - عقبالنا يارب - محطة أوتوبيس : . فأغلب محطات الأوتوبيس هنا ، ولا أقول «كلها» حتى لا أكون كاذباً

وربنا يسخطني ويخلىني « پورتر » على طول ، أغلبها عبارة عن غرف زجاجية مستوفة ولها بابان مفتوحان : مدخل ومخرج . حتى لا تغرقك الأمطار ولا يلسوعك برد الشتاء ولا تلفحك شمس الصيف وأنت واقف في انتظار الأوتوبيس . . ناقص يعملوا فيها تدفئة بالليل في الشتاء !! ..

نفس أرقام الأوتوبيسات ونفس الخطوط ونفس المسارات ونفس المحطات هي هي تمامًا كما رأيتهما عند ما زرت لندن لأول مرة منذ ١٦ عاماً ، مش زى عندنا كل يوم والثاني يبدلوا ويغيروا أرقام الأوتوبيسات ومساراتها علشان يتوهوا الناس ، وأغلب الأوتوبيسات عندنا أصلاً مش مكتوب عليها أرقام في مقدمتها وتركبها وإنت وبختك : يا راحت الحيزة يا راحت مصر الجديدة ! .

والذين خبروا لندن وعرفوها من قبل ينصحون الوافدين الجدد بالتعامل مع أوتوبيسات لندن بدلاً من الـ « أندرجراوند » أو المترو تحت الأرض . . لأنك من الأوتوبيس تستطيع أن تشاهد لندن وشوارع لندن ، ولكن في الـ « أندرجراوند » لن ترى شيئاً لأنه يسير في أنفاق تحت الأرض ، فلا ترى إلا النفق نفسه . . يعني المفروض إذا كنت تزور لندن للمرة الأولى أن تركب الـ « أندرجراوند » مرة واحدة أو مرتين فقط من باب العلم بالشيء ومشاهدة حاجة غريبة ليست موجودة عندنا في مصر ، ثم تتعامل مع الأوتوبيس دائماً بعد ذلك . . خصوصاً أنك تستطيع أن تستفيد بالتذكرة « الأبونيه » التي تصلح لمدة يوم واحد فقط وسعرها ٥٠ بنساً ، تركب بها أى أوتوبيس أحمر من وإلى أى مكان في لندن من الفجر حتى منتصف الليل . . يعني تفضل تنتط من أوتوبيس لأوتوبيس وتتفرج على لندن كلها لغاية ما تزهق . .

بمناسبة أوتوبيسات لندن ، وهي من طابقين كما هو معروف : كنت و « سوسن » نقف على محطة الأوتوبيس ننتظره لنذهب إلى (ماريل آرش) ، فلما جاء أول أوتوبيس تقلعت « سوسن » لتركب فجذبته من ذراعها

وقلت لها إن هذا الأوتوبيس لا يذهب إلى (ماربل آرش) . فنظرت إلى الطابق العلوى فى الأوتوبيس وهى تسأل مستفسرة : « ولا اللى فوق ؟ » !!

الوافد الجديد

الذى يرى لندن لأول مرة ينبهر جداً بشكل الحياة « الغذائية » هنا . . أقفل الإنجليز الباب على أنفسهم تماماً بعد الحرب العظمى الثانية حتى يعيدوا بناء اقتصاد إنجلترا الذى خربته الحرب . . إنغلثوا بشدة . . فكانت نتيجة هذا الإنغلاق فوائد وأضراراً . . الفوائد : رخاء معيشى رائع ومرتببات مرتفعة جداً بالنسبة لنا فى مصر . . والأضرار : الجهل المطبق بكل ما يدور خارج إنجلترا . . والذى يهمنى نحن كمصريين نعيش فى إنجلترا لفترة محدودة فى الوقت الحالى هى حكاية الرخاء المعيشى المهول والمرببات المرتفعة وأثرهما علينا ، نفسياً ومادياً ! .

تدخل الـ « سوپر ماركت » هنا فتجد فيه كل شىء . . كل شىء فعلاً ، وبوفرة . . كل ما يخطر على بالك إبتداء من اللعب المحفوظة حتى الوجبة الطازجة الجاهزة المعبأة فى علب ورقية صغيرة ، ما عليك إلا أن تضعها على النار دون أن تضيف عليها أى شىء آخر ، لتسخنها فقط وتأكلها فوراً بعد بضع دقائق ، سواء كانت طبق خضار أو ورق بطء أو شرائح سمك مقلية أو مشوية أو غير ذلك . . كل ما تشتهيهِ الأنفس ويسر الأعين ويهيج معدتك ويشير شهيتك سوف تجده أمامك بأسعار رخيصة لا غاية . . ما عليك إلا أن تسحب سلة مصنوعة من السلك إذا كنت ستشترى أشياء قليلة ، أو تدفع أمامك عربة تشبه عربات الأطفال مصنوعة من السلك أيضاً إذا كنت ستشترى أشياء كثيرة ، وتمد يدك لتأخذ كل ما تريد لتضعه فى سلتك أو عربتك ، بأرخص الأسعار : باكو الشاى للفاخر الربع رطل بـ ٦ بنسات فقط ، زجاجة الكوكاكولا

الكبيرة التي تكفي أسرة بأكملها بـ ١١ بنساً ، شريحة السمك المقلّي التي تكفي قطعتان منها لثملاً بطنك . الواحدة بـ ٢ بنس فقط ، الفرخة الكاملة التي لم تكن تشكو في حياتها من الأنيميا بـ ٢٦ بنساً ، زجاجة عصير البرتقال الكبيرة التي تكفيك أسبوعاً بـ ٨ بنسات : كيلو السكر بـ ١٠ بنسات : باكو البسكويت به ٥٠ قطعة بـ ٥ بنسات .. ووو . كل شيء موجود ومتوفر ومالي الدنيا برغم الملايين الثمانية الذين يعيشون في لندن والعدد المساوي لهم من السياح والأجانب الذين يتواجدون في لندن في ذلك الوقت من العام . ولتوفر كل شيء ، فإنك لن تجد أحداً يأخذ أكثر من احتياجاته الفعلية . لن تجد أحداً يخزن فراخ في ثلاجه . لن تجد أحداً مدكّن كذا علبة شاى أو كذا كيلو سكر .

ومع ذلك

فإنك لن تستطيع أن تمنع نفسك من الدهشة للتناقض الغريب جداً في موضوع الأسعار في لندن ، فبقدر ما تجد أشياء كثيرة رخيصة نسبياً وبشكل عام ، فإنك في الوقت نفسه سوف تجد أشياء أخرى أسعارها غريبة جداً وتستوقف نظرك بشدة : المشط الصغير الذي البياعين عندنا ينادوا ويهاتوا ويدلّوا عليه في الشوارع ويطاردونك به في الترام والأوتوبيس ، ويكادوا يتحايلوا عليك لكي تشتريه « بساغ ياييه » : هنا في لندن بـ ١٥ بنساً ، أو ما يساوي ٢٥ قرشاً مصرياً . رباط الحزمة بـ ٥ بنسات أو ما يساوي ٨ قروش مصرية . عنقود العنب الذي لا يشبع طفلاً صغيراً في مصر يباع هنا بالميزان بـ ٢٦ بنساً أو بحوالي ٤٥ قرشاً مصرياً . يكتبون على العنب - مثلاً - سعر الرطل ، ثم يبيعونه بالعنقود : يزنون للعنقود الذي تختاره ليروا يطلع قد إيه من الرطل ويحسبوه ، ويسألونك :

« العنقود ده والا ده يكفيك ؟ » واللى تختاره يتوزن وتدفع ثمنه وتتفضل . .
 كيلو العنب عندنا فى مصر - ٢ رطل وربيع - يكفى أسرة بأكملها ويبيع
 بـ ٦ قرش فى الموسم . .

باقى أنواع الفاكهة تباع بالواحدة : التفاحة بـ ٥ بنسات . . الخوخة
 بـ ٥ بنسات . . البرقوق إذا كان كبير الحجم فبالواحدة وبـ ٥ بنسات ،
 وإذا كان صغيراً فوحدة الميزان هى ربع الرطل بـ ١٥ بنساً . . البطيخ
 والشمام يباع بـ (الشقة) أو ربع البطيخة ملفوفة فى ورق سلوفان ومكتوب
 عليها سعرها فى (تيكيت) صغير مطبوع . . أربعة أصابع موز بـ ١٨
 بنساً . . كل حاجة سعرها مطبوع عليها ولا أحد يغش ولا أحد يخم
 ولا أحد يضع لك فى قاع الكيس فاكهة معطوبة ويتركك تننى زى ما أنت
 عايز وفى الآخر يحملك ويغير الكيس ! .

دخلت (سوپر ماركت) فوجدت الكمثرى مكتوب عليها ٣٢ بنسا
 فقرحت وقلت آخذ ربع كيلو . . طلبت الربع فطلع كمثرية واحدة
 فقط ، واكتشفت أن الإنجليز يتعاملون بالرطل وليس بالكيلو ، وعلى
 هذا الأساس فكيلو الكمثرى يساوى ٧٢ بنساً أو حوالى ١١٥ قرشاً مصرياً
 . . فرحت فى الأول ثم وجدت نفسى أخذت الكمثرية الواحدة بما يساوى
 ١٤ قرشاً مصرياً . . !!

وكما أكتب عادة بعد كل رحلة من رحلاتى فى أوروبا : يا حلوة
 يا بلدنا يا رخيصة يا بلدنا ياللى كلك خير وبركة يا بلدنا . . بس لو
 مكانشى لفيه شوية حاجات صغيرة ناقصة ، زى الزيت والسمن والفلفل
 والشاى والسكر والكبريت والصابون و . . وفراخ الجمعية !!

لكن أرخص

شيء في لندن كلها هو : الشوكولاتة . . الشوكولاتة الفاخرة التي ما زال
طعمها في فمي حتى الآن . . في خلال ١٢١١ يوماً الأولى في لندن - أيام
البؤس والصعلكة والبحث عن عمل - كنا عايشين على الشوكولاتة ،
بنفطر ونتغذى ونتعشى شوكولاتة . . مش عز أوفاهية لا سمح الله ،
لكن فقر وقصر ديل ، ولأن الشوكولاتة الفاخرة التي تباع بالشيء القلبي
في شارع شواربي في القاهرة هي أرخص شيء ممكن في لندن : بشلن تحصل
على قالب شوكولاتة مهول يملأ فمك بهجة واستمتاعاً ويملاً بطنك كوجبة
كاملة ويملاً عينك الفارغة . . « الكادبوري » و « النستلة » وعشرات من
الأصناف غيرهما . . للدرجة أننا كنا نأكل شوكولاتة طول النهار كالمساريع
المنجوعين اللي كانوا محرومين من حاجة وفجأة وجدوها أمامهم مرططة
وبالكوم . . تضع الشلن في ماكينة الشوكولاتة في محطات المترو « أندرجراوند »
وتسحب الدرج فتخرج لك قطعة الشوكولاتة المرسومة صورتها فوق
الدرج . . وفي المحلات قوالب الشوكولاتة الضخمة التي تزن القطعة
الواحدة منها رطلاً أو أكثر ثمنها لا يزيد كثيراً عن ٩ بنسات صعوداً إلى
١٣ بنساً . . إبنتي « نهلة » بتموت في الشوكولاتة ولديها الإستعداد لأن
تظل طول عمرها لا تأكل شيئاً إلا الشوكولاتة . . أفكر في أن أرسل
لأحضرها إلى لندن وأتركها في محل شوكولاتة ، وأفوت عليها كل يوم خميس
أخذها أفسحها شوية وأرجعها تاني . .

وكل

شيء

في لندن بشلن . . تستطيع أن تشتري إنجلترا كلها بالشلن بتاعك :
 ماكينة الشوكولاتة تخرج لك قالب شوكولاتة مفتخر بشلن . . ماكينة
 الثلجات والمشروبات الساخنة تخرج لك ما تريد بأقل من شلن . .
 ماكينة السجاير تخرج لك علبة من الصنف المطلوب بأربعة أو بخمسة
 شلن ، فقط اضغط على الزر . . عداد الكهرباء يعمل ٤ ساعات
 بشلن . . عداد البوتاجاز — أيضاً — يعمل بشلن . . حتى طابع البريد
 لها ماكينة تضع فيها الشلن فيخرج لك عدد من الطوابع قيمتها شلن . .
 بشلن تأخذ حمام ساخن . . بشلن تشتري تفاحة واحدة وبشلن تشتري
 خوخاية واحدة . . بثلاثة شلن تغسل ملابسك وبشلن تجففها وبعد كده
 تحتاس تكويها فين . . فليس في لندن محلات المكوجية ولا صبي المكوجي
 الرزل الذي يضرب عليك الجرس في الساعة الرابعة عصراً فيفرعك ويوقظك
 من عز النوم ! .

الماكينة التي تضغط على زر فيها مكتوب عليه اسم المشروب الذي
 تريده ، ساخناً أو مثليجاً : قهوة سادة أو قهوة بالسكر ، شاى بالسكر
 وشاى بدون سكر ، كوكاكولا أو فانتا ، كاكاو ساخن ، اللبن . .
 تضغط على الزر وتنتظر قليلاً ثم تمد يدك لتفتح طاقة زجاجية صغيرة لتأخذ
 منها كوباً من البلاستيك فيه المشروب الذي طلبته . . ونفس الماكينة
 لكن بشكل مختلف قليلاً ، تضغط على الزر فتخرج لك زجاجة ويسكي
 أو كونياك أو بيرة أو فودكا أو براندى إلى آخر هذه القائمة من أنواع
 « المنكر » . . زجاجة صغيرة جداً بها عبوة كأس واحد فقط . . منتهى
 النظام والدقة وتوفير الوقت والجهد في كل شيء . . لو عملوا مثل هذه
 الماكينات عندنا في مصر فقطعاً. حايعلوها تنزل عصير قصب وسوييا
 ومية طرشي وفطير مشلت وصاندوتشات فول وطعمية ! .

ومع كل

هذه لتسهيلات الرائعة وشكل الحياة السهلة المنتظمة جداً التي تجدها في لندن وفي كل مكان آخر في أوروبا . فإن لندن ليست جنة ولا عالماً منروشا بالورود والأزهار والرياحين . . . فهي مثانها مثل أى بلد في العالم : فيها الطيب وفيها الخبيث . فيها الجميل وفيها التبيح ، فيها الناس الكويسين وفيها الناس اللي عايزين قطع رقبتهم ، وفيها النشالين واللصوص والحرامية والشحاتين . لكن حتى هؤلاء فهم شحاتين مودرن بما يناسب العصر الذي نعيش فيه : الشحاتين الخييز الذين يملأون أنفاق محطات المترو (الأندرجراوند) يعزفون على آلاتهم الموسيقية ويتركون صناديقها مفتوحة إلى جوارهم ليأبى إليهم المارة ببساتهم في الصناديق المفتوحة . . . لم أر في صندوق أى واحد منهم قطعة نقود قيمتها أكثر من ٢ بنس . يعنى قرشين صاغ . . . أعطيت واحداً من هؤلاء الخييز الشحاتين قطعة من ذات النصف بنس (تعريفه) مساهمة منى في زيادة إفساده وتبويظه ونكى يستمر « هيبى » كما هو ولا يعود إلى دراسته في الجامعة . . .

وفي أنفاق المترو أيضاً تجد شحاتين الكبريت مثل عندنا بالضبط . . . تلك السيدة — الخواجاية — التي تجلس على قرافيصها الإنجليزية في محطة الـ « أندرجراوند » وهي تمسك في يدها بقاروصة كبريت مفتوحة وناقصة علبة أو علتين . والمفروض أنك تضع لما ما تجود به نفسك ولا تأخذ علبة الكبريت . . . كنت ناوى « أجود » لكن رجعت وفرت هذه « الجودة » لما أرجع مصر وأعطيتها لواحدة شحاتة بلدياتي شائلة قاروصة كبريت هلب . . . هوا حنا حاندى للشحاتين عملة صعبة كمان ؟ ! .

والناس

الإنجليز

هنا بشكل عام مهذبين للغاية . . أتصور أن أدبهم يفوق الأدب الياباني . . الواحد هنا تدوس على قدمه في الشارع أو في المترو فيعتذر لك هو قبل أن تعتذر له أنت ! . . تخطئه كتف يلوحه أو يجبيه الأرض ، وهو يقع يعتذر لك . . تسأل أى واحد أو واحدة ماشيين في الشارع -- مهما كان يبدو عليهم أنهم مستعجلين -- فيقعدون ليرشدوك ويدارك ويصفون لك الطريق بصر وأناة . ويتحملوا بطاء فهمك للغتهم الإنجليزية . ويمكن كمان يتمشوا معاك شوية علشان يوصاك ، كل ذلك والإبتسامة الرقيقة على وجوههم الإنجليزية الحمراء . . قليلو الأدب هنا هم فقط -- للهشة الشديدة -- الزوج الإنجليزي . . بالرغم من أنه لا يوجد في إنجلترا أى مظهر من مظاهر التفرقة العنصرية ، ندرجة أنى بدأت أفقد عطفى عليهم وعلى قضيتهم . . الأغرب من ذلك أن الزوج هما يحترمون البيض جداً ولا يحترمون الملونين اللى زيهم . .

على فكرة : أنا هنا أعتبر ملون ! .

وكلمة « من فضلك » تقابلك ١٠٠٠ مرة في اليوم . في كل مكان وفي كل شارع وفي كل محل : من فضلك إكتب إسمك هنا ، من فضلك إقرأ هذا الإعلان ، من فضلك التدخين ممنوع ، من فضلك إستعمل الباب الآخر ، من فضلك ممنوع دخول الكلاب . . من فضلك من فضلك من فضلك . . حتى أرغمونا على أن نتعامل بنفس الأدب . . وبالشكل ده تكون قد تحققت الحكمة العربية التى تقول : « سافر فى الأسفار خمس فوائد » ، وأهم هذه الفوائد قطعاً هو : « بدل السفر » ! !

و « العمل »

هنا

في إنجلترا شيء محترم جداً . . كل من يعمل فهو محترم مهما كان نوع عمله أو أهميته . . وتساوى احترام « عمل » عمال النظافة وعمال الجارى مع احترام « عمل » رئيس الوزراء . . وطالما أنك تؤدي واجبات عملك على الوجه الأكمل فأنت محترم . وحين تهمل في عمالك فإنهم يرفدونك فوراً مهما كنت ظريفاً ودمك خفيف وحليوة ، يرفدونك باحترام أيضاً . . الظرف والحسن وخفة الدم حاجة والشغل حاجة ثانية . .

اليوم صباحاً كنت أدفع أمامي العربة الصغيرة التي نضع عليها حقائب انزلاء ، وأنزل بها من الطابق الثاني في الفندق وعليها ٤ حقائب كبيرة ، فخشيت أن تقع واحدة منها من فوق العربة وأنا نازل بها على السلم . فوضعتها جانباً حتى أعود مرة أخرى لأخذها ، وكان مستر « پتشورتشيك K. Pechartscheck » الألماني مساعد المدير يمر إلى جوارى في ذلك الوقت ، فسألني : « إنت عايز تنزل الشنطة دي تحت ؟ » قلت : « سأرجع لأخذها حالا » فبساطة جداً لا تصدر عندنا من موظف درجة خمستاشر ، مد يده وحمل الحقيبة ونزل بها إلى الطابق الأسفل ! . .

ويناسبة المديرين : الفندق هنا به ٣٦٠ غرفة وله مدير و ٣ مديرين مساعدين . . يس لواحد منهم سكرتيرة ولا سكرتارية ولا مدير مكتب ولا ١٠ تليفونات بنمر مباشرة ولألبة حمراء ، ولا حتى حجرة مكتب لوحده . . وتدخل حجرة مكتب مساعدي المدير فتجدها مترين X مترين بالضبط وبها مكتبان خشبيان متواجهان ومتلاصقان ، وحتى ليس على أي منهما بنورة ، وعليهما معاً ٣ تليفونات كل واحد منها له استعمال خاص لكن ليس من بينها واحد بنمرة خاصة ، وعلى كل مكتب آلة كاتبة صغيرة يكتب عليها المدير للمساعد بنفسه ما يريد ، يعني حتى لا توجد

فتاة تاييست تخدم المدير ولا المديرين المساعدين ، كل واحد يعمل شغله بإيده . . ويفترض أن هذه غرفة مكتب المديرين المساعدين الثلاثة معاً ، على اعتبار أنهم لا يجتمعون على الإطلاق في وقت واحد . لأن كل واحد منهم يعمل واردة واحدة مثله مثل مئات العاملين في الفندق : واحد فترة الصباح وواحد فترة العصر والمساء والثالث يسهر طول الليل . : فإذا تصادف واجتمعوا فلن يجتمع منهم أكثر من ٢ في وقت واحد . لذا وضعوا في الغرفة مكتبين فقط وليس ثلاثة . . فالبساطة عنوان كل شيء في هذا البلد . . الفخامة والفخفة للسياح فقط والأجانب الذين يدفعون .

حدث أن جاء رجال البوليس الإنجليزي إلى الفندق ذات ليلة في الثانية صباحاً وقبضوا على الطباخ وعامل ماكينة غسيل الأطباق في الكافيتيريا - وهما هنديان - لاثامهما في حادث سرقة سيارة . . وبذا أصبحت الكافيتيريا بدون طباخ وبدون أحد يعمل على ماكينة غسيل الأطباق ، وعلى الفور لبست «دورا» الحسنة مساعدة مديرة الكافيتيريا مريلة الطباخ ودخلت المطبخ لتطبخ للزبائن حتى الصباح . أما «بيجي» المديرة فقد توات بنفسها غسيل الأطباق طول الليل . . مسر «مالك» الهندية انى كنت أسكن عندها في بداية عملى هنا : ست موظفة قد الدنيا ، تمتلك قليلا سيارة خاصة ، ومع ذلك فهى في وقت فراغها تعمل : دلالة ! ! . . عندها عدد من الكتالوجات تعرضها عليك لتختار منها ما تريد ، وفي اليوم التالى تكون طلباتك عندك بنفس أسعارها المطبوعة في الكتالوج : هى تشتريها بالتخفيض وتبيعه لك بسعرها الرسمى ، وتكسب الفرق . .

«العمل» هنا محترم مهما كان متواضعا وبسيطاً . . «أنت تعمل إذن فأنت محترم» مهما كان نوع عملك . . حتى لو كنت كناساً في بلدية لندن . ا

صعب

جداً

أن تصور أنه من الممكن أن تنقل نفس النظام والدقة اللذين يتمتع بهما الشعب الإنجليزي إلى مصر في خلال خمسة أو عشرة أعوام . . هم شعب تربى على النظام والنظافة واحترام الآخرين . . ولدوا بها وفتحوا عيونهم على الدنيا وهم أطفال فوجدوا كل شيء يسير زى الساعة فانتظموا مع انتظامها . . حتى اخصيز يفعلون كل ما يريدون وعلى راحتهم على الآخر ، لكن برضه بنظام . لن تجد واحداً منهم يصعد الأوتوبيس قبل دوره ولا يتخطى الطابور أبداً . . « هينى » صحيح لكن على نفسه فقط . هو حر يعمل فى نفسه ما يشاء لكن دون أن يعتدى على حرية الآخرين أو حقوق الآخرين . .

وبمناسبة الطابور ، فكل شيء هنا بالطابور إبتداء من الطابور على شبابيك الدفع فى اخلات إلى الطابور على محطات الأوتوبيس والأندرجراوند لغاية الطابور على أبواب المطاعم والستورانات . . ولا تندهرش إذا رأيت حسناء شيك بنستان سواريه عريان أو بالطوفرو بمباغ وقدره ورجلا أنيقاً فخمًا بملابس السهرة ، واقفين فى الطابور على باب مطعم أو رستوران فى انتظار أن تخاو دائدة فيدخلان لتناول العشاء ! ! . .

وبمناسبة الطابور أيضاً ، فهناك تشيعة إنجليزية تقال عن شدة تمسك الإنجليز بأن يكون كل شيء بالطابور . . التشيعة تقول أن إنجليزياً ذهب يشتري شيئاً ما من محل فلم يجد طابوراً ، فرفضت البائعة أن تبيع له ما يريد إلاً إذا وقف طابور ! ! وتشيعة أخرى — ألين — تقول أن الرجل الإنجليزي يقف على باب غرفة نوم زوجته . . فى الطابور ! !

□ معالى الوزير يغسل الصحون ! □

سعيد

جدًا

بغرفتي الجديدة فى الفيلا رقم ١٠٣ « وائ آفينيو » فى حى « كرانفورد » ..
 الجوف فى البيت هادئ جدًّا بعكس الجوف فى غرفتي القديمة فى بيت مستر
 « مالك » الهندى ، وبرغم وجود طفلين صغيرين ، لكنهما طفلان
 هادئان ظريفان وديعان لا يسببان لى أى إزعاج .. وأى إزعاج ممكن
 تسببه ستة أطفال فى بيت يقع أصلاً عند بداية أحد ممرات الهبوط فى
 مطار « هيثرو » ، حيث تزار فوق رأسى طائرة كل ٣٠ ثانية ، يعنى ٢٨٨٠
 طائرة صاعدة أو هابطة على امتداد اليوم كله .. ولو كانت الستائر
 مرفوعة عن نافذة غرفتي للمأت اتساع النافذة بعرضها طائرة كل
 ٣٠ ثانية بلا انقطاع طول الـ ٢٤ ساعة .. ولأنها تكون على وشك
 أن تلمس بعجلاتها الأرض فعلاً بعد بيتى مباشرة ، فإني قد وضعت
 فى اعتبارى منذ الآن أنى لن أندمى لو حدث ووجدت عجلات
 طائرة نازلة تشاركنى غرفتي فى أى لحظة من خلال السقف .. فقط كل
 ما أرجوه هو ألا أكون موجوداً فى البيت وقتها ! !

ولو كنت فى مكان مفتوح أو الشارع فى « كرانفورد » ، ورأيت
 الطائرات فوق رأسك تماماً وهى نازلة منقضة على البيوت تكاد عجلاتها
 تلامس الأسطح ، لتصورتها وحشاً خرافياً هائل الحجم سيسحق هذه

البيوت الصغيرة أو على الأقل يجثم فوقها ويتخذ منها عشاً !! ..
 الغريب أننى فى البداية كنت أحمل همّ السكى فى « كرانفورد »
 على اعتبار أننى لن أستطيع أن أنام من دوشة الطائرات ، لكننى ما لبثت
 أن تعودت عليها وعلى أن أنام على أصواتها المزعجة ، وإذا حدث لسبب
 من الأسباب أن انقطع صوت الطائرات لفترة قصيرة وأنا نائم فإنى
 كنت أستيقظ متزعجاً وأنا أشعر كأن شيئاً يجثم فوق قلبى ، كأننى فى
 سفينة هرب أهلها وتركوها هادئة تماماً تغرق فى سكون ، وتركوى أنا فيها
 وحيداً نائماً أغرق معها . . . الأغرب من ذلك أننى بسهولة جداً كنت
 أستطيع أن أنام على زئير الطائرات — لا أريد أن أستعمل كلمة « أزيز » —
 وأقلق على الفور إذا سمعت صوت بكاء طفل رضيع فى البيت المجاور لي !! ..

توسّطت

للبنات

الثلاث : « بيسة » و « سوسن » و « سناء » ليعملن جرسونات
 فى الكافيتيريا فى نفس الفندق الذى أعمل فيه « ستر إيرپورت هوتيل » ..
 « سوسن » كانت قد اكتفت بأسبوع سياحة وفسحة شاهدت فيه معى
 معالم لندن ، و « بيسة » و « سناء » كانت كل منهما تعمل فى فندق
 مختلف متباعدين فى لندن . . « بيجى » الأيرلندية الشمطاء مديرة
 الكافيتيريا وافقت على أن تستخدم « سوسن » و « سناء » معاً حين قلت
 لهما إننى خالهما ، وبعدهما بأيام جاءت « بيسة » لتنضم إليهما على اعتبار
 أننى خالها أيضاً . . ابتسمت « بيجى » ابتسامتها التى تستعملها
 كابتسامة وتكشيرة فى الوقت نفسه ، وقالت : « مستر قلدى . . يبدو أنك
 خال كل البنات المصريات اللاتي فى لندن » ! !

وهكذا التأم أخيراً شمل الثلاثى « بيسة » و « سوسن » و « سناء »
 ليعملن فى مكان واحد . . إثنين منهما توأمان ، والثالثة « بيسة » تكاد

تكون توأمتهما الثالثة ، فهي أصغر منهما بـ ٤٨ ساعة فقط . .
 خاطر غريب يملؤني كلما قدمت لأحد خدمة ما أو توسطت له في
 أمر كبير : أتوقع الغدر والنكران والإساءة ، وعض اليد التي قدمت
 الجميل .. لذا عودت تقسى - من زمان - على أن أبتعد فوراً إلى أكبر
 مسافة ممكنة عن أقدم إله خدمة ما . .
 على أي حال : ربنا يستر ! .

أصبحنا

الآن

نمثل جالية مصرية صغيرة تعمل في الفندق : سبقتنا ٤ بنات
 مصرية يعملن هنا منذ نحو سنتين : «نورا» و «عفيلة» و «سعاد»
 و «سوسو» يعملن في ترتيب غرف التزلأ + «بيسة» و «سوسن» و «سناء»
 و «أمين» و «سمير» جرسونات في الكافيتيريا + أنا في «پورتيرز» . .
 عشرة مصريين في مكان واحد قطعاً يمثاون نسبة لا بأس بها في عدد العاملين . .
 إنضم إلينا الليلة مصريان آخران . الأول نموذج غريب ، والثاني
 نموذج أغرب . وأظرف :

فتى سكندري يقول أنه طالب في معهد بنى سويف التجارى . .
 قصير ومشاكس وشعره مدلى على قفاه وشكاه غريب جداً ويتصرف
 بطريقة صُبَّع الإسكندرية . . سمعت «سوسن» إسمه لأول مرة :
 «كالح» ، فرن في أذنها خطأ «ناجح» ، ولما نفرت من شكله واستغربنا
 جميعاً تصرفاته الحلقة الفجة ، أطلقت «سوسن» عليه إسم «فسدان» ،
 عكس «ناجح» . . والتصق به هذا الإسم وانتشر بيننا كلنا لا نناديه إلا به !! . .
 النموذج الثانى الأستاذ «جبر» مفتش المواد الاجتماعية بوزارة
 التربية والتعليم . . هنا في لندن مع ولديه الصغيرين «ماجد» ١٦
 سنة ، و «هانى» ١٤ سنة ، والأب نفسه قارب الستين . . دفع

الأستاذ « فرج » ! « عادل محمددين » ٦٠ جنيهاً إسترلنياً لكي يعمل الولدان في الشيراتون : لكن « عادل محمددين » شغل الولدين ورفض تشغيل الأب نفسه حتى 'و دفع نفس « الرسوم » ، لأنه - أي الأستاذ « فرج » - رجل محترم وكبارة وصحته على قاده والعمل في لندن يحتاج إلى شباب وعافية ، فجاء الأستاذ « فرج » ليعمل معنا هنا في فندق « سنتر إيرپورت هوتيل » على ماكينة غسيل الأطباق في الكافيتيريا . . « سوسن » الطفلة الكبيرة الشقية التي لا تترك أحداً في حاله أبداً فرحت بتفتش المواد الإجتماعية جداً وأطلقت عليه لقب « وزير التربية والتعليم » ! ! . . وأصبح الأستاذ « فرج » بيتنا هو « الوزير » : و : الوزير راح الوزير جه . . معالي الوزير بيغسل الأطباق . . معالي الوزير ما غسلشي المعالق . . الوزير الوزير الوزير . .

وتعب « معالي الوزير » جداً من أول ليلة بعد ٣ ساعات فقط في غسيل الأطباق . . لم يستطع - لا هو ولا صحته - أن يحملاً المجهود البدني الشاق في غسيل الصحون والأطباق والفناجين والملاعق والشوك والسكاكين والحلل والطاسات وباقي أدوات المطبخ ، ثم تخفيف ذلك كله . . ليس ذلك فقط ، بل أيضاً تنظيف المطبخ ومسح بلاط الكافيتيريا كلها بالمسحاة والجردل ، ثم تنظيفها بالمكنسة الكهربائية عدة مرات خلال الليل . . لم تحتمل صحة مفتش المواد الإجتماعية ذلك كله فكاد أن ينهار ، فتوكأ على ابنه إلى صالة التليفزيون بالفندق لكي يستريح قليلاً . لكن « بيجي » الأيرلندية الشمطاء مديرة الكافيتيريا لاحظت غيابه فأرسلت تبحث عنه ، لكن الابن الصغير المتحمس لأبيه المتعب ذهب بشجاعة ليقول لـ « بيجي » إنه سوف يقوم بالعمل بدلا من أبيه . . وكان ذلك شيئاً مضحكاً جداً طبعاً في نظر الحواجات : الأب يتوظف والابن هو الذي يعمل . . طيب كان الأسهل أن الابن هو الذي يعين من الأول وخلاص !! .

ويشكولى الأستاذ « فرج » أنه لا سنه ولا صحته ولا مركزه يسمح له بهذه البهدة ، وأنه يريد عملاً مريحاً يتناسب مع سنه ومركزه ووضع الإجماعى - فى مصر - فهو ، على حد تعبيره : « بيدخل المدرسة من دول يهزها هز » ، لأنه بالإضافة إلى كونه مفتش مواد إجتماعية فهو يقوم أيضاً بمهمة مفتش تحقيقات أحياناً . . لذا فهو يريد أن يعمل فى قسم (الإستقبال) فى الفندق ، ويطلب منى أن أتوسط له عند مدير الفندق لكي يسمح له بالعمل فى (الإستقبال) !! . . . وجدت نفسى مضطراً لأن أشرح لمفتش المواد الاجتماعية أن قسم (الإستقبال) بالذات لا يعمل فيه إلا الإنجليز ، وقلة جداً ممن لغتهم الإنجليزية ممتازة جداً وعالية جداً . . .

وفى الليلة التالية كان « معالى الوزير » قد انتهى تماماً ، فرفع الراية البيضاء وأعلن استسلامه ، وأخذ حسابه عن اليومين اللذين اشتغلتهما . وانصرف لبحث فى عاصمة بلاد الإنجليز عن وظيفة أخرى غير غسيل الأطباق تناسب مفتش المواد الاجتماعية ! .

يلفت

نظري

بشدة صغر سن العاملين والعاملات فى الفندق : أغلبهم يدور فى نطاق العشرينات ، سواء فى (الإستقبال) أو فى الكافيتيريا أو فى « پورترز » . . قطعاً هذه هى طريقة الإنجليز فى تخريج فندقيين ممتازين يربونهم منذ صغرهم ويرقونهم بسرعة ويحملونهم المسئوليات من بدنى وحدهم ، للدرجة أن المديرين المساعدين فى الفندق ، ومستر « سكاليس » المدير العام نفسه ، يدورون حول الأربعين . . .

حدث أمامى الليلة درس رائع فى العمل على الطريقة الإنجليزية يعتبر درساً فى الفندقة وأعمال الفنادق : كان الفندق « فول آب » ممتلئاً

على الآخر وليس فيه غرفة واحدة خالية من غرفه الـ ٣٦٠ ، حين اتصلت من مطار « هيثرو » في الساعة الثانية صباحاً سيدة تطلب غرفة تقضى فيها الساعات الباقية من الليلة . . ولم يكن أمام « كريس » موظف الإستقبال الشاب إلا هذا الحل : الغرفة رقم ٨٠١ يقيم فيها بشكل دائم مسر « ت . ليتل جون T. Little John » المدير المساعد للفندق ، لكن مسر « ليتل جون » يبيت الليلة خارج الفندق . وليس هناك أى احتمال لعودته الليلة ، لذا — ببساطة جداً — ذهب « كريس » و « ريتشارد » ومشرف الغرفة — الـ « تشامبر ميد » — السهرانة المسئولة عن ترتيب وتنظيف الغرف ، ذهبوا ليخلوا غرفة المدير المساعد وينقلوا ملابسه وبدله وقمصانه وأحذيته وأوراقه وكل متعلقاته . إلى غرفة مكتبه في الفندق حتى الصباح .. وهكذا لم يرفض الفندق طلباً لزبونة ولا ردها عن بابه فتركها تذهب إلى فندق آخر ، وكسب سبعة جنيهات إسترلينية مقابل عدة ساعات قليلة تطير بعدها السيدة مرة أخرى بطائرة الصباح . . ولن يغضب مسر « ليتل جون » إذا « باتت ملابسه » في غرفة مكتبه بدلا من غرفة نومه . . . هكذا الإحساس بالمسئولية ، هكذا القدرة على التصرف ، هكذا مرونة الحركة وسرعتها ، هكذا الشغل وإلا فلا . .

وحكاية

أخرى :

نزلت أنا و « سوسن » و « بيبة » اليوم صباحاً إلى لندن لنشاهد عملية تغيير الحرس الملكى أمام قصر الملكة في باكنجهام ، وأخذت معى الكاميرا لالتقاط بعض الصور لحرس الملكة الشهير بملابسهم التقليدية الغربية . . منذ خروجنا من البيت أصرت « سوسن » على أن تحمل هى الكاميرا وتعلقها في كتفها لتبدو كالسائحات . . ركبنا الأوتوبيس الأخضر الـ « جرین لاین » لننزل منه في لندن بعد ساعة إلا ربعاً ،

ونمشينا إلى قصر باكنجهام : وحين أردت أن أبدأ التصوير إكتشفت
« سوسن » لحظتها فقط أنها : نسيت الكاميرا في الأوتوبيس ! ! .
منك لله يا سوسن يا بنت عثمان ، بأه ده كلام ؟ ! . .

وكنت قد نسيت رقم الأوتوبيس نفسه أصلا ، فأردت إبلاغ
البوليس ، لكننى لم أجد أى عسكري بوليس إنجليزى قريب يدلنى
ماذا أفعل . . فمشينا نبحث عن عسكري بوليس حتى وجدنا أنفسنا
بالصدفة أمام كشك الأوتوبيس الأخضر الرئيسى فى محطة فيكتوريا .
فدخلت لأبلغ المفتشين الذين وجدتهم فيه . . ولست أدري هل لأننى
قلت لهم أننى صحفي أو لأنهم يتصرفون هكذا مع كل الناس . .
وإن كنت أتصور أنهم يتصرفون هكذا مع الجميع فعلا . فقد رأيت
بعينى أن المفتش قد عطل الطابور الواقف أمامه ما يقرب من نصف
ساعة كاملة ليستمع إلى شكوى سيدة زنجية عجوز من أنها قطعت تذكرة
فى الليلة الماضية من هذا الكشك لكن اتضح أن الموظف الذى قطع لها
التذكرة أخطأ فى ذكر موعد آخر أوتوبيس لها ، وأن آخر أوتوبيس كان
قد مر فعلا قبل أن تقطع التذكرة . . واضطرت إلى أن تركب تاكسى
إلى بيتها كلفها جنيهاً كاملاً . . واهتم المفتش بشكواها وأقرأها عليها .
ورفع ساعة التليفون واتصل بجهة ما ، ثم وضع الساعة وعلى الفور قدم
للسيدة الزنجية ٣ تذاكر جديدة تستعملها فى أى وقت تشاء ، وقدم لها
أيضاً أجر التاكسى الذى دفعته ، وهو « يرجوها » أن تقبل « أسف
واعذار » « شركة الأوتوبيس ! ! .

المهم :

إهتم :

الرجل يبلاغى عن فقدى الكاميرا فى الأوتوبيس كما لو أننى كنت قد
أبلغت الأمر إلى (سكوتلنديارد) ، أو كأننى قد فقدت حقيبة بها طن إمن

السبائك الذهبية . . فتوجه مع اثنين من مساعديه إلى خريطة كبيرة على
على الجدار تبين خط سير الأوتوبيس ، بعد أن عرف منى الموعد بالتقريب
الذى نزلنا فيه من الأوتوبيس ، وكان قد مضى على نزلنا نحو نصف ساعة
فى ذلك الوقت . . فحدد فى ثوان رقم الأوتوبيس وإسم سائقه وموقع
الأوتوبيس فى هذه اللحظة . . ويتضح أنه « الآن » فى الطريق بين
محطتين ! ! فرفع ساعة التليفون واتصل بالمحطة التى سوف يصل
إليها الأوتوبيس بعد قليل ، وطلب منهم البحث عن الكاميرا المفقودة
عند وصول الأوتوبيس إليهم وإبلاغه بالنتيجة على الفور . . وبعد
١٠ دقائق جاءت النتيجة : عثروا على الكاميرا فعلا على نفس المقعد
الذى تركتها « سوسن » عليه . لم يمد أحد يده إليها ، بالرغم من أننا حين
نزلنا من الأوتوبيس كان مليئًا بالركاب !! . . وعادت الكاميرا إلى بعد
ساعة مع الأوتوبيس القادم من الاتجاه الآخر . .

كلما رأيت شيئًا مثل ذلك فى أى مكان فى أوروبا . لا أجد ما أقوله
إلا : عقبالنا يارب !! . .

وبمناسبة

أوتوبيسات

لندن ، لم نتكلم حتى الآن عن المترو الذى يسير تحت الأرض
فى لندن : الـ « أندرجرأوند Under-ground » . . فى تصورى أن مشروع
المترو تحت الأرض فى لندن — أو فى أى عاصمة أخرى من عواصم
العالم — هو مشروع هندسى مهول . . يكفى أن تتصور أن هناك مدينة
أخرى كاملة — مكونة من ٣ طوابق — تقع تحت أرض مدينة لندن . .
شبكة هائلة من الأنفاق وخطوط المترو تمتد كالشرايين فى جسم الإنسان
لتضم ٢٨٨ محطة تربط بين أطراف لندن من أقصى الشمال إلى أقصى
الجنوب ، ومن أقصى الشرق إلى أقصى الغرب . . وكل محطة هى مشروع

هندسى فذّ فى حد ذاته ، يكفى أن تتصور حكاية ال ٣ طوابق هذه :
 وأن كل طابق فيه خطان أو أكثر تذهب فى أكثر من اتجاه . . . يعنى
 الركاب المتجهين إلى شرق لندن مثلاً يتزلون طابقاً واحداً ، والمتجهين إلى
 غرب لندن يتزلون طابقين ، والمتجهين إلى جنوب لندن يأخذون المترو
 من الطابق الثالث تحت الأرض ، وهكذا . . . يكفى أن تشعر بأنك
 تركب المترو — اللى فى الوسط — وفوق رأسك مترو آخر فيه ناس آخرون
 متجهون إلى اتجاه آخر ، وتحته مترو ثالث فيه ناس آخرون متجهون
 إلى اتجاه ثالث . . . عظمة هندسية فعلاً . . .

وإذا بدأنا من البداية : محطات ال « أندرجراوند » تجدها فى الشوارع
 تشبه مداخل دور السينما ، تدخل المحطة فتتزل درجات قليلة على السلم
 لتجد صالة واسعة كبيرة فيها عدة ماكينات ، كل ماكينة مقسمة إلى
 ثلاثة أقسام : قسم مكتوب عليه « ٥ بنسات » ومكتوب أسماء المحطات
 التى تستطيع أن تركب إليها بهذه التذكرة ذات الخمسة بنسات ، وقسم
 آخر مكتوب عليه « ١٠ بنسات » والمحطات التى تركب إليها بهذه
 التذكرة ، والقسم الثالث « ١٥ بنساً » والمحطات التى تركب إليها بهذه
 التذكرة : . . فى كل قسم من هذه الأقسام فتحة صغيرة تضع فيها قطعة
 العملة المعدنية فتخرج لك التذكرة من فتحة أخرى . . وإذا تصادف
 وكانت ماكينة من هذه الماكينات أمامها طاوور طويل أو معطلة
 تذهب إلى شباك التذاكر وتعطى لعامل الشباك أى مبلغ وتذكر له قيمة
 التذكرة التى تريدها أو اسم المحطة التى تريد أن تركب إليها ، فيدوس
 على زر أمامه فتقفز التذكرة التى تريدها لتسقط أمامك آلياً ، ويدوس
 على عدة أزرار أخرى فيتزل لك باقى الفكة من خانة أخرى دون أن تلمس
 يد العامل لا التذكرة ولا الفكة !! . . شئ رشيق جداً وظريف جداً . .

أخذت

التذكيرة ؟ . .

ستنزل بعد ذلك إلى تحت الأرض بواسطة سلاسل كهربائية متحركة : كل ما على سعادتك هو أن تتكرم بوضع قدمك الكريمة على السلمة الأولى وتترك السلم الكهربائي ينزل بك وحده إلى تحت الأرض . . . حين تجد نفسك في الطابق الذي تريده ستجد أمامك العديد من الأسهم والتوضيحات والإرشادات التي تفسر لك كل شيء وتكاد أن تأخذك من يدك ، واضحة جداً ومفسرة جداً بحيث لا تتيح لك فرصة للخطأ على الإطلاق إلا إذا كنت - البعيد - أعشى أو لا تستطيع أن تقرأ اللغة الإنجليزية . . . وستجد مترو مكوّنًا من ٦ عربات يتقاطر إلى داخل المحطة كل دقيقتين بالضبط ، وبعد أن تركبه ينطلق بك في داخل النفق بسرعة مهولة جداً . .

بأى عدة أشياء صغيرة بخصوص « أندرجراوند » : من أى شباك تذاكر تستطيع أن تحصل - مجاناً - على خريطة بالألوان لكل خطوط المترو في لندن كلها . . . وليس هناك بنى آدم يعيش في لندن ليست في جيبه هذه الخريطة ، حتى لو كان المستر « هيث » رئيس الوزراء نفسه ، فبدون هذه الخريطة - حتى لو كنت أنت المهندس الذي صمم ونفذ مشروع « أندرجراوند » - فسوف تتوه بين أنفاق المترو توهان طفل صغير في مولد السيدة زينب ! .

وإذا وجدت ما كينات التذاكر متوقفة والشبائك مغلقة - فوذلك يحدث آخر الليل أحياناً - فببساطة جداً تستطيع أن تتركب المترو وأنت خارج في محطتك تقول لعامل الباب أنك ركبت من محطة كذا وتدفع له ثمن التذكيرة ، وسيصدقك فوراً ولا « يستخونك » ولا ينظر إليك بشك أو ارتياب . .

وأغلب سائقي وعمال الأبواب في مترو لندن من الزوج ، نساء ورجالاً ..
وعلى رصيف كل محطة ستجد فتاة حسناء أو شاباً حسناً يرتدى اليونيفورم
الأزرق الشهير ، لكي تسأله عن كل ما تريد ، ويدلك ويرشدك
وفي النهاية يشكرك هو !! .. وفي المحطات الرئيسية التي تلتقي وتتفرع
عندها عدة خطوط . يوجد كشك زجاجي صغير عال تجلس فيه
حسناء أمامها ميكروفون لكي توضح أن المترو القادم الآن على رصيف
رقم كذا ذاهب إلى الحطة الفلانية ومحطات كذا وكذا وكذا . . . منتهى
النظام ومنتهى الدقة ومنتهى الانضباط ! .

طفلة

لا يزيد

عمرها أبداً عن ١٤ أو ١٥ سنة على الأكثر ، كانت تجلس
أمامي في المترو إلى جوار أمها وبطنها — بطن الطفلة وليس بطن
الأم — ممثلة على الآخر وقدامها قد كده ! . . لم أستطع أن أمنع
نفسى من أن أسألها : « ألسنت صغيرة جداً على الزواج من الآن ؟ ! » ..
فأجابت ودهشة حقيقية تبدو على وجهها الطفولي : « طبعاً لسه بدري
جداً . . ما الذى جعلك تتصور أنى متروجة ؟ ! » . .

« بيرل »

.. عاملة

التليفون في الفندق — اتصل بي في الخامسة والنصف صباحاً
لتبلغنى أن الغرفة رقم ١٥١ لم يستيقظ صاحبها على رنين جرس التليفون ،
وكان قد طلب إيقاظه في هذا الموعد . .

المفروض في هذه الحالة أن أتصل أنا بالغرفة رقم ١٥١ من تليفون
مكتبي ، فإذا استيقظ التريل كان بها ، أما إذا لم يستيقظ — فقد يكون

تليفون الغرفة عطلانا - فأذهب بنفسى لأدق على بابه، فإذا استيقظ
فيا دارما دخلك شر، أما إذا لم يستيقظ أيضاً فإننى أفتح الغرفة بالمفتاح
الـ « ماستركى » الذى يفتح كل أبواب الفندق . وأدخل لإيقاظه
بنفسى . .

المهم : صربت تليفون رقم ١٥١ فلم يستيقظ . . أخذت الـ « ماستركى »
معى ناوياً أن أذهب لإيقاظه . لكننى فى آخر لحظة تذكرت أن
الغرف من ١٥١ إلى ١٨٠ مخصصة للعاملين والعاملات فى الفندق . . والذين
يستيقظون فى هذا الوقت المبكر - ٣٠ صباحاً - ليسوا الموظفين الرجال
إنما هن بنات (الإستقبال) أو بنات الـ (تشامبر ميدز) اللاتى ينظفن
الغرف . . سألت « بوب » موظف الإستقبال السهران فأكد لى أن الغرفة
رقم ١٥١ هى فعلاً لأحد العاملين فى الفندق لكنه لا يعرف من هو
بالتحديد . . . وذهبت محرجاً وأنا أخشى أن أفتح الباب فتكون
الفتاة نائمة عارية أو على الأقل (مش متغطية كويس) ! ! . أو قد تفرع
لرؤيتى فجأة « فوق رأسها » فى وسط الغرفة أنادى عليها فتفزع ١٠٠
صوت وتلم على الناس وتبقى مشكلة . . فذهبت وأنا أقدم رجلاً وأؤخر
أخرى . حتى وصلت إلى الغرفة رقم ١٥١ ونقرت الباب بلطف فلم يرد
أحد . نقرت الباب بقوة أكثر ثم أكثر . وبرضه لم يرد أحد من
الداخل . . وبعد تردد كبير حسمت أمرى وقلت أفتح الباب واللى يكون
يكون وأمرى إلى الله . . وفتحت الباب بأكبر ضجة ممكنة عسى أن تنتبه
الفتاة على صوت فتح الباب ، وبرضه لم تنتبه . . حتى توسطت الغرفة
وأضأت النور ، فقوجئت بالمنظر الذى جعلنى أتوقف أمامه عدة دقائق
وأنا لا أدري ماذا أفعل ولا كيف أتصرف : ملاكين أشقرين يناسان
متعانقين فى ملائكية شديدة واستغراق عظيم لا يبين منهما إلا رأسيهما
الأشقرين وذراعيهما المتعانقين كأنهما قد أصبحا معاً جسداً واحداً ! !
لم يهنّ علىّ أن أوقظهما من هذا الحلم الجميل الذى يستغرقهما

بعد ليلة حب مهولة قطعاً . . مؤكداً أنني لن أبلغ عن الفتاة - (لأنه ممنوع - فقط - أن تستقبل أصدقاءها الشبان في غرفة نومها) - .
وفي الوقت نفسه كنت أعرف أن اليوم سوف يضع عليها أو يخضع منها . . لكنني تصورت أنها قطعاً سوف تفضل أن يخضع لها يوم واحد على أن تفصل تماماً . .

وأقفلت الباب بهدوء جداً على الملاكين النائمين دون أن أزعجهما .
وعدت إلى مكتبي كأن شيئاً لم يكن وبراءة « پورترز » في عيني !!

صديقي

المصري

المتزوج من إنجليزية . كنا - هي وهو وأنا - نتحدث عن الزواج والطلاق وكثرة حالات الطلاق في مصر . فقالت لي الزوجة أن الفتاة الإنجليزية عندما تتزوج فهي غالباً لا تتطلق . لأنها تكون قد عرفت و « عاشرت » شاباً واثنين وثلاثة وعشرة قبل أن تبدأ تفكر في الزواج ، لذا فحين تتزوج تكون قد تزوجت عن اختيار دقيق واقتناع كامل ، وتكون قد « جربت » زوجها شخصياً لمدة طويلة قبل أن تقرر أن تتوجه ، لذا فهي لا تتطلق !! . . .

صديقي المصري كان يجلس معنا يستمع إلى حديث زوجته الإنجليزية وهو مطرق برأسه إلى الأرض لا يتكلم !! . . .

زميلي

الإنجليزية

في الفندق التي جاءت ذات ليلة إلى مكتبي لتسألني عن خطابات لها ، ثم يتصل بيننا الحديث فتحكي لي حادثة طويلة عن صديقها أو « بوي فريند » بتاعها الذي طرده من حياتها مؤخراً ، لأن أمه كانت

غير راضية عن علاقتهما وكانت ترد عليها في التليفون بحفااء حين تطلبه ، لذا فقد أنهت علاقتها به . وهي الآن — ياعينى — بدون « بوى فريند » . . (والفتاة الأوروبية إذا قالت « بوى فريند » فهي تعنى « عشيقها » لكن بتعبير مهذب) . .

سألتها : « وهل كنت تخبينه ؟ » قالت : « طبعاً » . . قلت : « إذن كيف ستستطيعين أن تتزوجى غيره ؟ » . . قالت بدهشة عظيمة : « أتزوج غيره ؟! . . كيف أتزوجه هو أو غيره وأنا متروجة فعلاً وأحب زوجى » !!!!!!!

الجنس

في

لندن — وهي مجرد عينة ونموذج لكل أوروبا — سوف يصافح عينيك في أى شارع وعلى أى قارعة طريق من أول لحظة لك في إنجلترا . . سوف يدهشك للوهلة الأولى منظر الشاب والفتاة الغارقين في أحضان بعضهما في قبلات حاملة ولهانة وفي هيام ووله شديدين غير شاعرين بما حولهما ولا من حولهما ! . . ثم لا تلبث عيناك أن تعتادا رؤية مثل هذه المناظر وتمر بجوارهما فلا تلتفت حتى إليهما . . تراهم في محطات الـ « أندرجراوند » وفي أى شارع في أى وقت وفي أى ساعة . . وترى اثنين ماشيين في الشارع عاديين جداً وعاقلين جداً ، ثم فجأة « تطلع في عقلهم » فيتوقفان عن السير ليغرقا في قبلة عارمة ، والناس الذين يسرون وراءهما يغيرون اتجاههم حتى لا يصطدموا بهما . حتى ينتهيا من قبلتهما فيبدأن في السير من جديد ! ! .

على محطة الأوتوبيس : فتى وفتاة غارقان في الأحضان والقبلات في انتظار الأوتوبيس حتى أبصل ، والسيدة العجوز الواقفة خلفهما — في الطابور — تقرأ صحيفتها وهي حتى لا تكلف خاطرهما عناء النظر إليهما ،

مجرد واقفة في الطابور تنتظر دورها . . دورها في ركوب الأوتوبيس طبعاً ! .
 حي « سوهو » القريب من ميدان الپيكاديللى في وسط لندن ،
 تنتشر فيه دور السينما التي تعرض أفلام الجنس المكشوفة جداً على الآخر .
 بالصورة وبالصوت (!!) . . الغريب أن بعض هذه الأفلام بطولة
 ممثلين عالميين مشهورين . مثل الفيلم الذي تعرضه الآن سينما (البرنس
 شارل) بطولة « مارلون براندو » : « التأنجو الأخير في باريس » ! ! . .
 وهذه السينمات ليست سرية ولا بشكل « دكاكيني » ولا حاجة . إنما
 الأفيشات والصور الفاضحة — بالألوان — معلقة على أبوابها تعلن بوضوح
 عن نوعية هذه الأفلام !

ومسارح لندن أيضاً تلعب هذه اللعبة ، لعبة الجنس . . مسرح
 عادي جداً . وجمهور عادي جداً قاعد على الكراسي وفي صفوف صالة
 وبنائير عادية مثل أي مسرح في أي مكان ، لكن غير العادي هو
 ما يحدث على خشبة المسرح : عملية جنسية كامالة بين رجل وامرأة .
 وأحياناً بين رجل واحد وأكثر من امرأة ! ! . . والذي يثير الدهشة فعلاً
 هنا هو « شكل » جمهور هذه المسارح ، الذي غالباً ما يتكون
 معظمه من الرجال أهل الستينات والسبعينات ، يعنى الناس المفروض أن
 يكونوا أصلاً قد غاب من تلافيف ذكرياتهم أنه « كان » هناك في حياتهم
 شيء اسمه الجنس يوماً ما . . يوماً ما من زمان أوى ! !

ومجلات

الجنس

أيضاً المطبوعة — كلها — بالألوان الفاخرة على ورق كوشيه مهول
 في طباعة لا تحلم بها نحن هنا في مصر — كصحفيين — لمجرد « أغلفة »
 مجلاتنا . . هذه المجلات الفاضحة جداً المكشوفة جداً ، منتشرة أنتشاراً
 رهيباً في إنجلترا : « پلاى بوى » . . « ماى فير » . . « پتتهاوس » . .

« ركس » « سينا X » . . « للرجال فقط » . . « ٣٠ دقيقة » . .
وهي أغلى مجلات في السوق . إذ يتراوح ثمن النسخة الواحدة منها بين
٣٠ و ٥٠ بنساً ، يعنى ما يقرب من ٥٥ إلى ٨٥ قرشاً مصرياً . .
وهي مليئة بصور لحسنات عاريات تماماً في منتهى الجمال من كله : جسم
ووجه وشعر وعيون !! .. إيه دول ؟ ! مش بنات ناس دول ؟ ! ما ليمش
أهل ولا أصدقاء ولا معارف ولا جيران يعملوا لهم حساب ؟ ! . .
في مجلة « ماى فير » مثلاً ، المكتوب على غلافها أنها مخصصة للرجال
فقط - آل يعنى - إكتشفت شيئاً آخر ظريفاً : كوبون في
الصفحات الأخيرة من المجلة ، تملأ بياناته وتقر فيه أنك أكبر من ١٨ سنة :
وترسل للمجلة مبلغ كذا فيرساون لك فيلماً سينمائياً ملوناً مقاس ٨
مليمترات بصور الفتاة التى أعجبتك فى أى عدد من أعداد المجلة ،
بالصورة الملونة والحركة والـ يانهار إسود . كفاية كده !

وفى

أغلب

بيوت لندن التى تؤجر غرفاً مفروشة - غرفة مفروشة فى وسط
أسرة إنجليزية - ما دمت قد أجرت الغرفة فلا شأن لأحد بك ولا يسألك
أحد عن الفتاة التى تقيم معك هل هى زوجتك أو أختك أو قريبتك . .
وتستطيع ببساطة ووضوح أن تقول إنها الـ « جيرل فريند girl-friend »
بتاعتك ، أو تقول هى إنك الـ « بوى فريند Boy-friend » بتاعها . .
والـ (جيرل فريند) أو الـ (بوى فريند) معناها أنكما تعيشان معاً بغير
زواج . . . وبالعربى الفصيح : « عشيقان » ، ولا أحد يعترض ولا أحد
له عندكما حاجة . . وتمشى الفتاة وتبجى غيرها فلا ينظر إليك أحد
شذراً ولا تلمح فى عين أحد نظرة استغراب أو دهشة ، وحتى لا يقاطعونك
أو يتعدون عنك أو يتجاهلونك . . لأن هذه المسائل أصبحت لا تناقش

الآن في أوروبا كلها ، وفي إنجلترا بالذات . . .
 والبنت الإنجليزية واضحة للغاية ومباشرة جداً . . . أساساً هي تلبس
 ملابس قصيرة جداً في الصيف أو في الشتاء ، وتجلس في المترو أو في
 أى مكان وتضع ساقاً على ساق فلا تعرف أنت إن كانت ترتدى فستاناً
 بصحيح أو بلوزة فقط . حتى تبدو آثار عملية الزائدة الدودية ولا يهمها
 حاجه . . وإذا لاحظت هي أنك لا ترفع عينيك عنها ثبتت عينيها في عينيك
 تتأملك في استغراب مندهشة لعبطك . . على عكس البنت المصرية التي
 تلبس الـ « چوب » قصيرة شوية ولو قعدت في الأوتوبيس تحاول أن تخفى
 ساقها بشنطة يدها . وتشد في طرف الـ « چوب » آل يعنى عايزة تطوطها
 شوية ! ! ! .

البنت الإنجليزية الشابة تشعر أنها نضرة ومتفتحة ومشرقة ودم الشباب
 والصحة والحياة يجرى في وجنتيها وفي كل جسمها طاقة وحيوية . . ذلك —
 ببساطة جداً — لأنهن لا يعانين من القلق ولأنهن ليس لديهن مشاكل
 كبت . جنسى إذ نهن يبدأن حياتهن الجنسية وينهلن منها ويستمتعن
 بها منذ أن يصلن إلى الثالثة عشرة . . لكن ذلك أيضاً له أضراره وعيوبه .
 فإن الفتاة الإنجليزية في الثلاثين يبدو شكلها وكأنها في الأربعين أو
 الخامسة والأربعين . . أما في الأربعين فتبدو عجوزاً تماماً . . ذلك
 لأنهن يبدأن حياتهن بدرى جداً وينهينها بدرى جداً ، ويهرمن بسرعة
 نتيجة « سوء الاستعمال » ! ! .

ولأن كل البنات الإنجليزيات — بشكل عام يعنى — جميلات ، فإن
 ثقتهن بأنفسهن ضعيفة . . الجمال متوفر وكثير ، والشبان — إلى حد ما —
 قليلون ، نتيجة خروج إنجلترا من الحرب العظمى الثانية وقد فقدت عدة
 ملايين من شبانها ، فأصبح عدد الفتيات أضعاف عدد الشبان ، وأصبح
 هناك ولد واحد لكل عدة فتيات ، وأصبحت الفرصة ضيقة جداً أمام
 البنات للزواج ، ومن هنا جاء التحلل والتفسخ والإنهيار الجنسي الفظيع

نتيجة أن العرض (البنات) أكثر من الطلب (الشبان) . . لذا فالبنت الإنجليزية تعطى وتمنح دون أدنى تردد للشبان الإنجليز وغير الإنجليز . . حتى إنك تجد الشاب الزنجى العكر جداً أو الشاب المصرى الذى تخشى السيدات الحوامل فى مصر أن ينظرن إلى وجهه خوفاً من « الوحم » ، تجده يسير فى شوارع لندن وقد تشعبطت فى ذارعيه حسناوتان إنجليزيتان من مستوى « فيرنا ليزى » وطالع ، وهما تقبلانه — من الناحيتين — فى كل خطوة . . ولوجاءت واحدة منهما إلى القاهرة لسارت وراءها مظاهرة من مخرجى السينما المصريين يهتفون بحياة إنجلترا التى أنجبت مثل هذا الحسن ! ! ! .

لذا ، فإن أحداً هنا لا يرغب الفتاة على شىء . . هى التى تعرض وهى التى تطلب وهى التى تلح وتجرى وراء الشاب ، وفى الوقت نفسه لا ترفض قبة عابرة من هذا — على برضه — ولا حضناً على الماشى من ذاك . . وتسمع صوت القبلات تفرقع طول الليل بين الجرسونات البنات وزبائن الكافيتيريا ، وتسمع أيضاً طول الليل صيحات « ممنوع اللمس من فضلك » من « بعض » البنات المصريات اللاتى يعملن فى الكافيتيريات . . وإذا قالت البنت المصرية « لآ » فإن ذلك يكفى مرة واحدة فلا يقربها ثانية الشاب الذى أثارتة سمرتها فتكرم غير مشكور بمد يده أو بمحاولة تقبيلها . .

ومع

ذلك

فإنك تجد الشاب الإنجليزى ناعماً رقيقاً وهشاً وطرى و « مرخرخ » ومش قادر يصلب طوله ، وشعره الحريرى الناعم منسدل خلف ظهره أطول من شعر البنات ، وفيه أنوثة أكثر من البنات ، وإذا مشى فهو دلوعة ومابع ويمشى منفرد ويتثنى ويتقصع ويتعمد أن يستعرض أنوثته ورقته

ومياصته . . الشبان في إنجلترا أحلى وأنعم من بناتنا . لدرجة أننى أحياناً كنت أستغرب وأتساءل في نفسي : « الشبان دول بيتجوزوا إزاي » . . لم يعد عند البنات الإنجليزيات شىء يخفى . ولا عند الشبان الإنجليز شىء يشبه الرجولة ولا حتى من بعيد . . إختلط الجنسان على بعضهما فلم تعد تعرف الولد من البنت . . البنت شبه عارية والولد ناعم وبائش و « أنثوى » . . والمياعة إقتسمها الطرفان بالتساوى . . كلاهما مايص ومايح وسايح ونايح ، ولو وقع على الأرض ما حدش حايعرف يلمه ويرجعه زى ما كان . . هذا هو الجيل الذى سينتهى العالم على يديه بإذن الله . . فإن الإنحلال الخلقي والتحلل والتفسخ الإجتماعى الخطير الذى ترزح تحته أوروبا هذه الأيام يقول إننا فى بداية عصر انهيار الحضارة الأوروبية . . لا قيم ولا أخلاق ولا حياة ولا فضيلة ولا مبادئ ولا دين ولا اعتبار لأى شىء على الإطلاق . . وأتصور أن أوروبا سوف تنفجر فجأة وتموت قبل ٥٠ سنة أخرى . . ولو قدر لإنجلترا أن تدخل حرباً أخرى بهذا الجيل الخرج المصوص بالجنس والمخدرات ، لما عايرنا أحد بعد ذلك بحرب الأيام الستة ، لأن حربها هى سوف تنتهى قطعاً بعد يوم واحد !

مستر

« هوپكنز »

المدير المساعد للفندق : الذى وافق أصلاً على تعيينى هنا وقال عني لكل الناس إننى صحفى وكان واضحاً أنه فرحان جداً بوجودى ، طلبنى اليوم في مكتبه ليؤنبنى بشدة على أننى لم أحضر إلى الفندق وتغيبت عن العمل بدون اعتذار سابق ليلة الخميس الماضى ، وقال لى ما معناه إننى قد أكون أعظم صحفى في القاهرة ، لكننى هنا في الفندق أعمل « پورتر » فقط ليس إلا . وعلى أن أحترم مواعيدى بكل دقة وأنه لن يقبل منى أى عذرا ! . . كان واضحاً أنه غاضب فعلاً حتى تصورت أنه سينهى

كلامه بفصلى من العمل . .

لكننى فى الصباح أفاجأ بأغرب خبر كان يمكن أن أتصور أن يحدث
لى هنا : درس آخر فى أسلوب العمل الإنجليزى : مستر « جون أوليرى »
كبير الـ « پورترز » يطلبنى فى الصباح ليبلغنى أننى - بعد ١٤ يوماً فقط
لى فى العمل - نظراً لكفاءتى التى لاحظوها جميعاً . قد رقيت إلى :
رئيس واردة ! ! . . ومن بعد غد سأكون « رئيساً مسئولا » عن زملائى
فى الواردية ، وبالتالى مسئولا عن الفندق كله . ليلتين فى الأسبوع ! !

(٨)

□ الرعب .. يجتاح المدينة .. !! □

أنا

الليلة

« ريس » لأول مرة . . أول ليلة أتولى فيها مسئولية العمل بمفردى كرئيس لواردية الـ « پورترز » . . كانت المسألة فى بداية تعيينى كـ « پورتر » تشبه النكتة بالنسبة لى . . نكتة ظريفة أحكيها للأصدقاء فى مصر بعد عودتى ، وأكتبها للقراء فيضحكون على العبط الصحفى الذى يجعل صحفياً قد الدنيا — ده اللى هو أنا — يرضى على نفسه أن يعمل بواباً فى إنجلترا لكى يكتب سلسلة موضوعات عن الطلبة المصريين لمجلته . . لكن المسألة الآن لم تعد نكتة . . الإنجليز فيما يتعلق بالعمل ما بيعرفوش يهزروا أو يحاملوا ، بدليل أنهم اختارونى أنا لتحمل هذه المسئولية — وهى لو تعلمون كبيرة — بعد ١٤ يوماً فقط من تعيينى ، وفى الفندق « پورترز » آخرون يعملون هنا منذ خمس سنوات . . وأصبح مطلوباً منى الآن — حتى لو كنت صحفياً — أن أثبت لهم أننى « جدير » بالثقة التى وضعوها فى شخصى ! .

كنت شديد القلق والتوتر فى بداية الواردية ، خصوصاً وأن الفتى الفلبينى « ريكمار » الذى كان واضحاً أن اختياري لهذا « المنصب » وبهذه السرعة شيئاً مستغرباً بالنسبة إليه ولم يستطع أن يهضمه بسهولة ، فحاول أن يستعبط ويسوق الهبالة على الشيطنة ولا يطيع أوامرى ، على

اعتبار أنه يعلم أنني لم أسبقه في العمل بأكثر من عشرة أيام ، لكنني عاملته بحزم و« رسمى » ، فغاب قليلاً ثم عاد ليطلب مني بفلاسة أن أقول له « Please » أو « من فضلك » حين أطلب منه أن يفعل شيئاً ! ! . ورأيت أن المسألة يجب أن تحسم بشكل قاطع يحفظ للعمل احترامه وانتظامه منذ البداية والإسقاط أنا في الاختبار ، فلعلنت أبوخاش جده بعنف بالعربية وبالإنجليزية وبكل اللغات التي أعرفها ، وشخطت فيه وزعقت له وكربسته ووريته العين الحمراء بصحيح وبتكشيرة وتبويزة مقاس ٣٠ × ٤٠ ، واترسمت ريس بصحيح وأعطيته ١٠ أوامر وراء بعضها من غير « Please » ولا « من فضلك » ، و: « عايز تنفذ نفذ ، مش عايز تنفذ إتفضل سيب الوادية وروح بيتكم وحاكتب في التقرير اليومى إنك رفضت التنفيذ . . « Please » أو « من فضلك » دي أقولها لك لما أكون باطلب منك خدمة شخصية لي ، لكن مش ممكن أقول لك من فضلك علشان تعمل اللي أنت متعين هنا علشانه وبتأخذ مرتبك عليه . . مفهوم ؟ ! » . .

ومشى « ريكمار » على العجين ما يلخبطوش بعد ذلك ! ! ! .

لكنه

أفرغ

همه — كأي شرير مخرب — بصورة أخرى : في نحو الرابعة صباحاً دخلت الغرفة التي نغير فيها ملابسنا فوجدت الكرسي الجلد الأنيق الشيك مزوفاً بمطواة أو موس ، والحشوالمطاط الفاخر بارزاً منه ! ! . ولم يكن في الوادية معي في تلك الليلة غيره هو فقط ، وهذه الغرفة لا يدخلها إلا « پورترز » وحدهم ، فقطعاً هو الذي فعل ذلك . . وظللت طول الليل بعد ذلك وأنا « حاطط إيدي على قلبي » لأن الإتهام ممكن أن يوجه لي أنا أو على الأقل توزع التهمة بيننا ، و« شكلها وحش » جداً أن

أقف مثل هذا الموقف في اتهام صياني تافه وحقير كهذا لا يفعله إلا شرير مخرب ! . . وقد جعلتني هذه الحادثة الصغيرة أفكر : ماذا كان يمكن أن يحدث وكيف كنت أتصرف لو تصادف وكان شاب إسرائيلي يعمل معي في واردة الـ « پورتوز » ، رئيساً أو زميلاً أو مرءوساً لي ؟ ! . . . يعني لو كان الأخ « ريكمار لوبيز » هذا إسرائيلياً وليس فلسطينياً . فكيف كان المفروض أن أتصرف ؟ ! . . في الحقيقة : مش عارف . .

المهم

أن

الليلة قد مرت على خير برغم أنها أكثر ليالي الأسبوع ازدحاماً بالنسبة للفندق : ليلة الأحد . . ورمستر « هوبكتز » المدير المساعد على أثناء الليل عدة مرات ليطمئن على حسن سير العمل الذي كان يسير كالساعة المضبوطة . . ومن بدرى جداً كنت قد أنهيت كل الأعمال الروتينية اليومية المفروض أن تستغرق من الـ « پورتز » عادة الليل بطوله . . واجهت أزميتين صغيرتين في البداية حين كدت أصطدم بـ « چوك Joke » الشرس بطل الملاكمة السابق والمستول عن (جاراج) الفندق الآن ، والذي يعمل له كل العاملين في الفندق ألف حساب ، حين شخط فيّ وهو يكلمني في التليفون فقفلت السكة في وجهه وأنا أتوقع أن الليلة مش حاتفت على خير وأنني سأنضرب منه علاقة لها العجب ، لكن الأزمة مرت بعد ذلك وحدها حين اضطررت أن أطلبه أنا لكي أسأله ماذا أفعل في ذلك الطلب الغريب الذي طلبه مني أحد التزلاء الأمريكان المهافيف : عايز يستأجر : أوتوبيس ! ! أوتوبيس بصحيح ! ! هو حرطبعاً ، إن شالله يكون عايز يستأجر كراكة أو حاملة طائرات ، وأنا مالي . . سألت « چوك » : « أجيب للراجل الأهيل ده أوتوبيس منين ؟ » فضحك « چوك » وضحكت أنا ، وهدأت الأمور بيننا وبقينا كويسين لأنه

إكتشف - ده كلامه - إن دمي مش ثقيل كما كان يعتقد . . . ووجهي وأرشدني ودلني ماذا أفعل لكي أستأجر لهذا السائح المهفوف الأوتوبيس الذي يريده . . . وحصل فعلا . . .

المهم أنني بخناقتي مع « چوك » الشرس بطل الملاكمة السابق إكتشفت شيئاً جديداً يمكن أن يندرج تحت بند العلاقات العامة و « كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس » - وهو اسم كتاب كنت قد قرأته في مطلع شبابي فجعلني أخسر كثيراً من أصدقائي ! ! - إكتشفت حكمة جديدة يمكن تلخيصها هكذا : « حاول أن تسأل الآخرين الأكبر أو الأقدم منك . . . لا تردد ولا تخجل من أن تفعل ذلك . . . سوف تكسب صداقتهم على الفور حين يشعرون أنك لا تتعالى على التعلم منهم . . . سيعطونك معلوماتهم + صداقتهم . . . وأنت الكسبان في الحالتين » . . . إنتهت الحكمة ! ! . . .

الليلة كانت

واردية الليل في الفندق كلها مصريين : أنا في « پورترز » : « سوسن » و « سناء » و « منى » و « شحاتة » و « ماجد » و « أمين القصاص » و « كالح » و « سمير » جرسونات في الكافيتيريا . . « بيبة » و « عماد » يغسلان الأطباق . . واردية الكافيتيريا كلها - ما عدا « دورا » المديرية الحسنة - كلها مصريون ! : أفكر في أن نرفع العلم المصري على الفندق ليلاً !

ثاني أمريكي

ألتقي به في نفس الصباح : على محطة الأوتوبيس أمام الفندق وجدته يجلس على ال « دكة » الخشبية الصغيرة الموضوعة أمام المحطة وعيناه مثبتتان

على ممر المطار ، يرقب ويتابع هبوط الطائرات وصعودها في انفعال شديد وعصبية بالغة كأنه يشهد مباراة في المصارعة الحرة أو مصارعة الثيران . وهو يفرك يديه وأصابعه متشنجاً في توتر ونشوة غريبة . . . قال لي وهو لا يحول عينيه عن الطائرات الصاعدة الهابطة أن هذه هي هوايته الكبرى التي يحضر من أجلها من الولايات المتحدة إلى لندن في إجازاته كل صيف يستمتع بمشاهدة صعود وهبوط الطائرات في مطار « هيثرو » ، ومن فوق هذه الـ « دكة » بالذات ، على اعتبار أنها لا تبعد أكثر من ١٠٠ متر عن ممر الطائرات ! ! . . .

لست أدري السر في هواية عبيطة كهذه . . . لكن يبدو أن هذه هي طبيعة الأمريكيان عمومًا : العبط ! !

وفي

الوقت

نفسه فإن هذه الحكاية تشغلني بشكل آخر مختلف : في القاهرة أسكن بعيداً جداً عن المطار — في ميدان رمسيس — لذا فعلاقتي بالطائرات شبه معدومة ، إلا عندما أسافر بها . . . أما هنا فعلى وبيتي كلاهما في منطقة مطار « هيثرو » وملاصقان له . . . وطول اليوم أرى الطائرات وعجلاتها تلامس الأرض هابطة أو وهي تترك الأرض صاعدة ، فلا أتمالك نفسي من أن أدعو وأبتهل — باللغة العربية طبعاً — : « يارب يارب يارب ، سلم وما تحصلشي حاجة وحشة » . . . قلبي مع كل طائرة هابطة وكل طائرة صاعدة . . . أتصور كم هي مصيدة مقفلة رهيبة ألحمة لو حدث حادث لطائرة . . . وأتصور كم بداخلها من القصص سوف يكون : الحبيبة العائدة إلى حبيبها ، والزوج الراجع إلى بيته وأسرته وأولاده وبناته . . . وكل راكب وكل راكبة في الطائرة لهما قصة ووراءهما قصة ، وهناك ناس يحبونهم في مكان ما ينتظرون عودتهم ، أو في نفس هذا

المكان ما زالت مناديلهم البيضاء في أيديهم تلوح للقاء : : أو لعله للوداع . . .

إستر يارب . . فكلهم إنسان مهما اختلفت جنسيته ومهما اختلفت ديانتته . .

الليلة

مرعبة

من أولها . . . مستر « سكاليس Scales » المدير العام هو المدير السهران الليلة ، لكنه يبدو مهموماً عصيباً متحفظاً . . يأتي ليصدر تعليماته إلى « ريتشارد » — رئيس واردة الـ « بورترز » الليلة — بأن تكون جولة الأمن للتفتيش على الفندق الليلة مرة كل ساعة من منتصف الليل حتى السادسة صباحاً ، يعني ٧ مرات بدلاً من ٣ فقط كالمعتاد ، ذلك لأنه تلقى تهديداً بأن قبيلة سوف توضع في الفندق الليلة لنفسه ، في موجة القنابل الأيرلندية التي تغزو لندن كلها هذه الأيام ، ولا تخلو الصحف كل صباح من قبيلة انفجرت هنا أو هناك ، ابتداء من محطة مترو إلى بنك إنجلترا مروراً بمكاتب الشركات والمصالح الحكومية والمحلات التجارية والعامة . . وكانت تعليمات مستر « سكاليس » ألا نلتقط شيئاً من الأرض على الإطلاق ، خصوصاً علب السجائر ، وأن نبليغه على الفور في حالة اشتباهنا في أي شيء يحتمل أن يحمل متفجرات ! .

وما إن تمضي لحظات حتى يأتي رجل عملاق أنيق أحمر الشعر فاخر الثياب ، ومعه رجل آخر وسيدة . . العملاق ذو الشعر الأحمر يتزل في الفندق عندنا ، ليس معه حقيبة ملابس ، إنما كل أمتعته عبارة عن صندوق واحد لا يزيد في حجمه على صندوق راديو متوسط الحجم . لا يريد أن يأخذه معه إلى غرفته وإنما يريد أن يتركه في مدخل الفندق عندنا حتى الصباح ! ! : حين رفعت الصندوق في يدي لأركنه على

جانب فوجئت بأنه خفيف جداً أستطيع أن أرفعه بإصبع واحدة . .
 هزته فترجرج ما بداخله كأنه شيء صغير جداً بالنسبة لحجم الصندوق !!
 . . أسرع بوضع الصندوق في مخزن الأمانات وعدت على الفور لأضع
 عيني على الرجل الفاخر الأحمر الشعر ورفيقه لا أرفعهما عنهم . وأبلغت
 الأمر « ريتشارد » الذي أبلغه على الفور لمستر « سكاليس » . في الوقت
 الذي كنت أسجل فيه بسرعة جداً على ورقة أمامي أوصاف الرجل
 ورفيقه بدقة شديدة . حتى إذا احتاج إليها البوليس الإنجليزى وجدها
 جاهزة . . وجاء مستر « سكاليس » مهزولاً فأومأت له برأسى من بعيد
 مشيراً إلى الرجل الفاخر الأحمر الشعر . . وذهب مستر « سكاليس » مع
 « ريتشارد » لمعينة الطرد في المخزن . ومستر « سكاليس » مقوس الظهر
 في توتر كأنه قط يتحفز للوثوب : والقلق يكاد يقتله . . واستقر الرأي
 أخيراً على أن نضع الصندوق الصغير في وسط الأرض الفضاء خلف
 الفندق حتى الصباح ، حتى إذا انفجرت القنبلة تنفجر بعيداً عن الفندق . .
 وقضينا الليلة كلها مشدودين متوترين ونحن نرقب صوت الانفجار بين
 لحظة وأخرى . .

وفي الصباح . . جاء الرجل الأحمر الشعر فاخر الثياب يطلب صندوقه . .
 وأخذه ومضى !! . .

وتجربة

صحفية

جديدة أيضاً تمر بي اليوم كنت أتمناها فعلاً من زمان . من يوم أن
 بدأت حرب القنابل الأيرلندية في لندن : كنت مع الصديقة المصرية « منى »
 في محل « وولورث » في « أوكسفورد ستريت » ، وكنا قد انتهينا فعلاً من
 شراء ما نريد بعد جولة أكثر من ساعة في المحل بطوابقه الثلاث صعوداً
 بوطاً بالسلام المتحركة ، وكنا قد وصلنا إلى الطابق الذي في مستوى

الشارع فعلا في طريقنا إلى مغادرة المحل متلكتين في نظرة أخيرة إلى باقي المعروضات . حين رنت في المحل كلاء أجراس منخفضة بشكل رتيب ومستمر ، فظننا أن موعد إغلاق المحل قد اقترب مع أن الساعة كانت لا تزال قرب الثانية ظهراً ، يعنى ليست موعد الغداء ولا موعد إنتهاء العمل ، على اعتبار أن اليوم - الخميس - يوم عادى في منتصف الأسبوع . . . لكننا فوجئنا بهرج قليل وتزاحم يحدث في اتجاه باب الخروج الرئيسى الكبير للمحل . . وفوجئنا بارتباك البائعات واضطرابهن . ثم بشاب مصفر الوجه يكاد يرتعد وهو يمر بين الـ « ريونات » لينبه الزبائن بسرعة وبصوت منخفض لا يكاد يسمع . يطلب منهم سرعة الخروج من المحل وإخلائه فوراً ! ! ! . وفي لحظات كان الجميع يهرعون - في نظام وعدم تدافع - إلى ناحية الباب . . حتى أصبح المحل خالياً في دقائق قليلة . . وأردت - بعد أن أصبحنا في الشارع فعلا - أن أبقي على مقربة قليلا حتى أرى بعينى المنظر الذى طالما تميت رؤيته ، لكن « منى » - التى استتجت نفس استتاجى - أسرعت تجذبني من ذراعى بسرعة لنبتعد عن منطقة الخطر ، وقد عرفنا أن قبلة أيرلندية جديدة سوف نقرأ عنها في الصحف المسائية الليلة وفي صحف الصباح غداً . .

وفعلا ، يتضح أنهم قد عثروا على قبلة في محل « وولورث » ، لكنهم استطاعوا إبطال مفعولها قبل أن تنفجر . . وربنا ستر أنهم انتبهوا إليها واكتشفوها قبل أن تنفجر فعلا ونحن موجودان داخل المحل ، وإلا كان الواحد رجع مصر بعاهة تؤهله للإشتغال في فنادق سيدنا الحسين أو أم هاشم . .

وحكاية الخطابات

الأيرلندية المتفجرة هذه تثير الرعب في لندن كلها ، لأنها تنفجر فجأة وعلى غير انتظار في أى مكان خاص أو عام ، فتصيب أى حد بلا تمييز . . يعنى ليس المقصود بها ناساً محددين إنما المقصود بها

أن تفعل ما تفعله الآن فعلا بالضبط : تثير الرعب عند كل واحد يعيش أو « يتواجد » في لندن . . . والجزء الأكبر من هذه القنابل يكون على شكل خضابات متفجرة تصل بالبريد لتنفجر في يد من يفتحونها . . اليوم انفجرت رسالة في ميني بنك إنجلترا فأطاحت بذراع الموظف الذي فتحها . . أختنا « ماري » الجرسونة الإيطالية في كافيتيريا الفندق زعلانة جداً مما حدث ، وتقول إن ذلك ممكن أن يحدث لأي إنسان برىء يفتح رسالة فتنفجر فيه دون أن يكون له ذنب في موضوع أيرلندا . . وتستطرد « ماري » قائلة : « لازم يكون فيه طريقة علشان نعرف إن الرسالة دي فيها متفجرات والا لا . . لازم على الأقل يكتبوا على المظروف من الخارج أن فيه متفجرات » !! . .

ربنا يكملك بعقلك يا « ماري » !! .

على فكرة . بمناسبة الرسائل الأيرلندية المتفجرة : جزء من مسئولياتي أن أتسلم بريد الفندق كله من سيارة البريد كل صباح . . لكن الحمد لله أن فتح هذا البريد من مسئولية الواردية التي تأتي بعدى ! ! .

وقد كان بيني وبين « ماري » - ال « هاوس كبير » الأيرلندية الشابة الطالبة في جامعة بلفاست - حديث طويل عن إيرلندا ، فهمت منه ما لم أكن أعرفه من قبل عن المشكلة الأيرلندية . . فعرفت أن جزيرة أيرلندا كلها تضم ٣٢ مقاطعة أو محافظة ، ٢٦ مقاطعة منها مستقلة فعلا هي « جمهورية أيرلندا الجنوبية » ، و ٦ مقاطعات فقط في شمال أيرلندا هي التي تشن حرب القنابل هذه ضد إنجلترا طلباً للإستقلال والانضمام إلى جمهورية أيرلندا الجنوبية . . وشرحت لي « ماري » أيضاً سر تمسك إنجلترا بهذه المقاطعات الست بالذات ، فقالت إن هذه المقاطعات هي مزرعة إنجلترا التي تمدها بكل احتياجاتها من الحضر والفاكهة ، ليس ذلك فقط ، بل تمد إنجلترا كلها أيضاً . . الماء العذب ! ! . .

أفادكم الله يا ست « ماري » . . منك نستفيد . . كتر خيرك . .

لست

أدرى

السرى فى ذلك الرعب الذى اجتاحتنى الليلة فجأة وأنا أقوم بجولة الأمن الليلية للتفتيش على الفندق . . شعرت الليلة كأن أحداً يتعتبىنى فى ممرات الفندق الهادئة الغارقة فى السكون فى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل ، وكأننى أسمع وقع أقدامه ورأى . . صحيح أن الممرات مضاءة لكن الإضاءة هادئة خافتة والممرات طويلة جداً وضيقة جداً حتى تبدو وكأنها لا نهاية لها ، ويبدو آخرها وكأنه بقعة سوداء صغيرة . . فأنظر أمامى وأنا أتوقع أنى حين أصل إلى هذه البقعة السوداء فى نهاية الممر ستخرج يد من الظلام بالطعنة القاتلة فى صدرى . . وأنظر خلفى فأرى الممر ورأى طويلاً فأتوقع الطعنة القاتلة فى ظهرى ، وأتصور أنى لو توقفت فى مكانى فسوف ينقض على الخطر من وراء أحد هذه الأبواب المغلقة كما يحدث فى أفلام هيتشكوك المرعبة !

زباين

آخر

الليل فى الكافيتيريا . . ثلاثة شبان وفتاة . . أكلوا وشربوا وتعشوا وانبسطوا ، وفى آخر السهرة تركوا الفاتورة على المائدة وهربوا دون أن يدفعوا الحساب ، وركبوا سياراتهم وانطلقوا مسرعين . . وحاولنا — « دورا » الحسنة مديرة الكافيتيريا ، و« بوسن » و« سناء » و« أمين القصاص » وأنا — حاولنا عبثاً أن نلحق بهم ، لكنهم كانوا فص ملح وداب ! .
 أول مرة تصادفنى حالة كهذه من حالات البلطجة فى لندن . .
 وإن كنت قد سمعت من « ليلى سليمان » منذ أيام قصة أكثر عنفاً :
 « ليلى » تعمل مثلنا واردية الليل فقط . . دخل زبون إلى الكافيتيريا

التي كانت « ليلي » حديثة العهد بالعمل بها ، وظل جالساً إلى مائدته نصف ساعة دون أن تتقدم واحدة من الجرسونات لخدمته ، وبالرغم من أن مائدته لم تكن تابعة للجزء الذي تخدمه « ليلي » فإن الشهامة المصرية قد أخذتها فتقدمت هي لخدمته . . ثم يتضح أن باقي الجرسونات البنات قد أحجمن عن خدمته لأنهن كن يعرفن أنه بلطجي ولا يدفع الحساب . وفاتنهن أن ينبهن « ليلي » إليه ظناً منهن أنها تعرف ذلك . لكن « ليلي » كانت قد تورطت فعلاً وأحضرت له طلباته . . وبعد قليل جاء رجلان آخران وفتاتان ليجلس الجميع إلى مائدته أيضاً ويطلبون طلبات جديدة ، و « ليلي » لا تستطيع إلا أن تلي كل الطلبات مادامت قد ورطت نفسها . . لكنها كانت لا ترفع عينيها عن مائدتهم طول الوقت حتى لا يهربوا دون أن تراهم . . وفعلاً . بعد أن انتهوا من العشاء قامت الفتاتان وغادرتا الكافيتيريا وجاستا في السيارة . فلم تستطع « ليلي » أن تفعل شيئاً لأن الرجال الثلاثة كانوا ما زالوا يجلسون إلى المائدة . . وبعد قليل قاموا بهدوء وبشكل عادي جداً كأنهم سوف يدفعون الحساب في الخزينة قرب باب الكافيتيريا ، لكنهم حين اقتربوا من الباب انطلقوا فجأة يجرّون ، و « ليلي » وراءهم ومعها الشاب المغربي الذي يعمل على الخزينة . . وقرب مدخل الفندق توقف الرجال الثلاثة — حين حوصروا — وهم يضحكون وقالوا إنهم فقط كانوا يمزحون . وإنهم طبعاً سوف يدفعون الحساب ، لكن صاحب الدعوة فيهم قال أنه نسي محنظة نقوده في السيارة . فذهب معهم الشاب المغربي إلى السيارة ليأخذ الحساب . فلما تأخر في العودة خرج مدير الكافيتيريا ليبحث عنه . وعاد وهو يحماه بين ذراعيه غارقاً في دماثه بعد أن شرطوا له وجهه بالموسى وشوهوه وحاولوا أن يقتلوه . . وهربوا — برضه — دون أن يدفعوا الحساب ! ! . .

المدير

المساعد

الألماني السهران الليلة مسر «بتشورتشيك» : طلب مني أن أفحص شيئاً لم أفهمه بالضبط في دورة المياه ، على أن آخذ معي المفتاح ! ! . . لم أفهم مفتاح إيه ! ؟ هو فيه في دورة المياه حاجة مقفولة علشان تحتاج إلى مفتاح ؟ ! . . قلت لـ «ريتشارد» فلم يفهم هو الآخر مفتاح إيه ؟ ! . . فذهبتنا معاً — «ريتشارد» وأنا — نبحث في دورة المياه عن ذلك الشيء الذي يحتاج إلى مفتاح هناك . فحدث ما حدث . وكانت هذه هي أول مرة ألتقي فيها ببيلطجية لندن وجهاً لوجه . .

ونحن في طريقنا إلى دورة المياه و «ريتشارد» يتقدمني بخطواته السريعة المهرولة ، لمحت بركن عيني ثلاثة شبان يدخلون من باب الفندق شكلهم يبدو كالفتوات أو السكارى . . وأسرع واحد منهم الخطى ليصبح وراء ظهر «ريتشارد» مباشرة حتى ليكاد يلتصق به من الخلف دون أن يشعر «ريتشارد» . . ودخل «ريتشارد» دورة المياه ووراء الشاب الذي يكاد يلتصق به . وأثناء دخول الثاني — وكنت قد بدأت أشعر بقليل من الإرتياب لمنظرهم — وضعت قدمي أمام قدمه فتعثر قليلاً لكنه ظن أنها حركة غير متعمدة . وكنت أنوى لو لاحظتها أن أدعي أنني كنت أمزح . . ودخل «ريتشارد» ووراء الشبان الثلاثة وأنا في الآخر . . وبمجرد أن أصبحنا جميعاً داخل دورة المياه وبابها مغلق ووراءنا التفت «ريتشارد» فرأى الشبان الثلاثة ، فجمد في مكانه بين أحواض الغسيل وقد بدا على وجهه الفرع الشديد . . لم أفهم شيئاً في البداية ، وظننت أنهم أصدقاءه حين سمعت واحداً منهم يناديه بإسمه : «ريتشارد» . . ولكن كان واضحاً من رعب «ريتشارد» الشديد وعدم رده على كلامهم أن في الأمر شيئاً . . ولم أفهم حرفاً واحداً من

كلامهم بلهجة الـ « كوكنى » ، فرسمت على وجهى ابتسامة ذكية - آله
يعنى فاهم - ووضعيت يديّ فى وسطى بثقة شديدة جداً . . ثقة واطمئنان
الجاهل الذى يحاول أن يبدو فاهماً - ولعل ذلك كان السبب فى نجاتنا
أنا و « ريتشارد » - . . ووقف اثنان منهم يسدان بظهريهما باب دورة
المياه من الداخل ، فى حين بدأ الثالث يتراقص حول « ريتشارد » وهو
يسبه بأقذع السباب البذىء . و « ريتشارد » ساكت تماماً والرعب يقفز من
عينيه ويكاد يقتله . . ويحاول الشاب الذى يتراقص حوله أن يقبله فى
شفتيه . فلا يفعل « ريتشارد » أكثر من أن يرفع ذراعيه ليخفى وجهه . .
وأبدأ أفهم الموقف حين أتذكر أن اسم « ريتشارد » مكتوب على الـ « بادج »
الذى يعلقه على صدره ، فليس غريباً إذن أن ينادوه به ، وحين يستطيع
« ريتشارد » أخيراً أن ينطق فيقول برعب شديد وبصوت منخفض جداً
لا يكاد يسمع : « إن عنده الآن شغل فى المكتب فى الخارج » فيقول
الشاب الذى يتراقص حوله : « ما انت هنا برضه بتشتغل يا . . . »
ويسبه ببذاءة . .

وبابتسامتى الواثقة الجاهلة وبثقتى الشديدة وببساطة جداً تحركت
ناحية الباب فى حركة طبيعية أريد الخروج ، لكن واحداً منهم اعترض
طريقى بجسمه كله يغلق الطريق إلى الباب فى وجهى ، فيقول لى
« ريتشارد » والرعب يكاد يشله : « إبقى هنا كما أنت يا قدرى ولا تحاول
الخروج » . . فعدت إلى مكافى . . ففوجئت بأن الذى كان يتراقص
حول « ريتشارد » قد تركه وجاء إلى ناحيتى هو وواحد آخر ليتراقص
الإثنان حولى ويمدان أيديهما ناحية وجهى محاولين إثارة رعبى . . لكن فى
الوقت الذى كنت فيه أفور وأغلى فى داخلى كانت ابتسامتى الواثقة
المطمئنة على شفتى لا تغادرهما ، ولم أتحرك ولم أهتر ولم يبد على الرعب الذى
كانا يتوقعانه ، ومن ناحيتى فإن أى حركة زائدة منهما كانت ستؤدى
إلى أننى سأبدأ على الفور معركة سأكون أنا الطرف الضعيف - جداً جداً

— فيها قطعاً ، وسوف أنضرب علقة ترقدنى شهراً فى المستشفى . لكن الضجة التى ستحدث نتيجة هذه المعركة سوف تمكن « ريتشارد » على الأقل من الهرب من دورة المياه وطلب النجدة ، أو سوف تلفت نظر الآخرين فى الخارج ، خصوصاً أن الفندق فى الليل يكون مليئاً برجال أمن المطار الذين يقيمون فى الفندق ويقضون أغلب الليل سهارى فى البار أو فى الكافيتيريا . . لكن الذى حدث أنه يبدو أن ثقتى الزائدة جعلت الشبان الثلاثة يعدلون عن الإستمرار . فابتعدوا عني . ثم انسحبوا بهدوء بعد أن هددوا « ريتشارد » وتوعده . . وقبل أن يخرجوا من باب دورة المياه كان « ريتشارد » قد انفلت من بين أقدامهم إلى الخارج كالأرنب المدعور . . ووقفوا فى ظلام موقف السيارات خارج الفندق يراقبون ماذا سوف يفعل وأنا أرى ضوء سجاثرهم المشتعلة يتوهج فى الظلام . . وما كادوا يرونه يسرع نحو التليفونات الموضوعة على مكتب الـ « پورترز » حتى أسرعوا بالفرار . . وطلب « ريتشارد » رجال الأمن من البار . لكن البلطجية الثلاثة ذابوا فى الظلام !

لابساً

بدلتى

الشيك — بتاعة المناسبات — راكباً المترو الـ « أندرجراوند » من « هونزلو ويست Hounslow-west » إلى لندن فى طريقى إلى موعد هام . . ولدان فى الرابعة عشرة وأنا صاعد إلى المترو « هيلنى » واحد منهما كتفاً على غير توقع منى ، لوحنى ، دون أن يقول لى — كمادة الإنجليز المهذبين — « متأسف » أو « Sorry » . . ضايقتنى أنه لم يعتذر . . ركبا نفس العربى التى ركبت فيها : لم يجلسا ، وإنما راحا يتشقلبان ويتصارعان ويتضاربان ويمازحان بصوت عال وبطريقة عنيفة مزعجة أثارت ضيق وتأفف كل ركاب العربى الإنجليز . . لكن كل واحد فى حاله . . أقرأ كتاباً باللغة

العربية . . الولدان ينظران إلى ناحيتي ويتها مسان . . يزنانى بأعينهما وقد
تأكدت أنني غريب . . بدأ يعاكسانى ويشاكسانى بالإيماءة وبالحركة .
وأنا أكره دلع الصبيان وميائصهم . . من البنات مقبولة لكن من الصبيان
مرفوضة لأنها دليل عدم الرجولة . . تخاديا . . وشعر كل الركاب بأن الصبيين
يتحرشان بى . . قلت فى نفسى يا واد إقصر الشر وكلها كام محطة وتنزل
وتترك لهما المترو بحاله . . تذكرت فيلم « الحادث » الذى جرت حوادثه
كلها فى داخل عربة مترو كهذه . . لكنهما لم يمهلا . . واحد منهما
فى يده ورقة مكورة بها آثار صاندوتش . . ألقاها إلى زميله البعيد عنى
فى الناحية الأخرى . . لكنها — بتعمد — تحولت لتلبس فى جانب
رأى . . ! ! . . رفعت رأسى عن الكتاب ورمقت الولد بنظرة نارية .
فتنظر فى عيني بوقاحة وبجاجة وقال ببرود وتحد واستفزاز : « متأسف
Sorry » كأنه يشتمنى . . أقفلت كتابى بهدوء جداً . . فتحت شنطة
أوراقى ووضعت الكتاب فيها . بهدوء جداً . . أقفلت الشنطة مرة أخرى .
بهدوء جداً . . وضعت الشنطة فوق الكرسي الخالى إلى جوارى . بهدوء
جداً . . وقست من مكانى بهدوء جداً . واتجهت إليه فى خطوات عادية
جداً ووجهى جامد لا يحمل أى تعبير . . حتى واجهته تماماً . فرفعت
يمنى . بهدوء جداً وببطء جداً . وفتحته — بكل قوتى — قلماً على صدغه
سيظل يحلف به ويحلم به طول حياته ، رن كمدفع رمضان فى سكون العربة
التي كان كل ركابها ينظرون إلى ناحيتنا فى ترقب شديد . . وقلت له .
بهدوء جداً وبرود جداً وغلاسة جداً : « متأسف .. Sorry » . . ووقفت
أمامه أنتظر رد الفعل . . فلم ينبس بنبت شفة . . فاستدرت بهدوء جداً ،
وعدت إلى مقعدى ، وفتحت شنطتى ، وأخرجت كتابى ، وعدت إلى
القراءة من جديد

ونزل الولدان فى المحطة التالية

بس . . خلاص

□ صاحبة الحلالة . . الطباخة . ! □

في

القاهرة

كنت لا أذهب إلى مكتبي في المجلة غير مرتين في الأسبوع ،
 فقط لكي أقدم المادة التي أنا ملتزم بتقديمها أسبوعياً : أو لاستقبال
 الضيوف الذين لا أستطيع أن أطلب منهم المجيء لمقابلاتي في بيتي . . من
 مميزات العمل الصحفي - برغم مشاقه ومتاعبه في أغلب الأحيان - إن
 الصحفي يكون « حر نفسه » : ينام حينما يشاء . ويستيقظ حينما يشاء ،
 ويكتب عندما يشاء . ولا يكتب إذا لم يشأ . ويخرج وقتما يشاء ،
 ويعتكف ويضرب عن النزول عندما يشاء . . لأنه غير ملتزم بأية
 مواعيد ، اللهم إلا مواعيد المطبعة . وطالما أنه وفي بوعده مع المطبعة فهو
 حر بعد ذلك تماماً وغير مقيد بشيء . . .

اليوم عدت من لندن إلى بيتي في « كرانفورد » متأخراً . وكان على
 أن أستعد للسهر طول الليل في عملي بالفندق : فمت من الساعة الخامسة
 مساءً على أن أستيقظ ٨,٣٠ مساءً . فيكون لدى وقت كاف لكي آخذ
 حماماً دافئاً وأنزل إلى الفندق فأصل إليه قبل العاشرة بوقت مناسب . .
 إستيقظت فجأة فوجدت الساعة ما زالت الثامنة إلا ربعاً : عندي ساعة
 إلا ربعاً أخرى أنامها . . نمت مرة أخرى واستيقظت لأجد الساعة ٩,١٥
 والمفروض أنني أركب أوتوبيس الساعة ٩ وثلاث دقائق ! ! . . بأقصى

سرعة ممكنة كنت قد تشطفت ولبست في ١٠ دقائق - عدلت عن الحمام الدافئ طبعاً - ونزلت أجزى كالمجنون في شوارع « كرانفورد » الهادئة حتى أستطيع أن أصل إلى المحطة قبل وصول أوتوبيس التاسعة و ٣٣ دقيقة . . دخل كالانا المحطة في لحظة واحدة : الأوتوبيس وأنا . . وبالكاد لحقت شغلي في مواعده . .

آخر أدب . . المواعيد الإنجليزية الصارمة علمتني أدباً جديداً
إسمه : « أدب المواعيد » . .

أشفقت

جداً على

« كيم kim » ! « پورتر » الإنجليزي الصغير - ليس أكثر من ١٨ سنة - ذى الشعر المهدل الذى يعمل في وادية النهار لمدة ١٤ ساعة يومياً وينصرف من الفندق بعد العاشرة ليلاً ليكون هنا مرة أخرى قبل الثامنة صباحاً ! ! . . أشفقت عاياه جداً حين دخلت في الصباح الغرفة التى نبدل فيها ملابسنا فوجدته نائماً على كرسى وعيناه حمراوان كالدم من فرط الإرهاق والتعب وقلة النوم . . حياة شاقة جداً وتعيصة جداً ، ربنا لا يحكم على أحد بها . .

و « پورتر » العجوز مسر « والينجتون » أو « وولى » رئيس وادية الصباح ، كان سعيداً جداً الليلة وهو يربنى شارة سلسلة فنادق « سنتر هوتيلز » التى يضعها في عروة جاكته . . حصل عليها صباح اليوم فقط بمناسبة مضى ٥ سنوات على التحاقه بالعمل في الفندق . . هنأته بحرارة فكشف عن معصمه ليربنى ساعة ذهبية حصل عليها من قبل ، عام ١٩٦٢ ، في مناسبة مشابهة . . قال لى « وولى » إنه سيخرج إلى المعاش في ديسمبر القادم حين يباغ الستين ، أمضى منها ٣١ سنة « پورتر » في الفنادق ! ! . . يا فرحته وهو يحكى لى

ذلك كله . . ويا فرحته وهو ينهى حياته كما بدأها : « پورتر » . . وسيفضى أيام شيخوخته يحكى لأحفاده عن أمجاده العظيمة كـ « پورتر » مجيد يستحق تمثالا على ناصية حارة سد في باب الشعرية . .
الطبل في الدنيا كثير صحيح . . لكنهم في إنجلترا بشكل مكثف ! !

وكلما

تصورت

أن هذه الحياة ممكن أن تكون حياتي فعلا — « پورتر » طول عمري — جزعت . . فإنه من الممكن هنا — وفي أى مكان في العالم — أن يبدأ الإنسان حياته « پورتر » — وبالبلدى شيالا — وينهى شيالا كما بدأ ، كما هو الحال مع « زملائى » پورترز النهار العواجيز الذين قاربوا الستينات ولبسوا نظارات نظر وركبوا أطقم أسنان ولسه « پورترز » كما هم . . شيلك صحيح وشكلهم حلو ووجيه وإنجليز ، وتراهم بالملابس العادية فتظنهم لوردات ، لكنهم طلوعوا نزلوا : « پورترز » . . وما أسوأها حياة يمكن أن يعيشها الواحد بلا أى أمل في أى ترقية أو تقدم خطوة واحدة للأمام في المستقبل . . حايرقوا الشيال يبنى إيه ؟ ! داش شيال ؟ ! . . طيب أنا حاشتغلها ٤ شهور وماشى ، وباعتبرها تجربة صحفية وتعدى ، لكن الدور والباقي على اللى حياتهم حاتفضل كده طول عمرهم . . وحين أنظر في وجود « ريتشارد » و « تونى » زميلى في واردة « پورترز » الليل ، وكلاهما في الرابعة والعشرين من عمره ، يعنى في عز الشباب ، أتصورهما بعد ٣٠ سنة وقد أصبح كل منهما « والينجتون » آخر قارب الستين وأوشك أن يخرج إلى المعاش وهو لسه « پورتر » برضه . :

ومجموعة

« بورترز »

الذين يعملون في واردة الليل — وأنا منهم — خفافيش لا يعملون إلا في الليل فقط ، وطول اليوم بعد ذلك ملكهم يفعلون فيه ما يشاءون . . أما مجموعة ال « بورترز » الذين يعملون بالنهار فحالمهم غريب جداً : يسلمونها الواردة بالليل ويتسلمونها منا في الصباح التالي . . نحن نعمل ١٠ ساعات في اليوم وهم يعملون ال ١٤ ساعة الباقية . . ينهون واديتهم في العاشرة ليلاً ويتسلمونها من جديد في الثامنة صباحاً . . فإذا فرضنا أن ساعة أخرى يضيعونها في المواصلات ليلاً ومثلها في المجيء إلى الفندق صباحاً ، فيتبقى لهم من يومهم ٨ ساعات فقط يا دوب لنومهم ومش كفاية . دون أن يروا ضوء الشمس في الشارع أبداً ، وقطعاً يخرجون من بيوتهم ٧ صباحاً وأولادهم ما زالوا نائمين ويعودون الساعة ١١ ليلاً ليجدوا أن الأولاد قد ناموا مرة أخرى ! ! . . أي حياة هذه ؟ ! . .

وكنت أتصور أن واديتي الليل والنهار تتبادلان أحياناً وفقاً لنظام ما . لكنني اكتشفت أن الذي يعمل بالليل يظل طول عمره يعمل بالليل . والذي يعمل بالنهار يظل طول عمره يعمل بالنهار . . وما أبشعها من حياة ! ! . .

شاب

أسمر

هادئ جداً لا يكاد يتكلم . عيّن حديثاً في مكتب الإستقبال منذ نحو أسبوع . كنت أتصور من لونه الأسمر وملاحظه أنه أسباني أو إيطالي ، لكنني فوجئت به الليلة وهو يقول لي : « مساء الخير ، كيف حالك ؟ » باللغة العربية ذات اللكنة . . ويتضح أنه تونسي من مدينة

تونس العاصمة وإسمه « منصور نور الدين » . ولم أكتشف أنه عربي إلا بعد أن عملنا معاً بنحو أسبوع تقريباً . .

حالم غريب

جداً هؤلاء الإنجليز : العمل في إنجلترا ممنوع بغير « تصريح عمل » يصدر من وزارة العمل البريطانية .. ولو كنت شاباً مصرياً فدون حصولك على هذا التصريح (خطر القتاد) كما يقولون . . يعنى تطول الشمس ولا تطوله . . ومع ذلك فأنت تستطيع أن تذهب إلى أى مكتب من مكاتب استخراج « بطاقات التأمين » الحكومية لتستخرج « إنشورانس كارد » أو « بطاقة تأمين » تقدمها لصاحب العمل فيسمح لك بالعمل على اعتبار أن « بطاقة التأمين » هذه تعتبر « موافقة » بصورة ما من الحكومة البريطانية على أن تعمل سيادتاك في إنجلترا ! ! .

أنا متأكد أن الإنجليز أنفسهم مش فاهمين الحكاية دى جاية ازاي . . لكن طاعتهم الشديدة للنظم والقوانين تجعلهم لا يناقشونها . . تحت المطر المهرم بشدة اليوم — فى عز أغسطس — ذهبت فاستخرجت « بطاقة التأمين » هذه من مبنى يسمى « هيث هاوس » فى « آيزلوود » فى نفس الضاحية التى أسكن فيها (ميديلسكس) . . أفادنى هذا المشوار فى اكتشاف شيئين فى لندن كانا جديدين علىّ تماماً : الأول كانت « بيسة » قد لاحظته قبلى وكلمتى عنه لكننى لم أتوقف عند كلامها كثيراً وظننته مجرد انطباعة سطحية .. عندنا فى مصر مثلاً : ضاحية المعادى لها شكل خاص أو طابع خاص ، مختلف تماماً عن ضاحية حلوان التى لها طابع متميز . . مصر الجديدة لها طابع مختلف ، منطقة الهرم لها طابع مختلف ، السيدة زينب لها طابع مختلف ، باب الشعرية له طابع وشكل مختلف ، النيل والروضة لكل

منهما طابع مختلف . وهكذا . . لن تجد حين يتشابهان في القاهرة . .
 لكن هنا في لندن سوف تجد الضواحي تتشابه تماماً إلى حد التطابق
 بشكل مذهل . . للدرجة أن ضاحية مثل « إلينج برودواي » في أقصى
 غرب لندن تشبه تمام الشبه ضاحية « ويست كرويدون » في أقصى
 جنوب لندن ، وتشبه أيضاً منطقة « هونزلوبيل » في جنوب شرق لندن
 و « سلاو » جنوب غربى لندن . . بحيث إنهم لو غطوا عينيك وأخذوك
 في سيارة مثلاً وأنزلوك في الميدان الرئيسى لإحدى الضواحي ، ثم كشفوا
 عينيك وسألك عن اسم هذه الضاحية فلن تعرف ، لفرط التشابه بين
 ضواحي لندن . .

الشيء الثانى الذى اكتشفته من مشوار اليوم هو أن كل ضاحية
 من ضواحي لندن بها شارع رئيسى يسمونه الـ « هاى ستريت » . . وهذا
 الـ « هاى ستريت » عبارة عن نسخة مكررة ومصغرة لـ « أوكسفورد
 ستريت » الشارع التجارى الرئيسى في وسط لندن . . وسوف تجد في
 هذا الشارع ، في كل ضاحية من ضواحي لندن ، فروعاً لكل المحلات الرئيسية
 الكبرى في لندن نفسها ، ابتداء من « سان مايكل » أو « ماركس آند
 سبنسر » و « وولورث » و « سى آند إيه » و « بريتش هوم »
 و « بوتس » وغيرها ، بكل ما فيها من بضائع ولوازم تماماً كما في المركز
 الرئيسى في لندن . . قطعاً هذا أيضاً عامل من عوامل التسهيل والتيسير ،
 فأنت لست محتاجاً إلى أن تكلف نفسك عناء ومشقة النزول إلى لندن
 لشراء احتياجاتك من المحلات الكبيرة هناك ، لأن المحلات الكبيرة
 نفسها تنتقل إليك لغاية عندك حيثما كنت في أى ضاحية من ضواحي
 لندن . .

حين

تركب

نفس الأوتوبيس في نفس الموعد كل يوم . صباحاً أو مساء .
 فإنك نلتقي داخل الأوتوبيس دائماً بنفس الوجوه التي تركب نفس
 الأوتوبيس باستمرار ، سواء كانت تركب قبل محطتك أو بعد ركوبك
 أنت .. مثل ذلك الرجل الپاكستاني الوقور ذي اللحية المحبوسة داخل شبكة
 وعمامته الپاكستانية العالية . . وتلك الشابة الحسنة ذات الشعر الأحمر
 والنمش الظريف يملأ وجهها الجميل . . أكاد أهب لتحياتها حين
 تصعد إلى الأوتوبيس بعدى بمحطة كل صباح . إذ أنها تشبه إلى حد
 التطابق صديقة مصرية عزيزة لي تعيش في مكان آخر في أوروبا . .

حضرت

اليوم

مشهداً رائعاً في محطة الأوتوبيس الرئيسية في منطقة « هونزلو بيل » . .
 كنت والصديقة المصرية « سهير حمزة » الطالبة في تجارة عين شمس
 عائدين من زيارة القنصل المصري « مصطفى كمال عبد الفتاح » في بيته
 في « ريشموند » . . وفي محطة الأوتوبيس الرئيسية في « هونزلو بيل » حيث
 تتجمع بدايات عدة خطوط وتشبه محطات الأوتوبيس التي أمام المبنى المجمع
 أو الهيلتون في ميدان التحرير بالقاهرة . . الوقت التاسعة مساء ، ومجموعة
 فتيان أعمارهم لا تزيد عن ١٨ سنة يجرون ويرمحن في وسط المحطة وفي
 وسط الناس ويثيرون ضجة وضوضاء عنيفتين لا تتناسبان مع هدوء
 المكان في أي ساعة من ساعات النهار ، وشكلهم يبدو كما لو أنهم
 يحاولون إثارة شغب بشكل أو بآخر . .

الواضح أن الناس الواقفين على أرصفة المحطة في انتظار أوتوبيساتهم

متضايقون . لكن أحداً لا يتكلم . . قلت لـ « سبير » : « آهم دول
 اللي تخافى منهم . مش الزنوج » . . قبل أن أنهى عبارتي . وفي لحظة :
 كانت سيارة صغيرة جدها مكتوب عليها « پوليس » تتوقف فجأة في وسط
 المخططة . وينفتح بابها ليتزل منه ضابط پوليس بلدين متوسط العمر . .
 ويبدأ الأولاد يجرون في الاتجاه المضاد : لكن الضابط لا يفعل شيئاً
 أكثر من أن يقف في مكانه ويرفع إصبعه السبابة من يده اليمنى مشيراً
 إليهم وهو يصرخ فيهم بحسم شديداً : « you, stop. » أو « قفوا مكانكم » !!
 فيتوقفون جميعاً في أماكنهم كأنهم فيلم سينما أوقف فجأة عند صورة
 معينة : أو كأنه نومهم مغناطيسياً . . ثم يشير إليهم — بإصبعه فقط
 أيضاً — أن يقربوا منه ، فيقربون في تردد ووجل وأنا أتصور أنني
 أسمع دقات قلوبهم هلعاً . ويقفون أمامه صفّاً في سكون وقد اختفت
 أصواتهم تماماً . لم يفتح واحد منهم فمه بكلمة واحدة . . ويتزل فيهم
 الضابط توبيخاً وتسبيحاً وتأنيباً أمام كل الناس الواقفين على المخططة ،
 لمدة ١٠ دقائق ، وهم واقفون متخشّبون كالآرانب المذعورة وقد أطارقوا
 برؤوسهم إلى الأرض وشبكوا أيديهم خائف ظهورهم . . حتى ينتهي من
 تأنيبهم فيخرج دفتره من جيبه ليكتب أسماءهم وعناوينهم وهم يهمسون بها
 بصوت لا يكاد يسمع . ويأمرهم بالإنصراف إلى بيوتهم فوراً . فينصرفون
 مهرولين في اضطراب . .

هكذا الإنجليز : يوفرون لشبابهم كل شيء : الرعاية الصحية
 والغذاء والتعليم والعمل والأمان . . فإذا انحرفوا أخذوهم بالقسوة على
 الفور ، حتى يرتدعوا . .

كلما رأيت شيئاً يعجبني في بلاد الفرنجة قلت في داخلي :
 عقبالنا يا رب ! ! ! . .

المانشئات

الرئيسية

في الصفحات الأولى في كل صحف الصباح اليوم تحكى قصة القبض على أميرة عربية صغيرة عمرها ١٥ سنة وهي تسرق ٣ قطع ملابس من محل كبير في « أوكسفورد ستريت » .. قالت الصحف إن الأميرة (اللصة) حين ضبطت (متلبسة) وفي حقيبتها المسروقات كان في حقيبتها أيضاً مبلغ ٤٠٠ جنيه إسترليني ! ! .. وقالت الصحف أن الأميرة ذكرت أنها لا تعرف كيف « وصات » هذه الأشياء إلى حقيبتها . ولعل أحداً دسها فيها لكي يحدث فضيحة .. وقالت أيضاً أنه ليس من المعقول أن تكون خارجة لتشتري مشتريات وفي حقيبتها يدها ٤٠٠ جنيه ليوم واحد ثم تسرق أشياء تافهة كهذه . . وقالت الصحف الإنجليزية أيضاً إن سكرتير والد الأميرة - الذي كان ينتظر في سيارتها خارج المحل - جاء على الفور وتفاهم مع مدير المحل الذي أدخل سبيل الأميرة . لتخرج وتستقل سيارتها الـ « رولز رويس » التي تحمل أرقاماً عربية . يعنى جاءت بها معها من بلدها خصيصاً لتنقلاتها دفعت الشيء الفلاني في مقابل شحنها من وطنها إلى إنجلترا وبالعكس . ولم تشتريها من لندن ! ! . . أنا مع الأميرة الصغيرة في أن هذه المسروقات قد دست عليها لإحداث فضيحة وضجة وشوشة في الصحف الأوروبية ضد العرب تظهرهم في صورة اللصوص أيضاً ! .

طول

عمري

وأنا أحب الأطفال وبنى وبينهم تجاذب كبير . . طفلة صغيرة كانت تقف مع والديها أمام مكتب الإستقبال المواجه لمكتبي في الفندق ،

ينتظرون دورهم في التسجيل . . رأني أنظر إليها في ود فابتسمت لي . .
 ابتسمت لها فلوحت لي بيدها الصغيرة .. لوحت لها بيدي فركت والديها
 على الفور وجاءت إلى مكتبي لتفتح دوغري تحكي لي قصة حياتها :
 اسمها « جودي » وعمرها ٨ سنوات ولها شقيقان أكبر منها واحد عمره ١٨
 سنة والآخر ١٦ . ومسافرة مع والديها إلى إسبانيا غداً في أجازة لمدة
 أسبوعين . . إنجليزية لبلب تتكلم بسرعة ١٠٠٠ كلمة في الثانية ،
 كأنها راديو ضاع المفتاح الذي يقفله !

بحكم العادة والمران والخبرة المكتسبة تعلمت الابتسامة المرسومة التي
 تظهر وتختفي بسرعة كشمس لندن . . ابتسامة على الشفتين فقط ولا علاقة
 لها بالقلب على الإطلاق . . ابتسامة تصعد على الشفتين وتختفي بشكل
 آلي ميكانيكي . والمفروض أن تبدو ابتسامة مرحة سعيدة . . وتعلمت
 أيضاً الحركات التي تعجب الزباين . . النزلاء الأمريكيان تعجبهم
 الحركات الإستعراضية والـ « ترولاي » ذي العجل القلاب الذي نحمل
 عليه الحقائب . . يندمسون جداً حين يروني أصعد به السلم بسهولة
 جداً وعجلاته يتغير وضعها مع كل سلمة . كأنهم يرون تحفة غير
 عادية أو كأنني اخترعت صاروخاً يتحجّل صاعداً السلام سلمة سلمة .
 لذا يجزلون البقشيش ! ! . .

وبمناسبة البقشيش ، فإن الهنود الذين نراهم هنا في الفندق لا يدفعون
 بقشيشاً على الإطلاق ، ومع ذلك فهم متعطرسون جداً ويتكلمون من
 أطراف أنوفهم وبتعال شديد كأن الواحد منهم قد اشترى الفندق
 وموظفيه بالجنديات السبعة التي يدفعها في الليلة . . وطلباتهم المجانية
 لا تنتهي ، كالشاي والزبد والمربي ، أما الطلبات التي بفلوس فهم
 لا يقربون منها . . وناقص الواحد منهم يطلب مني أن ألمع له الحزمة
 أو يقول لي « تعالى طقطق لي صوابي » ! ! . .

وبمناسبة البقشيش أيضاً : الآن وبعد مضي أكثر من شهر لي في

العمل ، اعتدت البقشيش ولم أعد أنجمل منه . بالعكس ، أصبحت في نهاية كل أسبوع أكتشف أن حصيلتي من البقشيش كانت أكبر من مرتبي نفسه !!! . . .
أتصور أنني بعد عودتي إلى عملي الصحنى في القاهرة ، سوف أكتب مقالاتي وأقدمها إلى رئيس التحرير وأقف في انتظار البقشيش !!! .

يبدو

أن

مشاكلي مع العمل سوف تبدأ الآن . ويبدو أن شكلي الجاد الرزين المحترم — حتى وأنا ألبس يونيفورم الـ « پورترز » — لا يريح بعض الناس المجلس الذين يعملون هنا . فأغابهم يتعامون معي بتحفظ شديد جداً ، إلا زملائي الـ « پورترز » وقلة من فتيات وشبان الإستقبال مثل « جوانا » و « لورين » و « كارول » و « بوب » و « كريس » والتونسي « منصور » . . .

دخلت الليلة في الرابعة صباحاً إلى الكافيتيريا لأتناول عشاءي ، وأنا أتناوله في هذا الموعد عادة ، فكادت أن تحدث أزمة بيني وبين الحيزبون « باتريشيا » الطباخة ، وهي شابة ربيع حسناء تقرب من الأربعين ، لكنها ذات دلال على الجميع هنا والكل يسعى إلى كسب رضاها وودها وقبالاتها التي لا تمنعها عن أحد . إلا أنا لأنني لا علاقة لي بالمطبخ ولا بالطباخات . . . ويبدو أنها تصورت ذلك كبرياء مني أو ترفعاً ، فاصطادتني الليلة : حين دخلت لأتناول عشاءي ، كانت هي في فترة راحة ، فلما ذهبت « سناء » لتقول لها إنني أطلب العشاء شخطت فيها وقالت أن تقديم العشاء ينتهي في الثالثة صباحاً والساعة الآن الرابعة !!! . . . أثارني أنها تصرفت هكذا وبصوت عال وبدون مناسبة على الإطلاق إلا أنني أنا وهي نتبادل الجفاء منذ اللحظة الأولى التي رأيتها فيها ولم أكلمها

على الإطلاق منذ بدأت عملي هنا . . . ففقت منظوراً غاضباً وغادرت الكافيتيريا على الفور وأنا أغلى غيظاً في داخلي . . . كان ممكناً أن أثير أزمة ومشكلة لكن النتيجة ستكون معروفة مقدماً من الآن : سأطرد من العمل في الفندق أنا والبنات الثلاث « بيسة » و « سوسن » و « سناء » لأن الجميع هنا يتصورون أنني خافن . . . لكن « سناء » جاءت تلحق بي لتقول لي إن « بيجي » مديرة الكافيتيريا تطالب مني العودة إلى الكافيتيريا وهي ستعد لي العشاء بنفسها . فرفضت . . . فذهبت « سناء » وعادت مرة أخرى لتقول لي إن المديرة قد أعدت لي العشاء فعلاً . . . فاكثفت بذلك وعدت لتناول العشاء بعد أن أظهرت لهم نواجذى وأنيابى التي لن تفيد بشيء وقت اللزوم . . .

نموذج من قلة الأدب الإنجليزي اللى من غير مناسبة . . .
وفي الليلة التالية أصدرت صاحبة الجلالة الطباخة « باتريشيا الرابعة والسبعين » فرماناً مطبخياً بأن على جميع العاملين في واردة الليل أن يتناولوا عشاءهم قبل الثالثة صباحاً . . . وضحكت وهي سعيدة جداً حين رأيته أخذ مكانى في الكافيتيريا لتناول العشاء — بالعند فيها — قبل الثالثة صباحاً . . . قاعد لهم ٤ شهور وماشى ، ويهمنى جداً ألا أصطدم بهم ، لكى أبقي لأرى وأتفرج على سخافات الإمبراطورية البريطانية الغريبة ممثلة في أشخاصهم الإنجليزية العبيطة . . .

الست

« هاوس »

كبير « العجوز » ميورييل Muriel التي تعمل بالليل فقط : والتي تدلني كلما رأيته : « نوتى بوى » أو « يا واد إانت يا شقى » ! . . . أطلقت عليها اسم « ريتا » لأن من شكلها كده أتوقع أنهم سوف يضبطونها يوماً ما وهي واخلدة واحد من نزلاء الفندق بالليل وبتاكل فيه على

جنب ، أو عاملاه شاورمة وبتماكله فى أوضتها بالليل .. شكاهها عفاريتى
جداً !

أمس وأنا أقوم بجولة الأمن الليلية للتفتيش على الفندق فى الثالثة
صباحاً ، رأتنى الست « ريتا » فى أحدهم مرات الفندق ، فطلعت تجرى —
آل يعنى مذعورة وخائفة منى — وهى تخوف باله . ولو طلعت لحد
بالليل سيصاب بانهايار عصبي ويطب ساكت ، وإداوة الفندق قطعاً
مشغلاها بالليل فقط مخصوص لكى تخوف النزلاء فلا يخرجون من
حجراتهم ليلاً ! ! . . .

الشابة

الباكستانية

الحسناء « حفيظة » صاحبة الفيلا التى أسكن فيها فى « كرانفورد » .
أصدرت اليوم فرماناً باكستانياً عالياً فى شكل تعاميات مشددة مصحوبة
بابتسامة مهذبة ، بأننى يجب أن أمسح الحمام بعد انتهائى من استعماله ! !
لأن الفيلا مصنوعة من الخشب ويمكن أن « تبوش » وتقع فجأة أو أن
كل واحد يخرج من الحمام وتركه وراءه غارقاً فى الماء هكذا بعد انتهائه
منه . . . وقالت لى « حفيظة » إن كل شىء فى هذا البلد يجب أن يراعى
فيه الحرص والدقة . . ومن باب التخفيف عنى قالت إنها كانت غير
حريصة مثلى هكذا حين جاءت إلى لندن لأول مرة منذ ٧ سنوات . .
وبالمناسبة : حدث اليوم صباحاً أيضاً حادث غريب فى البيت :
جارى الهندى فى الغرفة المجاورة لى — ولست أدري أيهما ، فعلى يمينى
هندى وعلى يسارى هندى — فتح باب غرفى بهدوء وتسلل إليها وأنا
نائم ، لكنه فوجئ بى أستيقظ فجأة وأفتح عينى فهرب على الفور
وترك الباب وراءه مفتوحاً قبل أن أتبين شكله تماماً . . كنت لم أستيقظ
تماماً من النوم فظننت نفسى أحلم وعدت إلى النوم من جديد ،

لكنني حين قمت من النوم عصباً اكتشفت أن الباب مفتوح فعلاً ! ! . .

حركة غريبة جداً وغير مطمئنة . . معنى ذلك أن جيرانى من الممكن أن يسرقونى وأنا غير موجود . خصوصاً أننى أكون خارج غرفى طول الليل . . لذا سأستأذن أختنا « حفيظة » فى أن أضع قفل و « رزة » على باب غرفى من الخارج . . فلن يفيدنى بشيء أن أبلغ البوليس هنا أننى سرقت ، لأن المفروض أن أتوارى عن أعين البوليس الإنجليزى تماماً ولا أضع نفسى فى طريقه على الإطلاق حتى لا يكتشف أننى أعمل بدون « تصريح عمل » فيطردنى إلى خارج إنجلترا على الفور ! .

شيء

غريب

جداً فعلاً : إشمعنى الحمام الإنجليزى الشهير موجود فى ميدان ال « ترافلجار » وفى حديقة ال « هايد پارك » فقط ، ولا يوجد فى باقى لندن؟! رأيت اليوم حمامة تايهة تمشى على الرصيف فى شارع « أوكسفورد ستريت » فوقفت أتفرج عليها باستغراب .. كان واضحاً عليها أنها مسكينة وغلبانة ووحلانية وغريبة وغير مطمئنة . . تصورت أننى لو دققت النظر فى « يدها » لوجدت فيها ورقة صغيرة مكتوب عليها عنوانها فى ال « ترافلجار سكوير » . وكان الودّودى أن أقطع لها تذكرة فى المترو ال « أندرجراوند » وأوصف لها الطريق إلى ميدان ال « ترافلجار » ! ! . .

تسلينا

الكبيرة

هنا هى كتابة الخطابات المطولة إلى الأهل والأصدقاء والحبايب والمعارف ، وانتظار خطاباتهم والفرحة للكبيرة بها والرد عليها فوراً ،

بعشم أن يردوا هم أيضاً على « الرد » فوراً . . ومحاولة العثور على صوت
مصر في الراديوهات الترانزستور والإستماع إلى الأغاني المصرية المسجلة
على أشرطة الكاسيت في ريكوردات الأصدقاء ، و « خائفة تلاتي ورده
تحلو في عينيك » . . و « خليك هنا خليك وبلاش تفارق . بتقول
يومين وتغيب سنة بلاش تفارق ، شوف كام سنة من عمرنا ضاعوا معنا
وبلاش تفارق » . . و « اللي كان هو اللي كان ، لا الزمان ولا المكان
قدروا يخلوا جنبنا ده يبقى كان : قد اللي فات من عمري باحبك وقد
اللي جاي من عمري باحبك » . . و « آه لو بإيدنا ما كناش بعلدنا
ولا ليلة واحدة ، وكنا فضلنا سوا للهارده وبعد الهارده ، حبايب ما يقدر
علينا الزمان ، غريب غريب يا زمان » . .
TTTTT خ يا زمان ! !

مكتبي

يقع

مباشرة أمام مكتب « الإستقبال » وفتياته الحسنات . : « كالح »
جرسون الكافيتيريا المصري الذي أطلقت عليه « سوسن » اسم « فسدان » ،
جاء اليوم صباحاً ليتلأ عند مكتبي وهو يدرش معي دردشة عادية ،
ثم فاجأني بسؤال غريب : سألتني عن رأيي في زميلتنا الإنجليزية فتاة
« الإستقبال » الحسناء « لورين » . . فقلت له - صادقاً - ما اعرفشي
عنها حاجة أكثر من إن اسمها « لورين » وأنها حمراء الشعر ووسيمة
الشكل وبنت ظريفة وحسنة ، وبتعجبني أنا شخصياً . . فعاد ليسألني
عن « سلوكها » ! ! . . فأيضاً قلت له - صادقاً برضه - ما اعرفشي ،
لكن عموماً كل البنات الإنجليزيات كما هو واضح « واخدين راحتهم
على الآخر » ومن زمان ، وأن ١٠١٪ منهن لسن عذراوات . . فسألني
ببساطة : « مش مهم تكون عذراء أو لا ، لكن تفكر تكون حامل ١١ ؟ »

.. سؤال غبي طبعاً ، فنظرت إليه في دهشة شديدة وقلت : « لغاية كده وقطعاً ما عنديش معلومات . ويمكن لو سألت « لورين » نفسها شخصياً تلاقىها برضه ما تعرفشى . لكن ليه الأسئلة دي كلها عن « لورين » بالذات ؟ » . فقال « كالح » إنه بيثكر . . يتجوزها !! . « كالح » هذا قزم ضئيل وشكله عيبط ومضحك بشعره الطويل بلون الصدا الذي يطلقه على كتفيه . ويقول إنه طالب في معهد بني سويف التجارى ، وهو معهد ليس موجوداً — على كلامه — على خريطة وزارة التعليم العالى . . أدهشنى هذا التفكير من « كالح » . وتصوره أن هذه الوردة الحمراء المفتحة التى لاترضى بأقل من « روك هدرسون » أو « روجر مور » عريساً يتناسب مع بنائها وطعامتها . قد ترضى بالأخ « كالح » . فضحكت وغيّرت الموضوع . .

وفي نفس الليلة أعرف من « أمين القصاص » زميل « كالح » في الكافيتيريا أن « كالح » يريد الزواج من أى فتاة إنجليزية وبس . أى فتاة والسلام . وإن يأخذها معه إلى مصر إنما سيتركها هنا . . فكل ما يهمه هو أن « يعتقد زواجه » على إنجليزية حتى لا يدخل الجيش في مصر!! . . هكذا التفكير . . ولو كنت أنا مسئولاً في الجيش لعملت إلى جانب كشف الهيئة كشفاً آخر للتفكير . فيكفى أن يفكر واحد مثل الأخ « كالح » تفكيراً كهذا حتى يكون مجرد دخوله الجيش — حتى لو لم يتزوج إنجليزية — خطراً على الجيش نفسه ! .

سمعت

هذا

الموضوع من قبل ولم أصدقه . . قاله لى « يوسف عميرة » — وهو قد خبر العمل في لندن لمدة ٤ سنوات حتى الآن — ولم أصدقه حتى يحدث معى الليلة : منذ عدة ليال رن جرس التليفون في مكنتي فرفعت

الساعة لأجد فتاة تسأل عن « ريتشارد » . فقلت لها إنه موجود في
الواردية لكنه ليس في المكتب في هذه اللحظة . فقالت : « أنا » جولي . .
يمكن أحضر الآن ؟ » فقلت لها ببساطة : « أهلاً وسهلاً . إتفضل
في أى وقت » ، فقالت : « يعنى فيه شغل الآن ؟ » قلت : « طبعاً . .
الفندق مفتوح ٢٤ ساعة في اليوم » . . وأدركت هي أنني مش قاهم ،
وجاء « ريتشارد » في هذه اللحظة فأعطيته الساعة ليكلمها هو . .

الليلة تكلمت « جولي » مرة أخرى وسألت عن « ريتشارد » فقلت لها
إنه في إجازة الليلة ، فسألني : « هل أنت تونى ؟ » قلت لها : « لأ . .
تونى في إجازة لمدة أسبوعين » فقالت : « من إذن رئيس واردة اليورترز
الليلة ؟ » قلت : « أنا . . قدرى » فسألني هل رأيت من قبل ؟ فقلت
لها إنها كلمتني مرة في التليفون منذ عدة ليال ، فقالت : « كويس . .
هل هناك شغل لي الليلة ؟ » قلت بعبط : « شغل إيه ؟ » قالت :
« شغل شغل » ! ! . . فلم أفهم وطلبت منها أن تريدني إيضاحاً . .
ثم في لحظة لمع في ذهني الكلام الذي كان « يوسف عميرة » قد قاله
لي ، من أن الـ « پورتر » في خدمة التريل في كل شيء حتى لو طالب منه
أن يحضر له فتاة تقضى معه الليلة ! ! . .

تركت ساعة التليفون لـ « أنتوني » السائق الذي كان يقف إلى جوار
مكتبي في ذلك الوقت ليتفاهم هو معها ، وتركت المكتب كله ولم أعد
إلا بعد أن أنهى « أنتوني » المكالمة وبراعة السائقين في عينيه ! ! . .

نزير

أوساكن

الغرفة رقم ٦٧٠ يرفع ساعة التليفون ليطلبني : « عايز بنت الليلة » ! ! . .
ابن الـ . . . ثرت وكدت أشتمه وألعن أبونخاش جده ، لكنني عدت
فما لك أعصابي ، ومساهمة مني في تبويظ أخلاق الشعب الإنجليزي -

آل يعنى هي ناقصة - حولته على واحد إنجليزى مثله يلبي له رغبته ..
حولته على « ريتشارد » ف (تفاهما) ، وآهم إنجليزى بعض وهم أحرار ..
والليلة .. الأخ « صالح هبيل الرمضان » عامل عربى فى مد خط أنابيب
بترول فى البحر فى هولندا .. لا يقرأ ولا يكتب العربية ولا يعرف من
الإنجليزية غير كلمة واحدة هي : « No » .. كانت عنده مشكلة
بسيطة : لأنه لا يعرف اللغة الإنجليزية فإن شخصاً ما كان المفروض
أن ينتظره فى الفندق هنا لكي يأخذه إلى مطار لندن غداً صباحاً ليسافر
إلى بيروت .. لكنه بعد أن وصل إلى الفندق هنا إتضح أن هذا الشخص
شخصية وهمية لا وجود لها !! .. حكى الأخ « صالح هبيل » مشكلته
لـ « بيبة » حين عرف أنها مصرية ، فلم تفهم « بيبة » شيئاً فأحضرتة
لى ليظل لازقاً بجوار مكبى نحو ٤ ساعات حكى لى حكايته خلالها
١٠ مرات دون أن أفهم منها شيئاً أنا أيضاً .. وأخيراً ، وقرب الثانية
صباحاً قال وهو يقدم لى سيجاراً فاخراً : « ممكن أطلب منك طلب :
ولولا الأخوية ما كنت طلبته منك ؟ » قلت - وأنا أتوجس شراً عادة
من هذه المقدمات « الأخوية » - : « تحت أمرك » فقال يهدوء جداً :
« عايز بنت تقضى معايا الليلة » !! .. ووضعت أعصابى فى ثلاثة
١٧٢ قدم حتى لا أفقعه قلم أجبيه الأرض قدام الناس الحاجات الواقفين
والرايحين والجاين ، وقلت له : « والله يا أخ صالح ، الـ « پورترز » الإنجليز
بيعملوا الحكاية دى ، لكن إنت عارف إننا كمصريين وكشركيين مش
بنعملها ، معلى ، تعالى على نفسك شوية واستحمل لغاية بكرة ، وأديك
بكرة رايح بيروت تعمل هناك زى ما أنت عايز » .. لكن يبدو أنه لم
يفهمنى مع أننى كنت أكلمه بالعربى طبعاً ! ، أو يبدو أنه فى وقفته
الطويلة إلى جانبي رأى البنات الأجنبيةات شبه العاريات فالتحس ، فقال
لى فى رجاء وتوسل أنه يعمل فى وسط البحر منذ يونيو الماضى .. أردت
لن أصعب له المسألة فقلت : « طيب إفرض إن واحد من الـ « پورترز »

الإنجليز نفذ لك طلبك . حاتنفاهم مع البنت إزاي وإننت مش بتعرف ولا كلمة إنجليزى « ؟ ! . فقال محتجاً : « مش مهم ، هو أنا جاييها علشان أتكلم وياها ؟ ! » وبعدين فى أخونا ده ؟ ! أصعبها له أكثر : فقلت : « ماهو مش معقول يا أخ صالح إنك ترمى ٥٠ جنيه ، وإسترلينى كمان ، فى حاجة تافهة زى دى « ؟ ! . . فقال لى مثلاعريباً لست أذكر نصه الآن . لكن يقابله فى الأمثال المصرية المحتاج مجنون « أوشىء من هذا القبيل . . فلم أربداً — حتى أوزعه بصنعة لطافة — من أن أدعى أنى سأخبر « ريتشارد » ، بطلبه ، وقلت لـ « ريتشارد » بالإنجليزية التى لا يفهمها الأخ صالح : « ريتشارد . . هذا التريل يريد أن يتعشى الآن فى غرفته ، ممكن ؟ » فأجاب « ريتشارد » على الفور : « Oh, no . . أنت تعرف أن الإفطار فقط هو الذى يقدم فى الغرف . . وكنت أريد من الأخ « صالح » أن يستمع فقط من « ريتشارد » إلى : « Oh, no » هذه ، أما الباقى فمش مهم لأنه لن يفهمه ، وعدت أقول لـ « ريتشارد » : « إذن فهو يريد الإفطار فى غرفته » فرد : « فى أى وقت ؟ » قلت : « ٧٣٠ صباحاً » فسحب « ريتشارد » الكشف الذى يسجل فيه رغبات الزبائن الذين يريدون الإفطار فى غرفهم وسجل فيه رقم غرفة صاحبنا وكتب أمامه الموعد . . وسألنى الأخ « صالح » ماذا قال ريتشارد ؟ فقلت له : « آديك سمعت بنفسك لما قال Oh, no . . يعنى ما عندوش بنات فاضيين فى الوقت الحالى . . لكنه وعد — زى ماشفت — بأن يحجز لك واحدة فى أول فرصة ، وده حيكون يوم ٢٨ نوفمبر بإذن الله وعليك خير — وكنا يوم ٢٩ أغسطس — يعنى إن شاء الله وإننت راجع ل لندن المرة الجاية حاي عمل حسابك « ! ! . . . آل واسمه « صالح » . . الله يخيه ! ! .

□ القاهرة تغزو لندن !! □

صديقتى

الصحفية

الكندية الشابة « سوزانا روبنسون » ، المراسلة المتجولة لجريدتها في أوروبا . . . في لندن الآن لعدة أيام في طريقها إلى « فرانكفورت » بألمانيا لحضور معرض دولى هناك . . . كنا على موعد لنتلقى اليوم . . . اتفقنا على أن يكون مكان لقائنا قاعة الإستقبال في فندق « كمبرلاند » من أفخم وأشيك وأكبر فنادق إنجلترا ، ليس — لا سمح الله — لأن واحداً منا يتزل في هذا الفندق المهيول ، فـ « سوزانا » تسكن في فندق درجة عاشرة أقرب إلى البتسيونات في حوارى لندن ، وأنا أسكن في غرفة مفروشة في ضواحي لندن . . . وليس — لا سمح الله برضه — لأن هذا المكان هو مكاني المفضل ، فهذه هي أول مرة أدخل فيها فندق « كمبرلاند » . وإن كنت كثيراً ما حصلت على شرف المرور أمام بابه أيام أن كنت أسكن في « ماربل آرش » وفي « ساسكس جاردنز » . . . إنما اتفقنا أن نلتقى في هذا المكان لأن أى واحد في لندن يستطيع أن يعطى مواعيده في صالونات الشيراتون أو الهيلتون أو كمبرلاند أو فندق بريطانيا أو فندق تشرشل . . . لأن أحداً لن يمنعه من الدخول أولاً ، وثانياً لأن الحابل مختلط جداً بالنابل في هذه الفنادق الكبيرة ، ولا أحد يعرف التزلاء من غير التزلاء من المتسكعين المتصعلكين المتطفلين على صالونات الفندق زى حالاتنا . . . وأى واحد أو أى واحدة ممكن أن يدخل أى فندق

كبير وجالس في الـ « هول » أو المدخل الكبير أو صالوناته أو حتى يصعد إلى أى دور ويدخل أى غرفة دون أن يعترضه أحد . . . وكلما كان الفندق كبيراً وعدد التلاء كثيراً كلما كانت المهمة أسهل أمام أى حد ليدخل الفندق ويقابل أصدقاءه هناك كأنه من أهل الدار . . . لذا فقد قررت أن أعطى مواعيدى كلها بعد ذلك لمقابلة أصدقائى في بنهر فندق شيراتون أو اخیلتون في القاهرة ، علشان يفتكروا إني مهم ! ! .

وبهذه

المناسبة :

أختنا الظريفة « سوسن » طالبة تجارة القاهرة التى تعمل جرسونة و « تشمبرميد » في فندق « سنتر إيرپورت هوتيل » وتقيم في بيت الـ « تشمبرميدز » في نفس الفندق ، كثيراً ما يتابها الزهق والملل من العمل والقعدة في الفندق نفسه ٢٤ ساعة في اليوم . فتلبس بالطوها الشيك الذى اشترته من سوق اليهود بستة جنيهات ، وتتمشى لغاية فندق شيراتون القريب من فندقها ، لتدخل وتجلس في الصالون بـ « الألة » شديدة جداً واضعة ساقاً فوق ساق كأتى نزيلة ترتدى بالطوبألف جنيه ، وتتسلى بمراقبة والتفرج على نزيلات الشيراتون اللاتى يتعاملن مع محلات « هارودز » و « سلفريدج » ، وآهى كلها محلات أصحابها يهود أيضاً ، والمسألة محصلة بعضها ، يعنى حيفرق قد إيه ثمن الباطوبتاها عن ثمن البلاطى بتاعتهم ؟ مش غايته ٩٩٤ جنيه بس ؟ .. بسيطة ! ! ..

ما كينة

المشروبات

الساخنة والمثلجة ، التى تضع قطعة العملة في ثقب فيها وتضغط على زر صغير مكتوب عليه اسم المشروب الذى تريده ، فتخرج لك كوباً من

البلاستيك مليء بالشاي أو القهوة أو الكاكاو أو الكوكاكولا . . الماكينة الموضوعية في الـ « كانتين » الخاص بالعاملين في الفندق تعمل مجاناً : تضغط على الزر الذي تريده دون أن تضع قطعة نقود . فتحصل على ما تريد ببلاش . . تدخل الـ « كانتين » في أى لحظة فتجد إلى جوار الماكينة عشرات الأكواب مليئة بمختلف أنواع المشروبات لم يشربها الذين ملأوها ! ! . . لو كانوا قد دفعوا فيها نقوداً لشربوها ولحسوها كمان . لكنه البطر على النعمة التي في اليد . ومن باب « البلاش كتر منه » ! ! .

« سوسن » قالت لي مثلاً شعبياً تعليقاً منها على حكاية « البطر » هذه : قالت : « قال له من مالك ؟ قال له لأه . . قال له طيب بدل ما تاخذ حبه . . خذ حبه وارمي حبه » ! ! . قلت : « سوسن » مندهشاً : « ظريف جداً المثل ده . أول مرة أسمع » فقالت وهي تعود إلى شغلها : « طبعاً . وأنا كمان . لأننى لسه مألناه دلوقتي حالا » ! ! .

سوسن

وسناء

وبيسة و « منى » و « يسرية » و « سهير » و « عقيلة » و « سعاد » و « ثريا » و « نورا » و « منى » أخرى و « سامية » و « إسرائ » و « ناجية » و « أمين » و « شحاتة » و « كالح » و « ماجد » و « هانى » و « سمير » . « محبى » و « ممدوح » و « على » و « عماد » و « علاء » و « أبو زيد » و « فهمى » وغيرهم وغيرهم . . عشرات من الأسماء المصرية تحبب بي من كل جانب متشرين يعملون في كل مكان هنا . . وفي منطقة مطار « هيثرو » بالذات لن تجد في أى فندق من فنادقها أقل من ١٥ من المصريين يعملون فيه . . فكيف إذن نستطيع أن نقول أن فرص العمل محدودة أمام الشبان المصريين في لندن في الوقت الذي يعمل فيه كل هؤلاء للشبان وعشرات ومئات غيرهم في كل مكان في لندن ؟ ! .

قال لى السفير المصرى فى لندن « كمال الدين رفعت » : ونفس الكلام قاله أيضاً « مصطفى كمال عبد الفتاح » قنصلنا فى لندن ، أن ٣٠ ألف طالب وطالبة مصريين قد جاءوا إلى لندن هذا الصيف للعمل فيها . وإن هذا الرقم رقم مهول لا يمكن أن يستوعبه سوق العمالة فى لندن.. لكننى أقول إن سوق العمالة فى « إنجلترا » يستطيع أن يستوعب ضعف هذا الرقم ، لكن بشروط ينبغى أن تكون واضحة ومفهومة جداً : ما هى — أولاً — نوعية الأعمال الممكن أن يشتغل فيها الطلبة المصريون والطالبات المصريات فى إنجلترا ؟ ! .

القانون الإنجليزى أساساً لا يسمح لغير الإنجليز بالعمل إلا فى المجال الذى يسمونه هنا (كاترنج) أو أعمال (الخدمة فى الفنادق) . . . وهى الأعمال التى يرفض العمال الإنجليز أن يشتغلوها . . الفتاة المصرية — غالباً — ليس أمامها إلاوظيفتان : إذا كان شكلها أنيقاً ووسيماً ومهندياً وذكياً — وهذه نقطة مهمة — وتعرف من اللغة الإنجليزية القدر الذى يجعلها قادرة على التفاهم ، فهذه تعمل « ویترس Waiteress » أو جرسونة فى الكافيتيريات ، ويصل مرتبها إلى متوسط ٢٠ جنيهاً فى الأسبوع + بين ٦ و ٣ جنيهات بقشيش . . أما إذا كانت تنقصها كل أو بعض الصفات المتقدمة فأهلاً وسهلاً بها برضه لكنها تعمل فى مجال بعيد عن التعامل مع الزبائن ، فى وظائف الـ « تشمبرميدز Chambermaids » أو ما يمكن أن نعتبره — مع الأدب الشديد جداً وربنا يجعل كلامنا خفيفاً عليهن — : « خادومات غرف » فى الفنادق ، لتنظيف الغرف وكنسها وتلميعها وتغيير السراير ومسح وتنظيف الحمامات ، وكل الأعمال عموماً التى تدخل تحت بند خدمة الغرف فى الفنادق . . وهذه الوظيفة مرتبها نحو ١٣ جنيهاً فى الأسبوع واحتمالات البقشيش فيها نادرة جداً . . ولا أذكر أننى قابلت فى لندن أى بنت مصرية تعمل فى وظائف أخرى غير هاتين الوظيفتين : جرسونة أو خادمة غرف . .

الصبيان ، أو الطلبة

الجامعون مجال الوظائف بالنسبة إليهم أكثر تنوعاً : إذا توافرت فيهم نفس المواصفات والشروط المطلوبة في الفتاة التي تعمل جرسونة ، وإذا لم يكن هناك عدد كاف من البنات للعمل كجرسونات ، فالولد إذن ممكن أن يعمل جرسوناً أيضاً . على افتراض أنه يعرف من اللغة الإنجليزية قدرًا كافيًا . . أما إذا كان من التتار الذين يهجمون على لندن وهم مجردون من إمكانيات العمل فيها . خصوصاً معرفة اللغة الإنجليزية ، على اعتبار أن « إحنا وحظنا ، وربنا مش يسيب حد يبات جعان » ، فهؤلاء — إذا كان حظهم طيباً وأمهم داعية لهم ووجدوا فرصة العمل — فهي تكون في عمل من هذه الأعمال : أعمال النظافة وكل ما يندرج تحتها من كنس ومسح ونحلافة . . غسيل الأطباق ، وهي أشهر وظيفة يعمل بها أغلب الطلبة المصريين الذين لا يجيدون من « اللغة » الإنجليزية إلا غسيل الأطباق !! . . مرمطونات لنقل لوازم الفندق بين الأدوار وبعضها . . مساعدي طبانحين لتقشير البطاطس والبصل والخضراوات وما أشبه ، يعنى تجهيز الحمامات للطباخ . . جمع الملايات من غرف النوم في الفنادق عند إخراجها أمام أبواب الغرف للغسيل . . ال « روم سيرفيس Room-serviece » أو الخدمة على الغرف وتوصيل طلبات الزبائن التي يطلبونها في حجراتهم . . وأيضاً لا أذكر أننى قابلت شاباً مصرياً واحداً يعمل في غير هذه الأعمال . .

إذا
كانت

الأعمال متنوعة ومتوفرة بهذا الشكل ، فما هى مشكلة الطلبة المصريين إذن ؟ ! .

مشكلة عمل الطلبة المصريين — وعندما أقول « الطلبة » فأنا طبعاً أعني « الطلبة والطالبات » — تتلخص في عملة نقط أساسية ودائمة :

● الموسم السياحي في لندن يبدأ من شهر أبريل ويستمر حتى نهاية شهر سبتمبر . . . معنى ذلك أن سوق العمالة يكون مستعداً لاستيعاب أكبر عدد ممكن من الأيدي العاملة الأجنبية ابتداءً من شهر إبريل . أو حتى من منتصف مارس . . . لكن الطلبة المصريين لا يصلون إلى لندن في ذلك الوقت لأن الإمتحانات في الجامعات عندنا لا تنتهى قبل منتصف يونيو أو أوائل يوليو . . . وبعدها « يبدأ » الطلبة في ترتيب إجراءات سفرهم . فيصلون إلى لندن — غالباً — في أواخر يوليو أو بعد ذلك في كثير من الأحيان . . . وإذا ذاك يكون قد مضى من الموسم السياحي أغلبه — أربعة شهور — ولم يبق منه إلا القليل — شهران — ويكون كل صاحب عمل قد استوعب كل احتياجاته من الأيدي العاملة من الجنسيات الأخرى التي سبقت في الوصول إلى لندن في وقت مبكر . .

● ابتداءً من أواخر يوليو يهجم على لندن جيش جوار من الطلبة المصريين يتزايد عاماً بعد عام . . . وصل في هذا الصيف — ١٩٧٣ — إلى نحو ٣٠ ألف طالب وطالبة مصريين . . . يبدأون جميعهم في وقت واحد — وباللحاح شديد — في البحث عن أعمال . . . وتبعاً لنظرية « إذا كثر العرض قلَّ الطلب » يصبح أمام أصحاب الأعمال الفرصة لاختيار الأفضل ، وبشروطهم ، وبالأجر الذي يحدده صاحب العمل لا الذي يحدده القانون . . . ولدرجة أننا في الفترة التي كنا نبحث فيها عن عمل في لندن عند بداية وصولنا كنا ندخل مكاتب أو وكالات التشغيل فيسألوننا من على الباب : « مصريين ؟ » ، فنقول : « أيوه » فيقولون : « متأسفين . . ما عندناش شغل علشانكم » !! . . . حتى قررت أن أجرب مرة حين سألونا : « مصريين ؟ » فقلت : « لأ . . . أسبان » فاستقبلونا ورحبوا بنا ، وكتبنا الإستمارات فعلاً ، فلما سألتنا الموظفة عن جوازات سفرنا لم يكن

أمامي إلا أن أقول لها أننا قد نسيناها في البيت ، فأصرت على ضرورة الإطلاع عليها . فخرجنا على إننا سنذهب لإحضارها ، ولم نعد طبعاً ..

● إنجلترا في نظر المصريين الذين يصلون إلى هنا هي « لندن » فقط لا غير . . « مدينة لندن » وحدها . . ولازم منطقة وسط المدينة . . وكل الطلبة الذين يصلون إلى لندن يتجهون فوراً إلى « أوكسفورد ستريت » — وهو ما يعادل شارع سليمان باشا أو شارع فؤاد في القاهرة ، أو شارع سعد زغلول وصفية زغلول في الإسكندرية — ليجثوا عن أعمال هناك . . وقد تتوفر الأعمال في المدن الأخرى في إنجلترا أو سكوتلندا أو ويلز أو أيرلندا — وكل هذه تعتبر إنجلترا أيضاً — لكنهم لا يريدون العمل إلا في لندن نفسها . . بل الأكثر من ذلك أن الأعمال تكون متوفرة في مناطق الشواطئ القريبة من لندن مثل « دوفر » و « بورتسموث » وغيرها ، مع تسهيلات أكثر في الإقامة والسكن ، ولكن الطلبة المصريين يرفضون . . أكثر وأكثر من ذلك : صاحبة « ميديلسكس » في لندن نفسها ، التي يقع فيها مطار لندن الشهير « هيثرو » ، وهي لا تبعد عن وسط لندن بأكثر من ٣٠ أو ٣٥ دقيقة في المترو أو « أندرجراوند » : لا يقبل المصريون كثيراً على العمل فيها برغم وفرة فرص العمل في فنادقها ، وبرغم أن في كل فندق من فنادقها — وكلها فنادق كبيرة ودرجة أولى — ما لا يقل عن ١٥ أو ٢٠ من المصريين يعملون فيها . فإنه يمكن أن يستوعب أكثر من ذلك ، على الرغم من أن :

● أصحاب الأعمال الإنجليز لا يرحبون كثيراً بعمل موعة كبيرة من الشبان أو البنات من جنسية واحدة ، خوفاً من التجمعات الشللية والعصبيات أحياناً ، وخوفاً من الحلافات الممكن أن تحدث بين أفراد مجموعة من جنسية واحدة ، وخوفاً من التكتل والائتقاد والتهديد بترك العمل جميعاً مرة واحدة . . وقد أصبحت لدى أصحاب الأعمال الإنجليز معلومات وخبرة كافية عن مواعيد بدء الدراسة في مصر ،

لدرجة أنهم قرب نهاية الموسم في شهر سبتمبر يرفضون تشغيل الطلبة المصريين على اعتبار أنهم « فاضل لهم أسبوعين ثلاثة وراجعين إلى مصر علشان الجامعة » !!

وفي

الوقت

نفسه فإن ٩٩.٩٪ من المصريين الذين يصلون إلى لندن لا يكون معهم « تصاريح عمل » من وزارة العمل الإنجليزية . . لذا فإن أصحاب الأعمال - خصوصاً في منطقة وسط لندن بالذات - يخشون تشغيل الطلبة الذين ليس معهم تصاريح عمل . خوفاً من البوليس الإنجليزي الذي له حق التفتيش وحق ضبط أى واحد يعمل بدون تصريح عمل ، وفي هذه الحالة فإنه يقوم بترحيله فوراً إلى خارج إنجلترا كلها بعد توقيع مواد القانون الإنجليزي الصارم عليه ، وهي تقضى باسترداد كل الأجور التي حصل عليها نتيجة عمله ، بالإضافة إلى الغرامات الأخرى . . وليس ذلك طبعاً هو الذي يخيف أصحاب الأعمال ، وإنما الذي يخيفهم هو الجانب الآخر من العقوبات التي توقع أيضاً على كل صاحب عمل يستخدم عمالاً لا يحملون تصاريح عمل . . وإذا كان القانون الإنجليزي يكتفى بـ « طرد » الطالب المصري من إنجلترا ووضع اسمه في القائمة السوداء وعدم السماح له بدخول إنجلترا مرة أخرى بعد ذلك ، فإن هذا القانون نفسه يقضى بـ « سجن » أصحاب الأعمال . . وطبعاً أصحاب الأعمال ليس لديهم الاستعداد لأن يدخلوا السجن من أجل سواد عيون الطلبة المصريين الذين لا يحملون تصاريح عمل . .

● ومع ذلك ، فإن القانون الإنجليزي يغمض عيناً واحدة ويدير وجهه قليلاً إلى الناحية الأخرى في أثناء الموسم السياحي . . لأنه يعلم تماماً أن إنجلترا في حاجة فعلاً إلى عدد كبير من الأيدي العاملة خلال

الموسم . . لذا فهو « يطنشر » إلى حد ما ويسمح بالعمل للأيدي العاملة التي تعمل بدون تصاريح عمل . على شرط أن يكون ذلك من وراء ظهره . . . يعنى على أن يتصرف الطلبة المصريون في لندن طول الوقت أمام الجهات الرسمية كأنهم سياح في إجازة . . وهذه النقطة سيأتى شرحها بشكل مفسر جداً في فصل قادم . .

● ومن هنا فإن أصحاب الأعمال لا يرفضون تشغيل « عدد من المصريين » خلال الموسم السياحي الإنجليزي ، لكن ذلك يكون على مسئولية أصحاب الأعمال أنفسهم . وفي مقابل ذلك فإنهم يحددون لهم الأجر الذى يريدونه هم وليس الذى يحدده القانون . . ليس ذلك فقط ، إنما أيضاً إذا كانوا يعملون في مكان كبير - فندق كبير ومحترم مثلاً - فإن رؤساءهم المباشرين يسرقون من مرتبات المصريين لحساب أنفسهم . . كما حدث أكثر من مرة مع « سوسن » ومع « سناء » ومع « منى » ومعى أنا شخصياً . حين كان كل منا يفاجأ - مرة أو أكثر - بأن مرتبه الأسبوعى ناقص عن المفروض . فإذا اشتكى قيل له إن ذلك قد حدث خطأ ، وأن هذا الخطأ ما دام قد سجل في دفاتر الأجور فإنه لا يمكن تصحيحه إلا إذا تقدم العامل بشكوى إلى مكتب العمل . . وطبعاً الطالب المصرى الذى لا يحمل تصريحاً بالعمل لا يجزؤ على أن « يهوب » ناحية الشارع الذى يقع فيه مكتب العمل وإلا قفشوه ورحلوه . . لذا فهو يسكت مضطراً . . وليس مصادفة أن تحدث كل حالات الـ « خطأ » هذه في مكان عمل واحد . . وليس مصادفة أن تكون « حالات الخطأ » هذه قد حدثت مع أغلب المصريين الذين يعملون بدون تصاريح في لندن ، ابتداء من الذين يعملون في « شيراتون لندن » إلى الذين يعملون في حانات وبارات « بيكرستريت » و « إدچوارود » . .

ومع كل

ذلك فإن أصحاب الأعمال الإنجليزية لا يقبلون تشغيل المصريين إلا إذا لم يجدوا أمامهم غيرهم . وإذا شغلوهم فهم يرفضونهم على الفور ويستغنون عن خدماتهم إذا جاءهم أى طالب عمل من جنسية أخرى : هندی أو باكستانى أو فلسطينى . . فى الفندق الذى أعمل فيه : « سنتر إيرپورت هوتيل » ، رفضوا من الكافيتيريا « بيسة » و « سوسن » و « سناء » و « سمير » و « أمين » لكى يعينوا مكانهم بنات أيرلنديات . ثم عادت مديرة الكافيتيريا فاسنبت « سوسن » و « سناء » فقط حين لم يحضر عدد كاف من البنات الأيرلنديات لتسلم العمل . . وفى الوقت نفسه حين قبض البوليس الإنجليزي ذات ليلة على ال « وشر » الهندی — غسال الأطباق — لم تجد مديرة الكافيتيريا أمامها من يقبل عمله غير الطالبة المصرية « بيسة » . فوافقت عليها على مضض . ثم ما لبثت أن رفضتها مرة أخرى بعد ثلاثة أيام عمل فقط حين جاء شاب هندی آخر ليغسل الأطباق . .

لماذا

لا يحب

أصحاب الأعمال الإنجليزية الطلبة المصريين ؟ ! .
لأربعة أسباب رئيسية .. أولاً : أن الإنجليزية بشكل عام لا يحبون المصريين بشكل عام أيضاً .. ليه ؟ ما اعرفشى . . فهذه تحتاج إلى دراسة فى نفسية الشعب الإنجليزي لا أنا قادر عليها الآن ولا هذا المجال مجالها ..
ثانياً : أن صاحب العمل الإنجليزي إذا دفع لك بنساً واحداً مرتباً فهو يتوقع أن يأخذ منك فى مقابله عملاً يساوى ١٠ بنسات .. فى الوقت الذى مهما أعطيت فيه المصرى من أجر فهو لا يريد أن يعمل . ويردد

دائماً التمول الذى اعتاد أن يقوله فى مصر : « على قله فلوسهم » !! ..
برغم أنه مهما قل شأنه أو أجره هنا فهو يتقاضى أجراً لن يصل إليه فى
مصر كموظف حكومى حتى يصل إلى سن المعاش بإذن الله ..

والسبب الثالث والرئيسى هو أنه — بناء على السبب الثانى — فإن
المصريين هنا . والحق يقال . هم أسوأ الناس الذين يعمالون فى لندن سمعة
من ناحية العمل : مهملين ومستهترين . وواخذين المسألة هزار وتهريج
كأنها رحلة مدرسية أو جامعية . وأحياناً فتاكة وتشبيح . . طبعاً هناك
نماذج ممتازة جداً ومشرفة جداً . لكننى أتكلم عن الغالبية العظمى من
المصريين الموجودين فى لندن . وقد شاهدت بنفسى ورأيت عدداً منهم
كان قريباً منى . وسمعت عن عدد آخر أسعدنى الحظ بأننى لم أتشرف
بمعرفتهم ولا بلقاءهم . وسمعت من القنصل المصرى « مصطفى كمال
عبد الفتاح » ومن السفير « كمال الدين رفعت » عن نماذج مصرية مثيرة
للأسى وللأسف فعلاً . مثل حادثة ذلك « الطالب » المصرى الذى سرق
خزينة المحل الذى يعمل فيه فى ميدان البيكاديللى ، وهرب ، فكانت
نتيجة ذلك أن أصحاب الأعمال فى منطقة البيكاديللى كلها فصلوا كل
المصريين الذين يعملون عندهم فى اليوم التالى !! .

السبب

الرابع

والأخير — على الأقل على قدر علمى ، وأرجو أن يكون الأخير
فعلاً — هو الجهل التاماضع باللغة الإنجليزية عند معظم الطلبة المصريين
القادمين إلى بلاد الإنجليز ليعملوا فيها .. أمثال « عليوة » و « ممدوح »
و « إسرائ » ، وغيرهم كثيرون ، الذين لا يعرفون كلمة إنجليزية واحدة
ويريدون مرافقاً أو مترجماً لهم فى كل خطواتهم الكى يتكلم بالنيابة عنهم
ويكون الناطق بلسانهم . . والذى لم أستطع أن أفهمه حقيقة : هؤلاء

الذين لا يعرفون اللغة الإنجليزية جاين لندن يهبط إليه ؟ . . . والذي أتصوره أنه ينبغي بدلا من « الدراسات الرشيدية » هذه التي تكون عبارة عن محاضرة واحدة يتيمة يحضرها الطلبة من باب سد الخانة وتحصيل الحاصل فقط لكي يستطيعوا بعدها الحصول على الموافقة على استخراج جوازات السفر لهم . ينبغي أن تكون هناك دورة أخرى جادة تضمن في نهايتها حداً أدنى من المعلومات العامة والقدرة على التفاهم باللغة الإنجليزية . فإذا كان طالب الجامعة يمتحن في ١٢ أو ١٥ مادة — وأحياناً أكثر — لكي ينتقل من سنة دراسية إلى سنة أعلى وهو بداخل كليته الجامعية لن يتعد عنها خطوة واحدة ، فإن من حق البلد عايه أن تمتحنه في مادة واحدة فقط إذا أراد أن يسافر ليكون جزءاً من صورة مصر في الخارج وسفيراً شعبياً لها . . . لكن أن يكون سفيراً خيبان بالشكل الذي يفصح هكذا . . . فذلك شيء غير معقول وغير منطقي طبعاً . . . الواحد أو الواحدة منهم لا يعرف حتى مجرد الجمل البسيطة باللغة الإنجليزية التي يقول بها أنه يبحث عن عمل أو أنه يريد أن يعمل ، فكيف يشتغل أصلاً ؟ لا يعرف كيف يطلب لنفسه كوب ماء ، فإذا سأل عن عنوان فهو يحمل ورقة في يده بها العنوان الذي يريده ويقدمها إلى المارة أو إلى عسكري البوليس الإنجليزي ويقف أمامهم كالأبكم الأخرس الذي لا ينطق ، فإذا شرحوا له ما يريد — بإنجليزيتهم — فهو لن يفهم شيئاً بطبيعة الحال . . . وحتى الذين يعرفون قليلاً جداً من اللغة الإنجليزية فهم ينطقونها خطأ للدرجة أنهم لا يعرفون كيف ينطقون أسماء الشوارع بشكل صحيح رغم أن أغلبهم طلبة في السنوات النهائية بالجامعات — وهذا هو الكلام الذي كتبته قبل ذلك مراراً عن انهيار مستوى تعاليم اللغات الأجنبية في مدارسنا — مثل طالب كلية التجارة الذي ينطق اسم منطقة «ماربل آرش» فينطقها «مارجل آرش» حتى دون أن يفكر في معناها . . . وطالب التجارة أيضاً الذي حكيت له — وأنا أدعى أنني أقرأ ذلك في صحيفة « دايلى تلجراف » أمامه — أنه حدث في الأمم المتحدة خلاف بين

الإنجليز والبريطانيين : وأن « المملكة المتحدة » تحاول التوسط بين الفريقين لإنهاء الخلاف . في الوقت الذي هددت فيه « إنجلترا » بالانسحاب من الأمم المتحدة إذا لم ينته هذا الخلاف فوراً ! ! . وصدقني البيه المتعلم الذي سوف يتخرج بعد سنتين محاسباً من كلية التجارة . وبعد ١٠ - ١٥ سنة سوف يصبح رئيساً لمجلس إدارة شركة من الشركات .. وعليه العوض ومنه العوض !.

الغريب أن

الصحافة المصرية وأجهزة الإعلام عندنا تساهم إلى حد ما بجزء من الجهل الذي ينعم به شبابنا المسافرين إلى الخارج . حين تنشر وتذيع الأسماء الأجنبية محرفة تحريفاً مشوهاً لا معنى له ولا مبرر . .

لماذا حين نكتب باللغة العربية أو ننطق بها نقول « سنغافورة » وإسمها الأصلي « سنجابور » ؟ لماذا نكتب وننطق « يوجوسلافيا » وإسمها الأصلي « يوجوسلافيا » ؟ لماذا نكتب ونقول « اسكوتلاندا » أو « هولاندا » أو « أيرلندا » أو « فنلندا » أو « بريطانيا » ؟ ! ونضيف إلى كل اسم في نهايته حرف « ا » زيادة من عندنا بدون مناسبة ؟ ! لماذا نقول « نيقوسيا » ونقول « قبرص » ونحن نعلم جيداً أنه ليس في اللغات الأوروبية حرف « الق » وأن أسماءها الأوروبية بلغتها هي « نيكوسيا » و « سپروس » . . لماذا نقول إنجلترا والبحر وهما « إنجلند » و « هنجارى » . . لماذا نقول الملك « قسطنطين » والأسقف « نيقولا » وهما إسماهما « كوستنتين » و « نيكولا » ؟ ! .. لماذا عند النشر في الصحف المصرية أو العربية وعند الإذاعة في الراديو والتلفزيون ، نلخبط الأسماء ونحرفها بدون مناسبة وبدون سبب . ويذهب الطالب المصرى إلى أوروبا فينطق هههه الأسماء بالطريقة التي قرأها بها في الصحف المصرية وسمعا بها من راديوه وتلفزيون مصر . فيضحك علينا الناس الأوروبيين كما نضحك نحن

على القرويين السذج البسطاء حين ينعوج لسانهم فينطقون (الفلتزيون) و(البوتوجاز) و(الكاكولا) .. لماذا لا نكتب الأسماء الأجنبية وننطقها بشكلها الصحيح كما ينطقها كل الناس في أوروبا . وليس هناك سبب واحد يدعونا لأن نكتبها وننطقها بهذه الطريقة المضحكة التي لا معنى لها ؟! ..

لكن :

هل

ذلك معناه أن سفر الطلبة المصريين للعمل في لندن خلال الصيف كله أضرار وسيئات ومشاكل ومتاعب ، أو أن له أيضاً مزايا وفوائد ؟ ! . وكما أن لكل تجربة في الدنيا مزاياها وحسناتها : وأضرارها وسوءاتها : فإن ذلك ينطبق أيضاً على تجربة سفر الطلبة المصريين إلى لندن .. ولنبدأ بالمزايا :

قطعاً الخروج في حد ذاته مفيد . . . الإتصال بشباب الدول الأخرى والانفتاح على عوالم أخرى كانت مجهولة لهم .. ومشاهدة المعالم والأشياء والأماكن التي كانوا يسمعون عنها في الصحف ويشاهدون صورها في المجلات وفي التليفزيون .. أن يتاح للشاب والفتاة فرصة أن يعبر البحر . وحيداً . ليلقى بنفسه في خضم بلد آخر . معتمداً على نفسه وحده وعلى مجهوده وحده ، بدون كرت توصية وبدون تليفونات وساطة وبدون «أونكل بيسلم عليك وبيقول لك» .. فذلك كله في حد ذاته شيء كبير .. ومهما ذهب الشاب ماحياً وضعيفاً في اللغة الإنجليزية فسيعود من لندن قطعاً بحصيلة لا بأس بها من القدرة — ولو البسيطة — على التفاهم بها .. صحيح سيتكلمها بطريقة ترجمانات الحرم وأبو الدول : لكنها على أي حال «خطوة لقدام» ممكنة مع التنمية ومع الصقل ومع ازدياد الخبرة والإحتكاك والممارسة في رحلات أخرى لاحقة أن يتمكن من لغة أجنبية واحدة على الأقل . .

أن يكسب الشاب أو الفتاة بعرق جبينيهما وبساعديهما في بلد لا يعطى البنس إلا إذا أخذ في مقابلة عملا يساوى ١٠ بنسات ، واللى يبلطج أو يصبهين أو يتدلج يتفضل فوراً مع السلامة . . أن يعود الشاب أو الفتاة - في أضعف الإيمان - وفي جيب كل منهما قدر من العملة الصعبة يدخل به مصر وينفقه على نفسه في خلال فترة دراسته . فذلك شيء لا بأس به . . أن يعود الشاب أو الفتاة وفي حقائبهما كمية من الملابس الشيك لنفسه ولأسرته من عرقه ومن مجهوده . يلبسها في وسط أصدقائه فيبدو بينهم « أكثر بياضاً » وأكثر أناقة وأحسن مظهراً . فذلك شيء لا بأس به . . أن تستريح النواصي والشوارع في مصر من ٣٠ أو ٤٠ أو ٥٠ ألف شاب مصري يسافرون كل سنة إلى الخارج ، فتختفى من المدن الكبيرة في مصر مظاهر التسكع والصعلكة والتلطمع في بلد لا يعرف شبابه ماذا يفعلون وأين يذهبون في أجازات الجامعات والمدارس . فذلك شيء لا بأس به . . أن يخرج فيرى ويشاهد وينطبع ويتأثر ويكتسب أشياء جديدة . فذلك في حد ذاته شيء لا بأس به . . أن يعود الأولاد المصريون من الخارج - الشبان بالذات - وقد انكسرت نفسهم قليلا بعد أن جربوا ذل الخدمة . ذل أن يخدموا الآخرين بعد أن كان الآخرون يخدمونهم في بيوتهم في مصر . . الشاب من هؤلاء يكون في بيته وعلى أسرته وإخوته - خصوصاً على البنات - يتدلج ويتدلج ويتبغدد ويتأبص وعمايز ده ومش عمايز ده . . ثم يجد نفسه هنا في لندن مضطراً لأن يحني رأسه لكل الناس ويتحمل قلة أدب كل الناس ومد أيدي « بعض » الناس - ده بالنسبة للبنات بس طبعاً (! !) - . . ويرأسه ستات أو رجال يتعاملون معه بقلة أدب وخطرة وجليطة وسفالة وغلاسة . . ويمسح الأرض أمام الناس أو من وراء الناس . . ويغسل الأطباق ويفرغ الزبالة وينظف دورات المياه وألف شغلة وشغلة كلها أعمال مهينة ومذلة لا يقبل الإنجليز على أنفسهم أن يعملوها لذا يتركونها

للأجانب ، أما باقى الأعمال الأخرى — الأكثر احتراماً — فغير مسموح للأجانب أن يهوبوا ناحيتها إلا بعد ٤ سنوات كاملة يقضونها فى لندن بشكل منتظم — وبتصريح عمل — بحيث لا يتغيّبون عن إنجلترا أكثر من شهر واحد فى السنة كإجازة . . أن يعود الشاب من لندن وقد صار أكثر تواضعاً وأكثر واقعية . فذلك فى حد ذاته شىء لا بأس به . .

أما الذى

« بشى »

به فعلاً فهو أن يذهب الطلبة المصريون إلى أوروبا ويعودوا منها أسوأ مما ذهبوا إليها . . أن يكتسبوا عيوباً جديدة فوق عيوبهم القديمة . . أن ينقلوا معهم إلى مصر أسوأ ما يمكن أن يروه فى أوروبا . . أن يذهبوا وهم مجرد متسكعين متصعلكين ويعودوا وهم أيضاً « منحلين » . . كل ما جده عليهم شعر طويل كفرشة المسح أو مكنسة السقف ، ولبانة فى الفم وبنطلونات محزقة حمراء أو شارلستون فضفاضة مهرولة وأحذية ذات كعب عالى كأحذية النساء ، وفجور وتحلل وتقليد أعمى لحياة الشبان الهيپيز الذين يرفضون أوروبا وترفضهم أوروبا . . لم يكن لدى أى واحد من الذين سافروا معى أو الذين قابلتهم هنا — صبياناً أو بنات — أى فكرة موضوعية وراء سفره إلى أوروبا . . ليس فى تخطيطه أو مشروعاته أن يرى شيئاً جديداً أو أن يتعلم شيئاً جديداً أو أن يستوعب شيئاً جديداً أو يتعلم لغة جديدة أو حتى يضيف إلى معلوماته فى اللغة الإنجليزية — القليلة جداً أصلاً — أى جديد . . وإنما هو يذهب إلى لندن ويعود كما ذهب . . كلُّهما يزيد عليه شوية اصطلاحات تعلمها من المطبخ أو التقطتها من الشارع يستعرضها فى كلامه بين حين وآخر . . اصطلاحات لا تودى ولا تجيب وغالباً ينطقها خطأ . . لم أسمع أحداً منهم ينطق بإسم شارع « هاى ستريت كنزنجتون » صبح حتى الآن ، وبعضهم يعمل

ويسكن في نفس الشارع ، وبعضهم له في لندن سستان الآن - أو لعلهم سوف يعرفون كيف ينطقونها الآن بعد أن يروها أمامهم في هذا الكتاب مكتوبة بالعربي . ويذاكروها جيداً . أقول « لعلهم » .. كل ما يشغلهم وكل ما في أذهانهم هي الفلوس الإنجليزية التي سيقبضونها والأشياء الأخر موضة التي سيشترونها لأهائهم ولصديقاتهم في مصر عند عودتهم .. كل ما يشغلهم هو كيف يتعرفون بالبنات - أو بالشبان !! - الإنجليزية في لندن وإمكانات « الشقاوة » معهن أو معهن .. كل ما يشغلهم هو كتابة عشرات الخطابات إلى الأهل والأصدقاء والمعارف والجيران وأصدقاء الأصدقاء ومعارف المعارف وجيران الجيران والناس اللي ماشين في الشوارع في القاهرة . لكي يعرف من لم يكن يعرف أن فلان ابن فلان مستقر في بلاد الإنجليزية والحمد لله وأن الأشياء معدن وكل شيء على ما يرام وسلامنا ألف ألف سلام إلى فلان وفلان وفلان وكل من عندنا يهديكم أزكى السلام . وقد زونا ميدان البيكاديللي ورأينا الحمام القطاع العام الذي تملكه الحكومة الإنجليزية حرّاً طليقاً لا يمكّ به أحد ولا يصطاده أحد .. وبالمناسبة نحن نأكل الآن كل يوم حمام نطبخه في البيت . والسلام ختام ليس بيتنا ختام !! ..

أن

تعود

البت المصرية من لندن وكل ما زاد عليها أن فساتينها قد ازدادت قصراً ، وبضع كلمات بإنجليزية سقيمة ركيكة ترددها في كل مناسبة وبدون مناسبة ، فقط لكي يعلم من لم يكن يعلم أن « المزمل » كانت في أوروبا .. أن تعود وقد ازدادت غطرسة وكبرياء وتأففاً من كل ما حولها هنا ، ولا يعود يعجبها العجب ولا الصيام في نوفمبر ، وتتصرف كما لو كانت قد ولدت و« نشأت وترعرعت » وعاشت طول عمرها في أوروبا

ثم جاءت إلى مصر فصلمت بكل ما تراه هذا ! ! . أن تعود الفتاة المصرية من لندن وكل ما اكتسبته من خبرة جديدة هو ما رآته من الحرية الخطيرة التي تتمتع بها الفتاة الأوروبية في حياتها الشخصية وإمكاناتها الكاملة في «التصرف في نفسها» . فيصبح كل هم الفتاة المصرية بعد عودتها إلى مصر - كما كان همها وهي هنا في لندن - هو أن تشبه بالفتاة الأوروبية في ذلك . فتجري وراء كل مغامرة بطريقة « كانت في جرة وخرجت لبرة » . فتنتقل من شاب إلى شاب إلى ثالث إلى رابع وكله محصل بعضه . وآهي شوية شقاوات تشع كذكريات وقت المزوم . . أو يرتبطن هنا بعلاقات قطعاً لا يستطعن الارتباط بها في مصر وإلا تعرضن للرجم . خصوصاً - والخطورة هنا أشد - بنات الدائلات المتوسطة بتقاليدنا المحافظة اللاتي يعانين بحكم ظروفهن من الكبت الشديد في مصر ، ويأتين إلى هنا ليجلن العكس تماماً : الإنطلاق الشديد . فينطلقن و ينطلقن برضه . والي يعرف خالي يروح يقول له ! ! .

وتنتقل

وقفة

النواصي من ناصيتي أمريكين عماد الدين وسليمان باشا والتلطم على أبواب السينات ساعة الدخول وساعة الخروج لمعاكسة البنات ، تنتقل هذه الوقفة إلى نواصي أحياء « إيرلز كورت » و « كوينزواي » . . ويحيى البوليس الإنجليزي النشيط كل ليلة إلى شوارع « إيرلز كورت » ليجمع الشبان المصريين الواقفين على النواصي يعاكسون البنات الإنجليزيات ويشلدوهن من أذرعهن وهن سائرات في الشوارع . . البنت الأجنبية عموماً والإنجليزية خصوصاً ، لا « تصادق » شاباً إلا بكامل رضاها واختيارها ، وهي ليست صيداً سهلاً كما يتوقع أو كما يظن الشاب المصري

الشرقان الذى جاء إلى هنا ليغزو لندن وقلوب بنات لندن ، ويتوقع أن يرتمين فى أحضانه بمجرد أن يعرفن أنه مصرى : « أوه . . إنجليشيان ؟ ياى » ، ويروحوا طابين فى غرامه على طول !! ..

والمقهى الذى يطلق عليه هنا : « قهوة المصريين » فى حى (كوينزواى) .. الضحك والكركة والطريقة والنكت والقفشات الطائرة هذا وهناك والصوت العالى إلى يجب آخر الدنيا . . حتى الطاولة أحضروها معهم إلى لندن !! ..

وتشيع عن المصريين سمعة أخرى معينة : ذهبت مع الطالب المصرى « سميح » لأزور بيت الشباب فى حى (هاى ستريت كنتزنجتون) الذى يتزل فيه شبان وشابات من كل جنسيات العالم . . . البيت عبارة عن مجموعة عنابر كبيرة ذات فناء واسع جداً ، كأنه كان سجنًا أو ثكنة من ثكنات الجيش ، مبنى بالطوب الأحمر على الطراز الإنجليزى ذى السقف المخروطى . . السرير فيه ١٢٠ بنسًا لليلة الواحدة . . الطلبة المصريون يستأجرون غرفة فيها ٤ سراير وينامون فيها ١٥ فرداً : ٨ على السراير و ٧ على الأرض — طبعاً من وراء ظهر المسئولين عن بيت الشباب — والذين يطلقون على غرفة المصريين إسم : « المقبرة » ، لأنك وأنت على باب البيت تستطيع أن « تستدل » على مكان غرفة المصريين من : رائحتها . . غير العطرة طبعاً !! ..

ولم تكن هذه حالة شاذة قطعاً ، ففي نفس المكان الذى أعمل فيه تعمل فتاة مصرية طالبة جامعية ، تعمل واديتين : ١٦ ساعة متواصلة فى اليوم الواحد ، كجرسونة وخادمة غرف ، من ٣ بعد الظهر إلى ٧ صباح اليوم التالى ، ومن فرط التعب تنام : « مريلة الشغل » لا تخلعها ، ولا تستحم — إذا حصل يعنى — إلا فى يوم عطلتها الأسبوعية . . وبرغم أن عملها هو تنظيف غرف الفندق وترتيب السراير فيها ، فإن سريرها الشخصى فى غرفها لم ترتبه مرة واحدة طيلة الشهور الثلاثة التى قضتها تعمل فى الفندق ! ! ..

وهذه أيضاً عينة من البنات اللاتي جئن إلى لندن فوجدن العمل متاحاً وفرصة العمل وارديتين في مكان واحد . أو في مكانين . موجودة ، فأصبحن يعملن كالماكينات ١٦ ساعة متصلة في اليوم لكي يقبضن أكبر قدر من الفلوس . وبذا انتهى أصلاً الغرض من خروجهن إلى أوروبا للزيارة والمشاهدة واكتساب معرفة جديدة وخبرة جديدة . ليصبحن « جامعات فلوس » فقط قادمات إلى لندن للتحصيل !! ..

وفي

هذا

المناخ « التحصيلي » والنفسى يستطيع عملاء إسرائيل أن يتدخلوا ليلتقطوا عينات ونوعيات من الطابة المصريين لتجنيدهم . أو على الأقل لإغرائهم ببيع جوازات سفرهم ، كما سأشرح في فصل قادم .. ويكون أى طالب مصرى معرضاً لمثل الموقف الذى تعرض له « على عبد العزيز » الطالب في تجارة أسيوط : كان واقفاً عند مدخل محطة المتروال « أندرجراوند » في (إيرلز كورت) حين أقبل عليه واحد يتكلم اللغة العربية ولكنه أجنبية قليلاً . ليكلمه مدعياً أنه يعرفه : « إزيك يا راجل ؟ إزي صحة ؟ أمال فين صلاح ؟ » . فلما قال له « على » مندهشاً إنه لا يعرف أحداً اسمه « صلاح » ولا يعرفه هو شخصياً . قال له صاحبه ما معناه أنه يخلق من الشبه أربعين ، ثم يواصل كلامه معه ليقول له إنه كان يعيش في الإسكندرية ويعمل مدلكاً في أندية الرياضية . . فيسأله « على » عن أسماء لاعبين معينين صادف أنه يعرفهم في أندية الإسكندرية ، فلم يعرفهم صديقنا الغريب ، ومع ذلك فقد أصر على أن يدعو « على » للعشاء معه والإقامة عنده ، ووعده بأن يجد له عملاً حين عرف منه أنه لم يجد عملاً بعد !! .. وحين حكى لنا « على » هذه القصة نصبحناه جميعاً بالاً يذهب خوفاً من أن يقع في براثن عملاء إسرائيل بصورة أو بأخرى ! .

في ختام

هذا العرض لغرض العمل المتاحة للمصريين في لندن : طلبة وظائف ، والصورة الغالبة الواضحة عن شكل الطلبة المصريين هنا .. أحب أن أضيف فقرتين أخيرتين : الفقرة الأولى أن البنت المصرية تستطيع بسهولة جداً وفي أى وقت الحصول على عمل في لندن دون حاجة إلى أن تذهب عن طريق المكاتب « إياها » في القاهرة التي تتقاضى ٥٠ جنيهاً وأحياناً أكثر .. البنت المصرية تستطيع أن تعمل - حتى لو لم تكن تحمل تصريح عمل - بعد ربع ساعة من وصولها إلى لندن ، وتستطيع أن تعمل في وظيفتين في اليوم الواحد لو اتسع وقتها ولو احتملت صحتها ..

أما الولد المصري - بعد الظروف التي شرحتها - فإن فرصته في العمل في لندن ضيقة جداً . والشاب المصري الذي يجد عملاً هنا - بدون تصريح عمل - يكون مسعداً ومحظوظاً وأمه داعية له . فالإنجليز يرحبون جداً بالأيدى العاملة من الفتيات ، من الناحية الجمالية فقط لا غير . ودون النظر إليها كأنثى كما قد يتبادر إلى الذهن .. لكن على العموم فإنه من الأفضل جداً أن تذهب الفتاة ويذهب الشاب إلى لندن وهما مسلحان بتصاريح عمل من وزارة العمل البريطانية . حتى لا يتهددهما انكشاف أمرهما أمام البوليس الإنجليزي في أى لحظة ..

إذن فتصريح العمل في إنجلترا لازم لازم ضروري ضروري ضروري ولا بد أن تكون عندنا في مصر جهة ما ، حكومية ، مختصة باستخراج تصاريح العمل لشبابنا من إنجلترا بشكل رسمي وقانوني .. إدارة حكومية لا مجال في المنصب وليست من عينة « ذلك المكتب إياه » .. قد يكون فيها كأي إدارة حكومية - ورحم الله إمرء عرف قدر نفسه - مجال الوساطة ، وفي أسوأ الظروف قد يكون فيها مجال للإكراميات والمجاملات والمحسوبيات بل

والرشاوى أيضاً . . لكن الطالب أو الطالبة سوف يخرجان من مصر عن طريقهما وفي أيديهما تصاريح عمل حقيقية من الحكومة الإنجليزية . وليست تصاريح عمل وهمية مثل تلك التي يقدمها مكتب « الدكتور » إياه ! . . . ويجب أيضاً أن تنظم هذه العمالية بحيث لا يخرج إلا عدد قليل نسبياً من الطلبة والطالبات المصريين لا يزيد على ٥٠٠٠ طالب وطالبة مثلاً . . لكن أن تترك كل هذه الأعداد المهولة من الطلبة المصريين تزحم الدنيا هنا بهذه الصورة بدون مناسبة وبدون تخطيط . فذلك خطأ كبير جداً طبعاً ينبغي تلافيه وإيقافه على الفور . .

الفقرة

الثانية

التي أحب أن أضيفها هي أن السفارة الإنجليزية في القاهرة تدقق جداً في دخول الطلبة المصريين إلى إنجلترا . وتفحصهم بدقة واحداً واحداً وتعتقد لهم ما يشبه الإختبار الشخصي . حين يجتمع مسئول في السفارة بكل طالب على حدة . وبعد هذه المقابلة قد يعطيه التأشيرة وقد لا يعطيه إذا لم يعجبه شكله . . وقد يعطيه التأشيرة لشهر كامل وقد يعطيها له لأسبوع واحد فقط لا غير .

فإذا كانت سفارة إنجلترا في مصر تفعل ذلك وإنجلترا . يمين أو شمال ، مستفيدة قطعاً من المصريين الداهيين إليها لينفقوا فيها نقودهم من العملة الصعبة التي تحتاجها إنجلترا . وبرغم ذلك كله يفلت من هذه المصفاة الدقيقة بعض « الشوائب » المصرية ، أفلم يكن من المفروض أن تفعل الدولة عندنا شيئاً مماثلاً حرصاً على سمعة مصر وسمعة المصريين في البلاد الأوروبية ، حيث يكفي أن يرتكب مصرى خطأ ما لكي يصبح « المصريون » عموماً شكاهم وحش جداً أمام الإنجليز ؟ . . أفلم يكن من المفروض أن تقوم جهة ما — قبل السماح بالجوازات — بغربة

كل هذا العدد المهول من الطلبة المصريين .. وإذا كنا صرحاء وجادين في معالجة هذه المشكلة حرصاً على إسم مصر وسمعة مصر ، خصوصاً في الظروف الحالية - فلنقل إذن بصراحة : : « غربلة » الفاشلين « المصريين » والـ « صُبَّغ » المصريين . المتقدمين للسفر إلى أوروبا لكي ينصبوا هناك ويسرقوا هناك ويبنطجوا هناك . ويعملوا فتوات وفبضايات هناك . خصوصاً على المصريين اللي زيهم . فيسيئوا إلى سمعتنا هناك واحنا مش ناقصين . ويمرمطوا إسمنا ويمرمغوا سمعتنا على تراب لندن وغير لندن مثل العواصم الأوروبية !!

ينبغي ألا يسمح بتقديم أى طالب أو أى شخص غير معاوم العمل أو الوظيفة لإدارة الجوازات طالباً تأشيرة خروج أو جواز سفر . إلا إذا كان يحمل موافقة جهة ما قبل ذلك . ثم تعقد له مقابلة شخصية وأول عشر دقائق فقط . وهي ليست مدة كبيرة ، يفحص فيها بدقة جداً ، فإذا لم « يسترح » الموظف الذى يقابله إلى شخصيته - وهم يظهرون على الفور من شكلهم وحركاتهم وطريقتهم فى الكلام وفى التعامل - رفض أن يعطيه التوصية المطلوبة إلى إدارة الجوازات . . أما إذا أعطاها له فيذهب إلى إدارة الجوازات ليحصل على تأشيرة الخروج على الفور . .

وهذا الكلام الذى أقوله ينطبق على الشبان وينطبق على البنات أيضاً . . فبعض البنات المصريات اللاتي قابلهن هنا أخطأن الطريق وجئن إلى لندن وكان المفروض أن يذهبن إلى بيروت . والحدق يفهم !!!

□ حكاية الغرفة رقم ١١٨ . ! □

هذه

هى

المرّة السادسة التى أزور فيها لندن ، لكنها تبدو لى وكأنّها المرة الأولى التى « أراها » فيها على حقيقتها . . . أرى لندن من القاع . . . كنت فى المرات السابقة أنزل ضيفاً معزلاً مكرماً فى غرفة محجوزة لى مقلعاً فى أرقى الفنادق . . . ولا أحمل هم أى شىء على الإطلاق : أكل فى مطعم الفندق أو فى دعوات للغداء أو العشاء أو السهر . . . غسلى أتركه فى غرفى فى الفندق عند خروجى فى الصباح وأعود فأجده مغسولاً ومكويّاً دون أن أحاول أن أتعب نفسى فى معرفة كيف غسل ولا كيف تم كيه . . . مواصلاتى ميسرة وموثبة ، ولم أركب المترو الـ « أندرجراوند » من قبل إلا لمجرد مشاهدته ، حتى خريطته لم أرها إلا هذه المرة حين أصبحت زبوناً مستديماً له . . . ولم أركب أوتوبيسات لندن لا الخضراء ولا الحمراء إلا هذه المرة . . . هذه المرة كانت تبدو لى وكأنّها المرة الأولى : دخت فى « الأنبوبة » وضاعت فاوسى فى المواصلات - « الأنبوبة » هى الـ « أندرجراوند » كما يسميه الإنجليز تدليلاً - واحتست بغسلى حتى تشرفت بالتعرف إلى ما كينة غسيل الملابس وتجنيفها أوتوماتيكياً ، وما زلت محتاساً بمكوّنى لولا أن - الله يخليه - « أمين القصاص » يتكرم بأخذها كل أسبوع ليكويها عنده فى البيت إشفافاً منه على عدم خبرتى بالأعمال المنزلية التى يجيدها هو . . . ست بيت هايل « أمين » ده ! ! . . . الأكل أيضاً

الذى لم أكن أحمل همه من قبل . . . الآن تعودت أن أنزل إلى
 (سوپرماركت) مرة كل أسبوع لأشترى احتياجاتى من العلب المحفوظة ،
 وتعتمد ألا أشترى من محلات المنود أو الپاكستانيين لأنهم أغلى ولأنهم
 يغالطون فى الحساب . . . وكلمة كان المحل الذى أشترى منه كبيراً كان
 أضفى وأرخص . . . تعامت أشياء كثيرة كان ينبغي أن أبدأ بها لا أن
 أنتهى بها . لكن يبدو أن الإنسان كلما كبر عمره احتاج إلى أن يعرض
 التجارب التى فاتته أو التى كان يجب أن يمر بها وهو صغير ولم يفعل
 لسبب أو لآخر . . . اليوم تجد حولى بنات مصرية فى الثامنة
 عشرة والتاسعة عشرة من عمرهن وحدهن فى لندن . وصبيان مصريين
 فى السادسة عشرة وفى الخامسة عشرة . وأنا لم أفر بتجربة السفر إلى
 الإسكندرية وحدى إلا وأنا فى العشرين بعد أن تخرجت وأنهيت دراستى .
 وذهب وفد من الأسرة ليرصانى إلى محطة السكة الحديد كأنى مسافر
 إلى الحج . ولولا الملامة كانوا وصوا على سواى القطار . . . ويوم نقات
 وأنا موظف إلى أسوان بعد ١٠ شهور من تعيينى . خبطت أمى على
 صدرها وبكت وزاحت وقالت من بين دموعها : « يا حبيبى يا ابنى .
 وحا تعمل إزاي لوحدك فى « الغربية » دى ؟ » . . . كانت أسوان « غربية »
 بالنسبة لجليلى والإسكندرية مشواراً كبيراً . أما الآن فاندن خطوتين
 وفركة كعب بالنسبة لجليلى السبعينات . وربنا يستر فى جيل الثمانينات
 والتسعينات . . . قطعاً حا يروحوا القمر « خميس وجمعة » ! !

مدة

إقامة

صديقنا « سوسن » فى لندن أوشكت أن تنتهى . . . عند دخولها
 لندن حصلت فى المطار على تأشيرة تسمح لها بالبقاء فى إنجلترا لمدة شهر
 واحد . . . والمفروض أن تذهب قبل أن تنتهى هذه المدة إلى « هوم أوفس

Home Office « - وهو ما يشبه إدارة الجوازات عندنا في مصر -
تطلب منه المدة أو تجديدها لفترة أخرى .. قامت « سوسن » بما يشبه
« الإكتتاب » .. جمعت من كل الأصدقاء المحيطين بها كل ما معهم
من نقود إنجليزية لكي تذهب إلى « هوم أوفس » ومعها مبلغ معقول ..
أعطيتها ٣٥ جنيهًا كانت هي كل ما معي في ذلك الوقت .. وفي مساء
اليوم نفسه - بعد أن حصلت « سوسن » على التأشيرة المطلوبة - أعادت
لكل واحد نقوده مرة أخرى ! !

كل الطلبة المصريين يفتاعون ذلك .. عند دخولهم لندن يسألهم موظف
مكتب الهجرة الإنجليزي : « عايز تقعد قد إيه في لندن ؟ » وعلى
قدر المبلغ الذي يكون مع كل منهم يعطيه تأشيرة بالمدة التي صرح له بها
والتي لا تزيد عادة عن شهر على الأكثر ، وأحياناً تكون أسبوعاً أو أسبوعين
فقط .. وقبل أن تنهى هذه المدة المحددة يجمع الطالب كل النقود التي معه
ومع زملائه وأصدقائه ومعارفه هنا ، ليذهب إلى « هوم أوفس » ومعهم ١٥٠
جنيهاً إنجليزيًا أو أكثر ، ويقول للموظف أو الموظفة الإنجليزية التي تقابله
إنه يريد تجديد المدة لأي حجة يختارها : « يريد أن يشاهد باقي إنجلترا » ..
« ما زال أمامه وقت طويل في أجازته يريد أن يقضيه هنا » .. « لم يكن يتوقع
أن تكون إنجلترا - متملقاً ومدهاناً - طريفة بهذا الشكل ، لذا فهو يريد
أن يقضي فيها مدة أطول » .. وحين تراجع موظفة الجوازات
أوراقه ثم تسأله : « من أين جاء بهذا المبلغ الذي معه الآن في حين
أنه لم يكن معه غير ٣٠ جنيهًا فقط حين وصل إلى لندن ؟ » يقول أن
أسرته أو أهله في مصر قد أرسلوا إليه هذا المبلغ مع صديق للأسرة
جاء إلى إنجلترا منذ عدة أيام .. ونكى يهرب من ذكر اسم « صديق
الأسرة » هذا حتى لا يبحثوا عنه في سجلاتهم ويكتشفوا أن الطالب
كذاب ، يقول إنه - أي الطالب - لم يكن موجوداً في البيت أو في الفندق
الذي يقيم فيه حين جاء هذا الصديق وترك له المبلغ مع رسالة من الأسرة

دون أن يترك اسمه ولا عنوانه ! ! . الظريف أنهم في « هوم أوفس »
يسمعون نفس هذه الحجج من الطلبة المصريين مئات المرات كل يوم .
ومع ذلك فهم - بظرف شديد أو باستعباط شديد - يدعون أنهم يصدقونها
وينجدون لهم مدة الإقامة بالقدر الذى يطلبونه : « ناس جاين
يصرفوا فلوسهم في إنجلترا . حانقول لهم لأ ليه ؟ » .. ويكونوا يعرفون
جيداً أن هؤلاء الطلبة يعماون : « طيب وماله . . ما دام فيه مكان في
لندن يشغلهم يبقى محتاج لهم . نحرمة منهم ليه ؟ . . ما يضرش .. خليه
قاعدين .. آهم يتقبضوا فلوس إنجليزى من هنا ويصرفوها تانى في شراء
بضائع إنجليزية من المحلات في لندن من هنا ، وفلوسنا فضلت جوا البلد
وآهم رجعوا مصر بشوية بضاعة إنجليزية كنا عايزين نوزعها على أى حال !! ..
تفكير إنجليزى سليم ١٠٠٪ قطعاً . .

الأظرف من ذلك تلك الحجج التى تتقدم بها أحيانا بعض البنات
المصريات من باب التجديد والإبتكار ، وحتى لا تكون حججهن روتينية
مكررة ومعادة : « منى » ذهبت لتقول لهم في « هوم أوفس » إنها
عروسة وبتجهز بيتها الحديد في مصر ، فبتشترى لوازمها من لندن . .
وأن أهلها أرسلوا لها مبلغاً آخرى لكى تستكمل شراء باقى احتياجاتها ،
كما أن « دادى » بتاعها الى يشتغل في الكويت بعت لها قال لها خليكى في
لندن وأنا جاي لك نقعد مع بعض شهر كمان وبعدين نرجع مصر سوا !! ..
أما « سوسن » فقد ذهبت إلى « هوم أوفس » بحجة ظريفة جداً : كنا
في أغسطس ، ومع ذلك قالت لهم « سوسن » إنها تريد أن تبقى في
لندن لكى تشاهد احتفالات أعياد الميلاد وليلة رأس السنة التى سوف تحدث
بعد خمسة شهور ! !

هَبْلَة البيت دى . . والأهبل منها موظف الجوازات الإنجليزى الى
واقفها على كده وأعطاهم التأشيرة ! !

القنصل

المصرى

فى لندن « مصطفى كمال عبد الفتاح » ، شاب مهذب جداً ومتعاون جداً . . حين عرف أننى أريد أن أتكلم معه فى موضوع الطلبة المصريين الذين يعملون فى لندن فى إجازة الصيف ، رحب بشدة . . وحين اختلفت مواعيدنا أنا وهو اتصل بى تليفونيا فى البيت ٤ مرات - حتى الساعة ١٢:٣٠ ليلاً - حتى استطعنا التوفيق بين وقته ومواعيدى ومواعيده . .

عصر اليوم كنت معه فى بيته فى « ريتشموند » ، ليضع أمامى صورة واضحة جداً عن شكل وجود وحياة الطلبة المصريين فى لندن . . وسوف أنشر كلام القنصل كما هو دون تدخل منى بأسئلة وأجوبة بالطريقة الصحفية الروتينية ، حتى لا أقطع تسلسل كلامه . .

قال القنصل « مصطفى كمال عبد الفتاح » :

- وزارة الداخلية فى القاهرة أرسلت تسألنا عن إمكانية توفير عقود عمل هنا فى لندن للأيدى العاملة المصرية بواسطة اتفاقيات تعقد بيننا وبين إنجلترا . . وفعلاً اتصلنا بوزارة العمل الإنجليزية وناقشنا معها الكلام ده فقالوا لنا : « متأسفين . . ماعندناش إتفاقيات بالشكل ده ، لأننا أصلاً عندنا نسبة بطالة فى إنجلترا ، وحتى لو كانت فيه فرص عمل فإن الأسبقية عندنا للأيدى العاملة القادمة من دول السوق الأوروبية المشتركة ودول الكومنولث » . . وأرسلنا إلى وزارة الداخلية فى مصر قلنا لهم الكلام ده فى أواخر عام ١٩٧٢ . .

وأيضاً ليست هناك عقود عمل للطلبة فى الصيف فقط كما يتخيل الناس فى مصر . . ليس هناك غير معسكرات العمل لجمع الفواكه ، ودى برضه قليلة وليست كافية لاستيعاب أعداد كبيرة ، وهى على أى حال عن غير طريق القنصلية . .

ومع ذلك . فالذى يحدث فعلاً أن أعداد الطلبة المصريين في لندن تتزايد كل سنة : في الوقت الذى تقل فيه فرص العمل بنفس النسبة .. مع أنه من الخطر جداً أن يعمل أحد هنا دون أن يكون معه تصريح عمل .. يسبحى الطالب من دول يرمى في الشوارع ويتعرض لمطاردة البوليس الإنجليزى .. وتجد أن منطقة أوحى زى (إبرلذكورت) قد أصبح زى حى السيدة زينب أوسيدنا الحسين في القاهرة في رمضان أو في المولد . من زحام الطلبة المصريين فيه بشكل غير مشرف على الإطلاق : اللى شابل شغلته خشب برزة وقتل ومدهونة سلقون أحمر ومكتوب عليها اسمه بالبووية . وقاعد على الرصيف لأنه مش لاقى حتة يروح فيها .. واللى متجمعين ٧-٨ وعاشين في أوضة واحدة ضيقة لا تتسع إلا لواحد أو لاثنين على الأكثر - وطبعاً ذلك يحدث دون علم أصحاب البيوت - فبالإضافة إلى أن الأمراض تنتشر بينهم لأن الجو في حجرة بهذا الإزدحام والتكدس يبيى غير صحى على الإطلاق طبعاً . فأيضاً تحدث المشاكل والسرقات بينهم وبين بعض . ويتخافوا مع بعض من ناحية . ومع أصحاب البيوت من ناحية أخرى . . لأنهم يبهدلوا المسكان اللى يسكنوا فيه ويهربوا من غير ما يدفعوا الإيجار ويتشطوه قبل ما يمشوا . . والحكاية دى للأسف أصبحت تمثل ظاهرة الآن . خصوصاً السنة دى : الولد المصرى اللى سرق خزينة المحل اللى يشتغل فيه في الهيكاديللى وطفش . فطردوا كل المصريين اللى كانوا يشتغلوا في نفس المحل وفي المحلات المجاورة له . وساءت سمعة المصريين جداً في المنطقة .. ولد تانى سرق ٢٠٠ مارك ألماني ، يعنى مبلغ لا يساوى ٣٠ جنيه مصرى . من غرفة نزيل ألماني في شيراتون مطار لندن ، ويتضح للأسف أن خال الولد ده شخصية كبيرة جداً في مصر وكان وزيراً في وقت من الأوقات .. الطالب المصرى بيدخل المحلات الكبيرة فيجد كل حاجة سايبه قدامه ومفيش بيعين في المحل زى عندنا في مصر ، هنا الواحد ينقى الحاجة اللى هو عايزها

ويأخذها في إيديه ويروح الحزينة يدفع ثمنها ويمشى .. فيبص الولد
المصرى حواليه يلاقى مفيش حد شايفه فيفتكر أن المسألة ساوية والمال
السايب يعلم السرقة . فيأخذ قميصين أو بولو قرين وييجي خارج من
غير ما يدفع ثمنهم فيقفشوه ، لأن المحلات الكبيرة هنا مفيش فيها
عمال وبياعين كثير صحيح لكن فيها شبكات تليفزيون داخلية بيشف
فيها رجال الأمن كل ركن في المحل !

وللأسف

الشديد ،

الصحافة في مصر كان لها دور غريب جداً في الحكاية دي - القنصل
مسطي كمال عبد الفتاح « يستطرد - مثلاً : صحيفة مصرية صباحية
كبيرة ، في أبريل أوفى مايو اللي فات . نشرت إن حايبكون فيه مندوب من
القنصلية المصرية أو السفارة المصرية حايستظر الطلبة المصريين في مطار
لندن ويسر لهم أماكن لإقامتهم ومعه كشف بالوظائف اللي منتظراهم
(! !) .. يعنى كل طالب حاينزل من الطائرة في مطار لندن يلاقى
السكن ويلاقى الوظيفة ، بس هو يتفضل يشرف وهو يجد ما يسره !! ..
وده تهريج وكلام فاضى وخرافى طبعاً ومش ممكن حد عاقل يصدقه ،
مع ذلك فالكلام ده جعل عدد كبير جداً من الطلبة المصريين هجموا
على لندن السنة دي أكثر من أى سنة .. وذى مش إشاعة ، أنا كنت
في مصر وقتها وشفيت الصحيفة دي بعيني وقريت الكلام ده بنفسى . .
وييجوا الطلبة المصريين إلى لندن فيعرضوا لمضايقات في المطار بشكل
وحش جداً ومهين جداً .. بيتفتشوا تفتيش ذاتى وتفتح شنتهم وتفتش
حتة حتة علشان رجال المطار يشوفوا الطالب محي معه عناوين عمل أم لا ،
فإذا وجدوا معه أى عنوان يشتبهوا في أنه عنوان عمل يبقى جاي يشتغل ،
فيرجعوه من برة برة ويمنعوه من دخول لندن أصلاً .. وثقاجاً في القنصلية

بتليفونات جاية من مطار لندن : « أنا الطالب فلان الفلانى . . الحقونى
إعملوا معروف . . حايشنى فى المطار ومش راضيين يخلونى لندن ،
وأنا مستلف ثمن التذكرة علشان أقدر آجى لندن » !! .. ولما بنحاول
أن نتدخل عند السلطات الإنجليزية بترفض تدخلنا لأن القانون الإنجليزي
واضح وصريح فى الحكاية دى ..

وإذا سألتنى عن رأى الرسمى كتنصل ، فسأقول لك نفس الكلام
الى قلناه وكتبناه قبل كده فى تقاريرنا الرسمية أكثر من مرة : هذه
المسألة لازم تنظم بصورة أو بأخرى ، لأن الطلبة بيعجوا هنا يختاروا
ويتبهدلوا من ناحية ، واحنا بنختار معاهم وبنلاقى المتاعب معاهم
وبسببهم ومن تحت راسهم من ناحية ثانية .. والسنة دى بالذات أكثر
من أى سنة فاتت الطلبة لاقوا متاعب كثيرة حاتخليهم يفكروا السنة
الجاية قبل ما بيعجوا لندن تانى .. ده إذا مكانوش حايرجعوا مصر يكذبوا
ويحكوا حواديت عن بطولاتهم وأمجادهم الى ما حصلتش طبعاً ، فغيرهم
بيجى ويتعب ويقاسى وهم ما يحوش مرة ثانية !

وأيضاً

ظاهرة

ضياع جوازات السفر من الطلبة المصريين بتزيد جداً فى فترة الصيف .
والأسباب معروفة طبعاً : بيعجى الطالب يتحجج لنا بأى حجة ، ولا تملك
إلا إننا نصدقه طبعاً : نسي الپاسپور بتاعه فى محل ولما رجع يدور عليه
لم يجده .. ركب ال « أنلرجراوند » ونعس تام وماخدش باله لما الپاسپور
بتاعه وقع منه .. دى الأسباب الى بيتعللوا بيها قدامنا ، لكن الى
بيوصلنا — كإشاعات (!!) — هو أن الطلبة لما ييفلسوا ويتزققوا ويحتاجوا
لفلوس بيعجوا جوازات السفر بتاعتهم .. وطبعاً هم عارفين كويس أوى
بيبيعوها لمن وليه ١ ؟ .. عارفين إن الى يرضى يدفع ٥٠ أو ١٠٠ جنيه

إسترليني علشان يشتري جواز سفر مصرى مش يشتريه لأنه يحب اللون الأخضر أو لأنه غاوى جمع تذكارات وتحف ، لكن يشتريه لأنه من عملاء إسرائيل .. آمال يعنى حاشتره ليه ؟ حاشتره لخطيته ؟ ! .. ومهما كان الطالب المصرى اللى بيع جواز السفر بتاعه لعملاء إسرائيل إنسان ضعيف النفس . إلا أنه برضه بيكون مضطر لأن مغيش معاه فلوس ، وهنا الخطورة ..

كمان

بعض

الطلبة المصريين يلبجأوا إلى وسيلة غريبة جداً علشان يحلوا مشكلة استمرار إقامتهم فى لندن برغم أنف الـ « هوم أوفس » وبرغم المدة المحدودة اللى بتسمح لهم بيها السلطات الإنجليزية فى المطار وهم داخلين لندن ، وبالرغم من پاسپور الطلبة اللى معاهم اللى مدته ٦ شهور فقط تنتهى فى ٣١ أكتوبر وغير قابلة للتجديد أو المد : يروح الطالب المصرى يتزوج أى واحدة إنجليزية .. أى واحدة مهما كان شكلها ونوعها وبتشتغل ليه !! - وضع ١٠ خطوط من فضلك و ١٠٠ علامة تعجب تحت عبارة « بتشتغل ليه !! » - وما دام الطالب المصرى قد تزوج من واحدة إنجليزية يبقى يرى الپاسپور المصرى بتاعه فى الشارع لأن حايبقى من حقه الإقامة الدائمة فى إنجلترا بحكم القانون الإنجليزى نظراً لزواجه من إنجليزية .. وفى هذه الحالة طبعا لا يستطيع العودة إلى مصر لأنه حايعرض نفسه لطائلة القانون المصرى لأنه مارجعشى مصر فى الموعد المحدد له فى الپاسپور !

وفى الحقيقة أن الموقفين متعارضين تماماً فى حكاية « پاسپور الطلبة » اللى بنعطيه لهم فى القاهرة : إزاي أعطيه پاسپور لمدة ٦ شهور وفى الوقت نفسه باسمح له بـ ٣٠ جنيه إسترليني فقط وهو خارج من مصر ؟ ! .. يبقى معنى كده إني أنا عارف ومتأكد أنه رايح أوروبا أو رايح لندن

علشان يشتغل ، لأن الـ ٣٠ جنيه إسترليني دول لو إنهم كفوه ١٠ أيام
 فى لندن يبقى فضل من عند ربنا .. وفى الوقت نفسه فالسفارة الإنجليزية
 فى القاهرة والسلطات الإنجليزية هنا فى لندن ، سواء فى المطار أو فى
 الـ « هوم أوفس » . بتعارض جداً فى اشتغال الطلبة المصريين ، ويبقى
 مفيش قدام الطلبة غير التحايل على الشغل لغاية ما يشتغلوا فعلا من وراء
 ظهر القانون الإنجليزي وضد رغبته .. وده يبقى كلام مش تمام : إزاي
 أسمح لأولادى إنهم يروحوا بلد علشان يخالفوا القانون فيه ؟ وبعلمى
 ورضائى!! .. إزاي أبعثهم لندن وأنا عارف إنهم رايحين يخالفوا القانون فيها
 ويعرضوا أنفسهم لطائلته ومواد عقوباته إذا انكشفوا ؟ ! .. هل لو خالفوا
 القانون المصرى عندى فى مصر سأتساهل معهم ؟ ! قطعاً لا .. أmaal
 إزاي أسيبهم يروحوا يخالفوا القانون — بعلمى — فى بلاد تانية ؟ ! ..
 قطعاً بالشكل ده مش ممكن أكون باعلمهم لا الأمانة ولا الصدق ولا
 الأخلاق ولا المبادئ مطلقاً !

□ □ إنتهى كلام القنصل « مصطفى كمال
 عبد الفتاح » قنصل مصر فى لندن .. وأنا أو يده
 إلى أقصى حد فى كل كلمة قالها وفى كل حرف
 جاء على لسانه .

لكن الذى

لم يقله القنصل — لسبب بسيط جداً . هو أنه لا يعرفه ولم يره — هو شكل « الذل » الذى يلاقيه الطلبة المصريون وال طالبات المصريات اللاتى يعملن هنا فى لندن .. الذل أتصور أنه موجه إلى المصريين وحدهم فقط لا غير ! ... فى الفندق الذى أعمل فيه . وفى كل الفنادق الكبيرة المماثلة ، تجد العاملين فيها يشكون « عصبية أمم » كاملة .. كل جنسيات العالم تقابلك : الطباخ هندى . غسال الصحون باكستانى ، السفريجات مصريات وأيرلنديات وإيطاليات ، عاملة التليفون من جامايكا .. بنات الاستقبال إنجليزيات ومن ويلز . خادومات الغرف « التشامبر ميدز » فلبينيات وأسبانيات . بنات الحسابات برتغاليات . ووووو .. كل الجنسيات .. الغرب أنى لم أجد هنا أحداً من العرب على الإطلاق غير المصريين وغير شاب تونسى واحد .. لكن السمة المشتركة الواضحة بين الجميع هنا هو أنهم جميعاً من دول فقيرة أو نامية .. إنما الغرب حقيقة هو أن المصريين — دون كل الجنسيات الأخرى — هم الوحيدون المضروبين على دماغهم ويلاقون من الذل وسوء المعاملة فى كل مكان ، حتى أنهم يهربون من فندق إلى فندق ونادراً ما تجد مصرياً أو مصرية قضيا مدة طويلة فى فندق واحد . وإذا صادف أن وجدت واحدة لها سنة أو ستين فى نفس الفندق فستجد أنها فى حالها ومتزوية ولا تكاد تسمع لها صوتاً ، فى حين أن الفلبينيات والفلبينيين ، على سبيل المثال ، قاعدین مستريحين ومبسوطين على الآخر ٢٤ قيراط ويعاملهم الإنجليز أحسن معاملة ، وهم من ناحيتهم يتصرفون بعنجهية وألاطة كأن إنجلترا بيت جدهم ، وكأن لهم فيها أكثر مما للإنجليز أنفسهم ، فى الوقت الذى يقال فيه إن إنجلترا لا ترحب بالآسيويين !

الإنجليز هنا يذلوننا في بلادهم ونحن عبط وهبل نحترمهم ونكرمهم في بلادنا آخر كرم . لأننا بطبعنا سمحاء وكرماء . وقد نسينا لهم إستعمارهم لنا لمدة ٢٠ سنة . أما هم فلم ينسوا . . وسر غطرسة الإنجليز رغم عباطة ظروفهم الآن ووضعهم الآن بعد أن أصبحوا لأول مرة دولة من الدرجة الثانية . بعد الماضي الإستعماري التليد وإمبراطوريتهم التي كانت لا تغيب عنها الشمس فأصبحت لا تشرق عليها الشمس . . . ذلك نفسه هو ما جعلهم ينتبهون للداخل بعد أن تركوا أحلامهم الإستعمارية . فتحسنت الأحوال والأوضاع في الداخل جدا : ترف غذائي متناهد بعد بيضة واحدة للفرد في الأسبوع أيام الحرب ، فأصبحوا الآن متنغذين وكل شيء متوفر وموجود بكثرة بعد أن كان أطفالهم يموتون جوعاً أيام الحرب . . صرفوا النظر عن أحلامهم الإستعمارية في الخارج وركزوا كل انتباههم على الداخل .. لكن الغطرسة الإنجليزية - وهي فيهم طبع أصيل - وجدت في ذلك الرخاء الإقتصادي والمعيشي المهول الآن ما ينفخ تحت الرماد المنطوي فيشعل نار الغطرسة من جديد . . وعاد العم « جون بول » يطل من جديد من داخل كل إنجليزي ، كل إنجليزي غير مثقف على الأقل . . إلى جانب نظرتهم إلينا أصلاً نحن المصريين كشعب إستعمروه طويلاً وأذلوا أعزة سادته وداسوا رقابهم وكرامتهم بالأقدام وكانوا يشنقون رجاله كاللدجاج في دنشواي وغير دنشواي ، فاستكثروا أن يشعر شبابه الآن بالعزة والكرامة ، لذافهم يحاولون يشتي الطرق أن يدوسوا هذه الكرامة كلما أتبع لهم ذلك بمصرى سيء الحظ يقع تحت أيديهم . . ومن هنا تبدأ أغنية « أيدل » في لندن كل صيف . . ومن هنا يلاقى الطلبة المصريون والطالبات المصريات اللاتي يعملن في لندن في الصيف ألواناً من الذل الإنجليزي لا يلاقيها غيرهم من الجنسيات الأخرى !

« أمين »

« القصاص »

.. طالب تجارة القاهرة الذى يعمل جرسونا فى كافيتيريا الفندق ، يبدو وكأنه ولد ليكون جرسونا بالرغم من أن هذه هى أول مرة يخرج فيها من مصر ليعمل فى الصيف ، فهو يبدو لفرط حيويته ونشاطه وسرعته فى العمل . وكأن هذه الكافيتيريا ملكه شخصيا : وكان « شايها على أكتافه » . كما يقولون ...

كنت الليلة فى أجازة وسهران أكتب فى البيت ، حين جاء « أمين » فى ساعة متأخرة يدق جرس الباب ، وكان المفروض أن يكون فى عمله فى ذلك الوقت ، لكنه جاء ليحمل إلى « خبراً مشيراً » : رفقته !! .. إصطدم « بيجى » مديرة واردة الليل فى الكافيتيريا . بعد أن رأى الغدر فى عينيها وشعر أنها « بتلكك » لكى تجد حجة ترفده بها .. وتحرشت به وأهانته بشكل جارح أمام رواد الكافيتيريا ، فلعن أبو خاشها علناً وشتمها وهزأها وترك هو العمل وأخذ حسابه ومشى .. وكانت وجهة نظره أنه « إتغدى بها قبل ما تتعشى به » لأنه شعر أنه مرفود مرفود ، فقرر أن يخرج بـ « بكرامته » ويترك هو العمل قبل أن يرفدوه !!

أيدت « أمين » فى وجهة نظره ، على الأقل لكى يفهم هؤلاء الناس أننا ، كمصريين ، عندنا كرامة ، وأنا لا تقبل الذل ولا الإهانة من أحد ، ولو كان فيها قطع عيشنا ..

وفى الليلة التالية مباشرة لحق « شحاتة عبد الستار » طالب زراعة القاهرة الذى يعمل غسالا للصحن فى الكافيتيريا ، لحق بزميله « أمين » : رفقته « دورا » الحسنة مساعدة المديرة ، لمجرد أن تقدم إليها شاب هندى يطلب عملاً ، فيطردون مصرياً ليحلوا أى جنسية أخرى محله ! .. بعد ذلك « بيلتين طار » « سمير » الجرسون المصرى أيضاً . رفقته لكى

تحل محله فتاتان أيرلنديتان .. ثم جاء الدور بعد ذلك على البنات المصريات ،
 فقررت « بيجي » الإستغناء عن اثنتين منهن : « ييسة » و « سناء » .
 والإكتفاء بواحدة فقط هي « سوسن » !! .. « ييسة » لم تنتظر حتى
 تنتهي الليلة فخلعت « مريلتها » وانصرفت على الفور . أما « سناء »
 فقد أمهلتها المديرية أسبوعاً واحداً تبحث لنفسها خلاله عن عمل في مكان
 آخر .. لكنها بعد هذا الأسبوع تركتها تبقى في العمل حين وجدت أن
 « سوسن » أيضاً سوف تترك العمل متضامنة مع توأمتها « سناء » : وكانت
 المديرية مدلحة في حب « سوسن » لأدبها ورقتها ووداعتها ، ولم تشأ أن
 تفقدها ، فاستبقت « سناء » من أجل خاطر عسليه عيون « سوسن » !!

في فندق « سان جيمس » القريب من قصر الملكة في باكنجهام .
 في الأسبوع الماضي حصلت الفتاة المصرية « حياة السيد عمر » على جائزة
 أحسن « تشامبر ميد » في الفندق كله . متفوقة على جميع البنات المصريات
 والأجنيات في هذا الأسبوع أصدرت مسر « مور »
 رئيسة الـ « تشامبر ميدز » قراراً بفصل كل البنات المصريات اللاتي يعملن
 في الفندق وعلى رأسهن « حياة » نفسها ، ومعها « حورية سعيد رضوان »
 و « نفيسة قاسم الدجوى » و « روحية عبد الرحيم » و « نجيبة » . لأن
 واحدة منهن – واحدة فقط – أخطأت خطأ صغيراً كان يمكن أن تكون
 عقوبته « لفت نظر » لها هي وحدها طبعاً .. لكن عملية التنكيل والإذلال
 جاءت لتشمل « المصريات » جميعهن !!

« روحية » لم تحتمل أعصابها قرار الفصل فانهارت تماماً وبكت في
 الشارع وهي تشعر بالضيق ولا تعرف حتى أين تذهب لتبيت ليلتها ..
 مسكينة « روحية » ، تلقت صدمتين في أسبوع واحد : « روحية » تعمل
 في فترة المساء عملاً إضافياً في فندق بريطانيا . . أحد نزلاء الفندق ضاع
 من غرفته ٤٠٠ جنيه إسترليني .. دون كل البنات اللاتي يعملن في
 الفندق « رشحت » إدارته « روحية » لتلقى عليها التهمة .. وجاء رجال

(سكوتلنديارد) الرهيبة ليقبضوا على « روحية » الصغيرة ويفتشوها
تفتيشا ذاتيا ويأخذوا بصماتها ويحققوا معها ويسألوها مئات الأسئلة —
وهي أصلا لا تجيد الإنجليزية — كأنها أرسين لوبين قد وقع في قبضتهم ..
ولم ينقذ المسكينة « روسية » من بين أيديهم إلا أن النزيل صاحب المبلغ
المسروق تقدم ليعلن أنه : عثر على المبلغ المفقود في حقيبته « بس هو
مكانش بحث كويس في الأول » !! ..
وأطلقت سكوتلنديارد سراح « روحية » دون كلمة اعتذار واحدة !! ..

على مائدة

الإفطار صباح اليوم في مطعم العاملين بالفندق . حضرت أنا و « سوسن »
و « سناء » حواراً غريباً جداً : الفتى المصرى « فسدان » — أقصد
« كالح » . لكن « فسدان » هو اسمه المشهور بيننا الذى أطلقته عليه
« سوسن » — .. « كالح » واقف في وسط مجموعة من البنات الجرسونات
الإنجليزيات يتكلم معهن بلغته الإنجليزية « المدهشة » .. طريقته في
الكلام أثارت ضحكهن فسألته واحدة منهن عن جنسيته فقال إنه :
« إنجلند » !! — يقصد أنه « إنجليزى » لكنه قال إن جنسيته « إنجلترا » !! —
فلما استنكرت البنات أن يكون إنجليزياً قال إنه على جنسية زوجته
(!) وإنه لا يحب أن يكون مصرياً لأن المصريين ناس وحشين !! ..
ووجدت نفسى دون أن أشعر أتدخل في الحوار الدائر وأقاطع « كالح »
وأنهره وأعنفه بغلظة — بالإنجليزية — أمام البنات الإنجليزيات حتى
يفهمن أننا نحن أيضاً نرفض مصريته لأنه عينة رديئة من المصريين ولا
يشرفنا ولا يسعدنا أن يكون مثله مصرياً .. فقال للبنات الإنجليزيات
ليدارى « كبسته » وهو يشير إلينا : « أصل دول بيعبوا مصرأوى » !! ..
وبعد انصراف البنات الجرسونات الإنجليزيات هزأته بما فيه الكفاية وهددته

بأن أبلغ أمره إلى السفارة المصرية في لندن إذا عاد مرة أخرى إلى هذه التصرفات التي لا تسيء إليه وحده وإنما تسيء إلى المصريين جميعهم ..

الفتاة

الأمريكية

الصغيرة التي جاءت مع أسرتها الليلة إلى الفندق .. منذ لحظة دخولها وهي تحوم حول وتشاكسني وتقيسني بنظراتها الجريئة .. جاءت إلى مكنتي لتأخذ مفاتيح الغرف التي سينامون فيها ، لتقول لي بدون مناسبة أنها ستنام هي وأختها الأكبر منها في غرفة واحدة ، وأن أختها نومها ثقيل وتنام بمجرد أن تضع رأسها على المخدة ولا تستيقظ حتى لو ضربوا بجوارها قبلة ذرية !! .. « طيب وأنا مالي ومال الحدوتة دي كلها ؟ » .. لم أقل لها ذلك طبعاً . قلته في داخلي ، لكنني ابتسمت لها الإبتسامة الرسمية التي تفيد أن القصة التي تحكيها ظريفة جداً .. وذهبت الفتاة الصغيرة إلى غرفتها ثم عادت مع أمها وأبيها وأختها ليتناولوا العشاء في الكافيتيريا ، لكنها جاءت إلى مرة أخرى تسألني : « هل من الممكن أن تأخذ عشاءها معها إلى غرفتها لتعشى هناك ؟ » قلت لها : « ليه لأ ؟ .. إتفضلتي » فقالت : « طيب ممكن تيجي معايا علشان تأخذ الصينية تاني ؟ » قلت لها : « لا داعي للإستعجال في إعادتها الليلة ، خليها للصبح » فقالت وهي تثبت عينيها في عيني وفيهما دعوة واضحة صريحة لا تحتاج إلى ترجمة : « معلى ، أصلى ما أحبش أنام في الحجرة وفيها بواقي أكل » لكن عيناها تقولان : « صينية إيه يا غبي .. ماتفهموها بأه » .. قلت وقد بدأت أفهم ما تريده : « سأرسل معك واحدة من الجرسونات البنات لتأخذ الصينية » فقالت في غضب : « لا داعي .. سأتعشى في الكافيتيريا » !! .. ودخلت لتعشى مع أسرتها وتعود إلى مرة أخرى بعد أقل من ١٠ دقائق وهي تقول في جذل : « كويس .. يبدو أنهم يريدون أن يقضوا السهرة في الكافيتيريا .. هل

من الممكن أن تحضر معي الآن إلى غرفتي لكي تأخذ المفتاح بعد أن أفتح .
 لأنني غالباً سأنام قبل عودتهم ولا أريد أن أستيقظ لأفتح الباب لأختي .
 لأنني لو استيقظت فلن أستطيع النوم مرة أخرى « !! .. وبعدين بأه في
 الحساء وشيقة القد طريقة القوام دي ! ! - قلت في نفسي - خلاص
 بأه يا واد المسألة ما بقتشي تستاهل عصاجة أكثر من كده ، والمنفروض
 أني هنا في « خدمة » التزيلات والنزلاء . . وتوكلت على الله وذهبت
 معها إلى غرفتها .. وفي الطريق قفز على لساني - اللى يستاهل قطعه -
 سؤال سخيف لم يكن له لازمة أبداً : سألتها عن عمرها فقالت :
 « ١٤ سنة » !! .. فقطعت على الفور مشروع دعم العلاقات الإجتماعية
 بين مصر وأمريكا . وتركتها في منتصف الطريق واستدرت عائداً إلى
 مكنتي وأنا أقول لها : « نامي إنتي واطمئي .. وسأفتح لأختك حين تأتي
 بالمفتاح الإحتياطي الذي عندي » !! ..

في

الثانية

صباحاً دخلت إلى الفندق حسناء ثلاثينية فائخة طويلة ذات جمال
 مهيب محترم جداً، كأنها أميرة رائعة الجمال من أميرات الأسر الملكية العريقة
 في أوروبا ، ترتدي « تاير » حشمة بأكام طويلة وعلى الركبة ، يعنى
 لا « ميني » ولا « ميكرو » .. كان أمام مكنتي لحظتها نزيل سكران
 يحكى لي قصة طويلة لا أفهم منها شيئاً .. قالت الحساء له بكبرياء :
 « عن إذنك » ثم قالت لي : « أنت الپورتر المسئول الليلة ؟ » قلت : « نعم
 ياسيلتى .. تحت أمرك » قالت : « تسمح لحظة على جنب ؟ » ..
 إندهشت صحيح لكنني تصورت أنها تريد أن تبعد عن أحنينا السكران ..
 فذهبت معها عدة خطوات على مقربة من مكنتي ، لتسألني : « من
 فضلك ممكن تقول لي الغرفة رقم ١١٨ مين لأنني مش عارفة الطريق إليها ؟ »

قلت بسداجة : « هل أخذت المفتاح ؟ » قالت : « لا .. مش مهم .. لأن فيه حد موجود في الغرفة » .. فبدأت أشرح لها الطريق إلى الغرفة رقم ١١٨ . لكنها قاطعتني : « ممكن تيجي معايا تورينها لي ؟ » قلت : « طبعاً .. تحت أمرك » .. وذهبت معها لأوصلها إلى الغرفة .. قلت في نفسي : « مش غريب أن الست تنسى مكان غرفتها في الفندق اللي عامل زي بيت جحاده .. أو على الأقل لأنها لكي تذهب إلى الجناح « A » الذي فيه الغرفة رقم ١١٨ لابد أن تعبر منطقة واسعة مكشوفة مظلمة لانتظار السيارات . ويمكن خايضة من الظلام » .. وفي الطريق بدأت الحساء

الفاخرة ذات الجمال المهيب المحترم كأنها إحدى أميرات الأسر المالكة في أوروبا . التي ترتدي « تايراً » بكم طويل وعلى الركبة . يعنى لا « ميني » ولا « ميكرو » . بدأت تتكلم : « أنت جديد هنا . مش كده ؟ .. سوف أعطيك رقم تليفوني في البيت لكي تتصل بي في الوقت الذي تريدني فيه فأحضر إليك على الفور » !! .. قلت في نفسي وأنا أبتسم في سعادة في الظلام : « الله وأنا طول عمري باقول إني شبه عمر الشريف . الظاهر إن الست وقعت في غرامى من أول نظرة لدرجة أنها تعرض على أن تعطيني رقم تليفونها في البيت لكي أطلبها وقت ما أنا عايز فتيجي لي لغاية عندي .. ده أنا ما كنتش عارف أني ظريف وجذاب وساحر النساء زي أحمد مظهر . وأتاريني كنت مدفون في مصر وما حدثش حاسس بي » !! .. الحساء الفاخرة تستطرد : « إسمي شيرلى .. إسم مضحك ، مش كده ؟ ونمرة تليفوني آهه » ومدت يدها الأرسقراطية البضة الناعمة في جيب قميصي لتأخذ منه ورقة وقلمًا لتكتب لي إسمها ورقم تليفونها وهي تستطرد : « وفي كل مرة ستطلبني فيها سوف أعطيك خمسة جنيهات » !! .. غبي جدًا أنا .. أصبحت مش فاهم حاجة أبدًا .. قلت في نفسي : « وكمان حاتديني فلوس كل ما « نتقابل » ؟ ! طيب ليه ؟ ماهو كفاية أوى وكتر خيرها أنها حاتتعب نفسها وتيجي لي لغاية عندي هنا علشان تاخذني » !! ..

وأخرجتنى الحسناء من غباوتى الشديدة وهى تستطرد، وكنا قد اقتربنا من باب
الغرفة رقم ١١٨ : « إنت عارف إني أنا (بزنس جيرل Business-Girl) ..
فى المرة الواحدة بآخد ٣٠ جنيه . بيبكون نصيبك أنت منهم خمسة جنيه ،
لكن المرة دى الخمسة جنيه مش لك إنت . إنما لمستر . . . » -
پورتر النهار - الى طلبنى العصر فى التليفون وقال لى أن النزىل الى فى
الغرفة رقم ١١٨ عايز فتاة تقضى معاه الليلة « !! ..

آه يابنت ال ومخليانى أوصالك بنفسى كمان لغاية الغرفة
رقم ١١٨ ؟ ! وبليدى ؟ ! على آخر الزمن حاشة غل

وقبل أن أفتح فى بكلمة واحدة كان باب الغرفة رقم ١١٨ قد انفتح .
واختفت وراءه الحسناء الطويلة الفاخرة . الوقور . المحتشمة . التى ترقدى
« تايراً » بكم طويل وعلى الركبة . يعنى لا « ميني » ولا « ميكرو »
.. إلخ إلخ إلخ !!!

□ فقط : إمتلك عنواناً . ! □

ثلاثة

شهور

الآن مضت على في لندن .. حالة من الكآبة والملل والزهو تعتريني :
أريد أن أرجع إلى مصر .. أريد أن أرى بيتي وأرى ابنتي وقرايبي وأصدقائي ..
عايز أرجع أتمتع بدفء بيتي ودفء علاقاتي ودفء تليفوني الذي لم يكن
يكف عن الرنين .. أريد أن أرجع إلى مكتبي في المجلة وأرجع لحياتي
الروتينية التي اعتدتها .. أريد أن أرى « مديحة نجيب » مرتين ثلاثة كل
أسبوع وأحضر مونتاچ برنامج « ألوان » كل يوم أربعاء وأشاكس « سامية »
المهندسة وأداعب « إيفون » سكرتيرة « مديحة » وألاغي « فائزة » و « سامية »
و « عايدة » و « نفيسة » موظفات الحسابات في المجلة ، وأحتد على « شوقي
البيومي » و « سيف » وأناقش « محمد الغريب » في احتمالات سداد
الخمسة جنيـد الـى مستلفهم منى من سنة ١٩٧١ .. شبت من الساعة
المضبوطة الدقيقة جداً التي إسمها لندن وأريد أن أعود لساعتي القديمة الـى
ماشية على كيفها : القاهرة .. زهقت من الغرفة الواحدة المفروشة الـى
بالإيجار ، وزهقت من المشوار القصير رايح جاى بين محطة الأوتوبيس
وبين البيت الذى أسكن فيه في « كراتفورد » .. زهقت من الوحدة وانعدام
الأصدقاء .. زهقت من « الآلية » التي أعيش فيها كالسمكة الملونة
المحبوسة في إناء زجاجي فاخر في غرفة صالون رائعة ، لكنها مهما كانت :
محبوسة ، ومهما كانت : وحيدة ، ومهما كانت : بعيدة عن الجوالذى
اعتادته وأحبته .. بعيدة عن باقى السمكات !! ..

اليوم مطير

جداً وشديد الرذالة .. المطر يرخ بشدة بلا انقطاع طول النهار وطول الليل . . وبرغم البدلة الكاملة والشراب الصوف والبولوفر والبالطو الووتر يروف المبطن ذى القلنسوة التى تغطي الرأس كله فتجعلنى أشبه بإسكيمو هارب من القطب الشمالى . إلا أن البرد والصقيع والثاج يتخلل جسمى كله ويشعل ظهرى وساقى وعمودى الفقرى ألماً ، ويجعلنى أشعر كأننى مضروب ٣٠ علقه بكرباج مثليج .. فى الوقت الذى أرى فيه الإنجليز هنا وهم خارجين بالقمصان النصف كم والبلوزات الخفيفة أو « جوبات » القصيرة جداً .. مجرد الشمسية مفتوحة فى أيديهم لكى - فقط - يحتموا بها من المطر وحده !! .. حين أراهم هكذا أسقع أنا وأبرد زيادة .. أسقع بالنيابة عنهم .. حتى استويت من البرد .. إشتقت إلى شمس مصر ويدفء مصر يا عالم .. ولا يعرف قيمة مصر وجو مصر إلا الذى يعد عن مصر فترة طويلة ويجرب الحياة الحقيقية فى الخارج ! .

لكن الشيء

المدهش حقيقة هو أن السماء قد تظل تمطر ٢٤ ساعة فى اليوم هنا ومع ذلك لا تجد طيناً ولا زلقاً ولا زحلقه .. تجد أرض الشارع تلمع كأنها - فقط - مغسولة .. وذلك لأن البلاعات - السالكة - هنا تصرف مياه المطر أولاً بأول وبسرعة وانتظام شديدين .. يعنى كأن المطر ينزل من السماء لكى ، فقط ، يغرق سعادتك ويبهلك وبعدين على البلاعات دوغرى .. وتندهش : المطر ده كله بيروح فين ؟ .. « سوسن » -

الذكية - قالت لى فى استغراب بعد أن لاحظت هذه الظاهرة : « الظاهر إن لندن مخرومة » !! ..

تذكرت

وأنا

أجريت تحت المطر فى شوارع ضاحية « كرانفورد » الهادئة . من محطة الأوتوبيس حتى بيتى فى الساعة الثانية صباحاً .. تذكرت قصة حدثت لى منذ عدة سنوات فى ضاحية المعادى القريبة من القاهرة : كنت أسهر عند بعض الأصدقاء فى ثكنات المعادى . وبينها وبين المعادى نحو ٤ كيلومترات .. وحين قاربت الساعة الثانية صباحاً تذكرت أن آخر قطار يقف على محطة ثكنات المعادى لم يبق على مواعده إلا دقائق . فترلت مسرعاً . وأنا فى الطريق إلى المحطة سمعت صوت القطار مقبلاً . فبدأت أجري محاولاً أن أصل إلى المحطة قبله . وكنت وقتها من أبطال مصر فى الجرى لمسافة ١٠ آلاف متر .. وهنا خرجت على كلاب المعادى السهرانة المطلقة السراح فى شوارع الضاحية الهادئة تحرس القبيلات أو يطلقها أصحابها خارج البيوت فى الليل حتى لا تزعجهم داخلها . أو حتى تعطىها الفرصة للتكاثر والله أعلم .. وأنا أخوف ما أخافه فى الدنيا شيئاً أكون أمامهما شديد الجبن : البحر ، والكلاب .. فلما رأيت الكلاب فى أعقابى تكاد تنهش كعبيّ أطلقت لساقى العنان كأنى أجري فى أصعب بطولة خضتها فى حياتى .. وطبعاً نسيت القطار ونسيت المحطة ونسيت كل شيء إلا أن أهرب من الكلاب وأنجو بجلدى من الوليمة التى تتمناها كلاب آخر الليل السهرانة .. وانطلقت لا ألوى على شيء أجري فى شارع رقم ٩ الموصل بين ثكنات المعادى والمعادى نفسها .. وظللت أجري دون أن أشعر بشيء إلا أنفاس الكلاب الساخنة تلفح ساقى .. ولم أتوقف إلا حين وصلت إلى محطة المعادى نفسها وكان القطار قد دخلها

قبلى بثوان . فقفزت إليه والكلاب تتواثب ورائى لكن ارتفاع القطار لا يسعفها .. والحمد لله أنه لم يكن تراماً ولا أوتوبيس . كان زمانى مت شهيد الكلاب !! ..

تذكرت

هذه

الصورة كلها وأنا أجرى فى الثانية صباحاً تحت المطر المنهمر كالسيل فى شوارع ضاحية « كرانفورد » الحادثة التى تشبه إلى حد كبير الجزء النظيف جداً من ضاحية المعادى .. وتذكرت أيضاً – وأنا أجرى – أننى لم أر هنا كلباً واحداً يمرح طليقاً فى الشوارع لا بالليل ولا بالنهار منذ سكنت هذه الضاحية .. كل كلب وفى يده صاحبه – آسف ، أقصد « فى يد صاحبه » – أو متيداً بسلسلة أو بطوق جلدى .. مغيش كاب يرمح فى الشوارع يعضعض فى الناس أو يتسلى بمطاردة الناس أو يقطع الطريق على الناس .. الكلاب هنا مهذبة جداً كأصحابها .. تدوس على قدم الكاب فيكاد ينطق ليقول لك : « Sorry متأسف » . ويقابلك الكاب من دول قادما فى طريقك فيفسح لك الطريق وتشعر أنه يكاد يتسم لك فى أدب جم .. وأتصور أنك لو نظرت فى عيني كلب هنا لكاد من فرط حيائه أن يغض الطرف وتكاد تلمح حمرة الخجل على « وجنتيه » .. وترى الكلب الإنجليزى مفحل وزى العجل ومع ذلك تجده مؤدبا ومتربيا ويكاد يذوب رقة . حتى ليجعلك تتصور أنه يخشى أن تنبح عليه أنت !! ..

« فى » ..

صديقة

مصرية كانت قادمة إلى لندن فى أجازة ، فاتصلت بيّنى فى القاهرة لتسأل ما إذا كانوا يريدون أن يرسلوا لى شيئاً معها إلى لندن .. لم يجد

أهل بيتي العامر ما يرسلونه لى معها غير : مجموعة الشهر الأخير من الصحف المصرية + الأعداد التى صدرت من مجلة « الإذاعة والتليفزيون » بعد سفرى من القاهرة !! .. كثر خيرهم وشكر الله سعيهم .. فالحقيقة أن هذه هى أجمل هدية يمكن أن ترسل إلى مصرى فى أوروبا : أن يرى صحف بلده ويقرأ أخبار بلده مطبوعة باللغة العربية فى صحف بلده .. فتجعله يشعر وكأنه موجود هناك الآن فعلا ، فى بلده ..

أما « منى » نفسها فقد جاءت محملة بما لذ وطاب من رفاق وحمام محشى بالفريك وبسطرمة ومانجوولب وسودانى ، وكان ناقص تجيب معاها صاندوتشات حواوشى وفول وطعمية من عند التابعى .. وكأنه « واجب قومى » علينا : فقد تكاثفت البنات : « سوسن » و « سناء » و « بيبة » و « سهير » — يداً واحدة — على التشطيب على ذلك كله فى ليلة واحدة .. متأسف : أقصد فى قعدة واحدة .. ولم يقمن من « فوق » هذه الوليمة المصرية إلا بعد أن أصبحت أطلالا .. لكن « ذكرها » ظلت عالقة بقمنا شهراً كاملاً بعد ذلك !! ..

من

بين

المجلات التى جاءت بها « منى » معها عدد من مجلة « صباح الخير » بتاريخ ٣ أغسطس .. العدد كله عن الحر الحر الحر ، ونحن هنا فى لندن فى ذلك التاريخ كنا بنشمشم على ٥ دقائق يتوقف فيها المطر ومش طايلين .. يا عالم يا بطرائين ، تعطوناش شوية حر من عندكم وتأخذوا بداهم برد ومطر من العرض المستمر هنا فى لندن ، ولو طلعت الشمس ٥ دقائق يخلع الناس ملابسهم ويجرون إلى الحدائق ينامون فيها بالمايوهات البيكىنى — آل يعنى بيتشمسوا — واحنا المصريين نظل لابسين البلاطى لأن البرد — برغم الشمس — يلسوع عظامنا من تحت الهدوم ! ..

السبب

الرئيسى

الذى يجعل عدداً كبيراً من الطلبة المصريين الذين يخضرون إلى لندن للعمل في الصيف يضحون بمستقبلهم الدراسى ويصرفون النظر عن العودة إلى القاهرة ، هو : الفلوس . . المرتبات . . الأجور الإنجليزى . . الشاب المصرى وهو فى وسط أسرته فى مصر يأخذ مصروفاً - بالكثير - ١٠ قروش فى اليوم لا تكفى قطعاً لمواصلاته واحتياجاته وسجائره ، لزوم الشباب وإثبات الرجولة ! .. أتصور أن هذه هى أقصى ما تستطيعه إمكانيات الأب المصرى المتوسط ..

لكن الشاب المصرى يأتى إلى هنا لتسلي وتجرى بين يديه العملة الصعبة كل أسبوع مبلغاً مهولاً - بالنسبة إليه كطالب وبالنسبة لحياته السابقة فى القاهرة - فيحسبها فى ذهنه وبالورقة والقلم : كم سأتقاضى مرتباً فى مصر بعد الحصول على الليسانس أو البكالوريوس ؟ ١٧ جنيهاً - مصرياً - وبضعة قروش ؟ .. كيف أعيش بهذا المبلغ فى مصر بعد أن اعتدّدت شكل الحياة هنا بمرتبى الحالى ودخل الحالى ومستواى الحالى ، ودون أن يكون معى ليسانس ولا بكالوريوس ؟ .. ويؤجل العودة إلى مصر سنة ، وسنة تجر سنة ، ويبقى الشاب المصرى فى لندن على طول ، ليظل طول عمره يخدم فى المطابخ والمطاعم والرسطورانات والبارات فى لندن ، ويضيع مستقبله الدراسى فى القاهرة ..

مثلاً : إذا حسبنا مجموع مرتبى الشهرى هنا فى لندن + البقاشيش = مرتبى الأسبوعى ١٩ جنيهاً «إسترلينيا طبعاً» × ٤ أسابيع ونصف = ٨٥,٥ جنيهاً + البقاشيش بمتوسط جنيهين فى اليوم × ٣٠ يوماً = ٦٠ جنيهاً + حصيلة البقاشيش المتجمعة فى الصندوق بمتوسط ٦ جنيهاً كل أسبوع × ٤ أسابيع ونصف = ٢٧ جنيهاً .. إذن المجموع الكلى يصل إلى

نحو ١٧٢ جنيهًا إسترلينيًا \times ١٧٠ قرشًا مصريًا = نحو ٢٩٠ جنيهًا مصريًا
 في الشهر الواحد. لم أصل إليهم حتى الآن بعد ١٦ سنة صحافة ..
 صحيح فاضل حاجة بسيطة أوى وأوصل لهم : نحو ٢٠٠ جنيه بس !! ..
 يا نقابة الصحفيين في القاهرة : وداعا للسلاح !! ..

ولـ

فكرت

يوماً في أن أستقر في لندن حقيقة فإن كل ما سوف أحتاج إليه هو :
 بيت أسكن فيه ولا يكون مفروشا .. مجرد شقة فاضية . وبعد ذلك فكل
 شيء سهل إلى أقصى حد .. يكفي أن يكون لك « عنوان » لكن تستطيع
 أن تشتري لندن كلها بالتقسيط المريح وتفرش بيتك كأنه قصر الملكة في
 باكنجهام بأرخص أسعار تخيلها . وفي خلال أسبوع واحد تجد نفسك
 تعيش في بيت كبيوت نجوم السينما إذا كنت تستطيع أن تدفع الأقساط
 الأسبوعية التي تبدأ من ١٠ بنسات إذا اشتريت ساعة حائط – مثلاً –
 إلى جنيه واحد على الأكثر إذا اشتريت غرفة صالون أو نوم فاخرة ..
 نظام التقسيط هنا مهول جداً : تستطيع أن تشتري مبنى مجلس اللوردات
 بالتقسيط إذا شئت .. وبأقساط صعبة التصديق : غرفة مكتب رائعة
 خطيرة ، طقم جلد ومكتب يصلح لرئيس وزراء ومكتبة فاخرة : كل
 ذلك قسطه الأسبوعي ٩٥ بنسا . يعني أقل من جنيه واحد .. قليلاً
 فاخرة من دورين تسليم المفتاح . يعني ما عليك إلا أن تحضر عفشك
 وتشرف : قسطها الأسبوعي خمسة جنيهات ، يعني أقل من الإيجار الأسبوعي
 الذي أدفعه لغرفتي الواحدة .. التليفزيون الملون تستطيع أن « تستأجره »
 بجنيه واحد في الأسبوع ، ولو ظلمت تستأجره مدة معينة متصلة فإن حصيلة
 المبلغ الذي دفعته كـ « إيجار » يحتسب لك كجزء من الثمن إذا أردت في أي وقت
 أن تشتريه !! .. كل شيء يتخيله عقلك هنا بالتقسيط المريح إلى أقصى

حدود الراحة .. فقط إملأ السيارة وروّحْ بيتك فتجد الأشياء التي طلبتها وقد سبقتك .. وحتى ذلك أيضاً ممكن أن يوفره عليك : في إعلانات الصحف هنا : « إطلب ما تريد وأرسل لنا الثمن ونحن نرسل إليك طلبك بالبريد » ، ابتداء من دسته كوربايات إلى السيارة الآخر موديل .. كل شيء ممكن أن تشتريه بالبوسنة .. ترسل الثمن — أو حتى جزءاً من الثمن — وبعد أيام قليلة يصل إليك طلبك بالبريد ، مهما كان حجمه ووزنه .. ويزكرون في الإعلان تكاليف البريد والتغليف التي تتحملها أنت ، وهي على أي حال ضئيلة جداً إذا قيسَت بأنك ستوفر الوقت والنفقات في مشوار الذهاب إلى المحل والعودة منه .. وهناك محلات كبرى تقول في إعلاناتها إن تكاليف التغليف والبريد تتحملها هي . كنوع من المناغسة والإغراء الأكثر والتسهيل الأكثر .. ليس ذلك فقط ، بل أن هناك محلات — كثيرة جداً — تقول لك في إعلاناتها : « لا ترسل ثمن البضاعة الآن .. بعد أن تصل إليك البضاعة فعلاً وتجربها وتستعملها لمدة ٦ أسابيع . إذا أعجبتك فأرسل لنا الثمن وكتر خيرك ، أما إذا لم تعجبك فأعد إلينا البضاعة — بالبريد — أيضاً — على نفقة المحل ، وكتر خيرك برضه ، ولن نسألك عن السبب الذي أعدتها من أجله » !! ..

والإعلانات

عن

البيع والشراء تطالعك في كل مكان تذهب إليه ، بشكل ظريف جداً وأنيق جداً ومغري جداً ، في الشوارع وفي محطات المترو وال«أندرجراوند» وفي الصحف .. ابتداء من أقلام الحبر الجاف المحفور عليها اسم سعادتك ، إلى جاراچ السيارة واليخت والكارافان و... حمامات السباحة ! ! ..

فقط إمتلك بيتاً ، أو امتلك شقة ، وتستطيع بعد ذلك أن تفرشه وتوثقه برخص التراب .. أسعار السجاد والأثاث التي يعلن عنها كل يوم في

الصحف مذهلة .. رخيصة بشكل غير معقول .. بخمسة جنيهات فقط تستطيع أن تفرش غرفة كبيرة ٤ أمتار $3.5 \times$ بسجادة من الحائط للحائط .. البطانية الصوف الإنجائزي الرائعة بخمسة وربع .. ملاعنان للسرير ٩٩ بنسا .. غرفة نوم رائعة ١٠٩ جنيهات .. سرير تنام عليه تستخسر تقوم ، ١٤ جنيهها .. مكتبة مهولة تشغل جداراً بأكمله وفيها بار ومكان للتلفزيون وآخر للراديو وثالث للريكوردر وباقي الأجهزة الأخرى ، ٢٤ جنيهها .. فقط كل ما عليك هو أن تجد شقة فاضية غير مؤثثة لتسكن فيها ..

اللافتات التي تحمل كلمة « البيع » منتشرة جداً هنا على بيوت كثيرة معروضة للبيع .. الناس هنا غالباً يمتلكون البيوت ولا يستأجرونها .. شقق العمارات فقط هي التي تؤجر ، وغالباً تكون مفروشة .. ومع ذلك فإن صحف يوم الأحد تصدر وبكل صحيفة منها ٦ صفحات كاملة عن الشقق والبيوت المفروشة والحالية المعروضة للإيجار .. بعض البيوت تنشر صورة واجهتها من الخارج .. وفي الإعلان كل التفاصيل الممكنة : عدد غرف النوم والطعام والجلوس .. المياه الساخنة والباردة .. التكييف والتدفئة .. قرب البيت أو بعده عن المواصلات .. حديقة .. جراج .. مؤثث أو غير مؤثث .. به تليفون وتلفزيون وراديو أم لا .. شكل الأثاث الذي فيه .. قيمة الإيجار المطلوب .. وما عليك إلا أن تختار البيت أو الشقة أو الغرفة التي تتوافر فيها المواصفات التي تريدها وترفع سماعة التليفون وتحجزها ، وتذهب لتسكن ..

وقد كنت أتوقع أن تكون أزمة المساكن هنا في لندن خانقة ، لكن اتضح أن الأزمة أزمة جهل : جهلنا نحن بكيفية العثور على مسكن على الطريقة الإنجليزية ! .

وصلى

اليوم

بالبريد على عنوان البيت كتاب كنت قد طلبته - بالبريد أيضاً - ..
الكتاب اسمه « جون مايرز John Mayers » فى ١١١٤ صفحة غير
الملاحق ، مطبوع - كله - على ورق كوشيه فاخرو - كله - بالألوان
المهولة الرائعة الطباعة و : يرسل لمن يطلبه .. مجاناً !

والحواجة « جون مايرز » هذا ليس هو الذى اكتشف الجزر البريطانية
وليس هو الذى حررها من الإستعمار ، إنما « جون مايرز » هذا الذى
يصدر عنه هذا الكتاب ذو الألف صفحة وشوية ليس إلا واحداً من
محلات إنجلترا الشهيرة التى تباع كل شىء . . . وهو حتى ليس محلاً بالمعنى
المفهوم ، إنما هو مجرد « مخازن » تباع لك كل شىء : بالبريد فقط .. يعنى
غير مطلوب منك أن تذهب إلى هذا المحل . إنما فقط - بعد أن تقلب
صفحات هذا « الكتالوج » الممول - « تكتب إليه » بيانا بالأصناف التى
تريدها لتكون عندك بعد أسبوع واحد بالضبط .. وهذا الكتاب الممول ذو
الألف ومائة صفحة يضم كل شىء يباع فى مخازن الحواجة « جون مايرز »
إبتداءً من إبر الحياطة وبنس الشعر والبونبون ولعب الأطفال ، إلى السيارات
واللنشات واليخوت - وناقص كمان يبيعوا دبابات وطائرات وغواصات -
بالصور الملونة وبيان الأسعار والمقاسات والأحجام والألوان وكيفية التقسيط :
ب ٦ بنس كل أسبوع تستطيع أن تشتري

ويبدو

أن

الإنجليز قد استغنوا تماماً الآن عن استعمال الزيت فى دهان الحوائط
والبخدران .. أغلب البيوت والفنادق والمحلات والمطاعم والكافيتيريات التى

دخلتها يلصقون على جدرانها الورق المنقوش الملون بكل الألوان والنقوش التي تخطر والتي لا تخطر على البال.. ويكون شكلها أجمل وأحسن وأرق وأنظف من الدهان بالزيت ألف مرة : لا يقشر ولا يقع ولا يتخدش ولا يبتقع ولا حاجة أبداً . وسهل جداً في التركيب .. يعنى شقة بأكلها أو محل كبير يتم لصق الورق على جدرانه في عدة ساعات قليلة وبأسعار رخيصة جداً لا تتجاوز ثلاثة جنيهات للغرفة الواحدة .. الظريف جداً في الموضوع أيضاً أنك إذا اشتريت عدداً من « رولات » أولفات ورق اللصق هذا ، ثم لم تستعملها كلها وتبقت منها عدة لفات مقفولة لم تقض ، فإنك تستطيع أن تردّها للمحل الذي اشتريتها منه وتسترد ثمنها فوراً ! ! .. ناس سهلين جداً وبسطاء جداً في تعاملهم دون عقد ولا فيونكات ولا كلاكيع ..

كما

أنك

لست محتاجا إلى أن تزحم منزلك بأدوات وأشياء وأجهزة لن تستخدمها كثيراً ولن تحتاج إليها كثيراً . لم أريتنا واحداً فيه « غسالة بالكهرباء » — الموضوعة البورجوازية المنتشرة في بيوتنا في مصر الآن — .. لكن هنا في كل شارع كبير أو في كل ضاحية صغيرة محل أو أكثر « ماكينات الغسيل » .. محل كبير ليس فيه أى عمال إنما فيه مجموعة ماكينات غسيل متجاورة .. تفتح غطاء الماكينة لتضع غسيلك بداخلها وفوقه كمية من الصابون المبشور ، وتضع ١٥ بنسا في ثقب خاص ثم تضغط على زر صغير فتدور الماكينة لتقوم بغسل الغسيل بمعرفتها ، بينما تجلس سعادتك على كرسي في انتظار أن يتم الغسيل .. وحين تنتهى الماكينة من عملها تتوقف وحدها لتأخذ منها غسيلك المغسول المبلول لتقله إلى ماكينه أخرى في نفس المحل لتقوم هى الأخرى بتجفيفه : تضع في ثقبها قطعة من ذات البنسين

وتضغط على الزر فتعمل الماكينة وتقوم بتجفيف غسيلك بواسطة الهواء الساخن .. وبعد حوالي نصف ساعة تخرج من المحل وغسيلك نظيفاً ومجففاً ، وما عليك بعد ذلك إلا أن تكويه بنفسك في البيت ، لأنه ليس في لندن كلها محلات مكوجية ..

حتى الأكل

أنت لست محتاجاً إلى أن تطبخه في البيت . ففي أغلب المحلات الكبيرة التي تباع كل شيء تجد ركناً مخصصاً للأكل الطازج الذي تستطيع أن تأخذه معك إلى البيت لتقوم — فقط — بتسخينه قبل أكله : قطعة السمك المقلية المثلجة بـ ٢ بنس أو ٣ بنس .. قطعة كبيرة ممكن أن تأكلها في المحل مثلجة وأنت واقف . أو تأخذها معك إلى البيت لتسخنها وتأكلها والعة ! ! ..

« الكولونيل كنتوكي » هو صاحب أشهر وأرخص سلسلة مطاعم منتشرة في أنحاء إنجلترا كلها .. مطاعم تأكل فيها على الواقف أو تأخذ الأكل منها معك إلى البيت ساخناً ما هلبا .. ومطاعم « الكولونيل كنتوكي » — الضابط الإنجليزي السابق الذي تقول الإعلانات عن محلاته أنه قضى مدة خدمته العسكرية في الهند — لا يبيع لك إلا صنفاً واحداً فقط لا غير : الفراخ المحمرة « كنتوكي فرايد تشيكن » في علبة صغيرة من الورق المقوى بـ ٣٢ بنساً بها قطعتان كبيرتان لا تقلان عن نصف فرخة محمرة بطريقة شهية جداً ، دعايتها أنها مطهورة بالطريقة البينية ، وإلى جانبها كمية من البطاطس المحمرة .. يعني وجبة كاملة مهولة بـ ٣٢ بنساً فقط .. مفيد جداً « الكولونيل كنتوكي » هذا للعزاب وللأزواج الذين طفشت منهم زوجاتهم نتيجة حسن المعاملة ! ! ..

الإنجليز

ألغوا

الحساب من تعاملهم الذهني بعد الدخول الرهيب للآلات الحاسبة في حياتهم .. فألغوا تماماً عمليات الضرب والطرح والقسمة والجمع من أذهانهم .. وابتداء من العامل أو الموظف الصغير لغاية المدير العام أصبح الجميع - ما لم تكن أمامهم آلة حاسبة - يعدون على أصابعهم إذا أرادوا حتى حساب رقم مكرر : تدخل مكتب البريد لتشتري ٥ طابع فئة ٣ بنسات .. عندنا نحسبها - في سرنا - هكذا : $3 \times 5 = 15$.. لكن هنا يشيرون على كل طابع بأصبعهم وهم يحسبون بصوت عال : ٣ ، ٦ ، ٩ ، ١٢ ، ١٥ (!!) .. تدخل للمدير لتقول له إن مرتبك ٤ جنيهات في اليوم وأنتك اشتغلت هذا الأسبوع خمسة أيام ، فيعد المدير على أصابعه : ٤ ، ٨ ، ١٢ ، ١٦ ، ٢٠ .. وهكذا !! .. حاجة غريبة جداً ، سيطرت الآلة على حياة الناس هنا تماماً !! ..

أختنا

« بيسة »

والدها رجل فاضل من رجال الدين وأستاذ في جامعة الأزهر ، لذا فهي تعتبر نفسها « أرشدنا » وولية أمرنا فيما يتعلق بأمور الدين .. ظلت « بيسة » شهرين كاملين تبحث وتدقق وتمحص وتستشير الفئاك والنجوم والكواكب والأقمار الصناعية ، وكادت أن تضرب الرمل وتوشوش الودع وتفتح المنديل حتى توصلت أخيراً إلى العثور على الـ « قبلة » في لندن - بكسرة تحت القاف طبعاً (!!) - فبدأت تصلي ..

الشغل الشاغل لـ « بيسة » منذ فترة هو شهر رمضان الذي سيأتي علينا ونحن في لندن : متى يبدأ وكيف سوف نصوم فيه وكيف نفطر وكيف

تسحر ؟ وهل نتبع مواعيد الإفطار والسحور والإمساك في القادرة — وفرق لتوقيت بيننا وبينها ساعتان — أو نصوم على مواقيت ساعة !! « بجبن » الشهيرة في لندن ، وهي ساعة مسيحية والله أعلم ؟ ! .. وكيف نحتفل بشهر رمضان ونحن لا نعرف الترجمة الإنجليزية المعتمدة ! (حالاو يا حالاو رمضان كريم يا حالاو) ... ومنين نجيب فول مدمس وطرشى بلدى بالدقة على مائدة الإفطار كل يوم ؟ ! ..

وحين توصلت « بيسة » النشيطة إلى الوصول إلى حل في هذه المسائل العويصة كان رمضان قد جاء وانتهى ، وكل سنة وهي طيبة ! ! .

أول

مرة

أنعامل مع البرود الإنجليزي الشهير كانت صباح اليوم ... غلظت غلظة صغيرة أشعرتني بالمدى الممكن أن يصل إليه فعلا البرود الإنجليزي ! نزيلة حسناء جاءت إلى مكنتي وأعطتني مفاتيح غرفتها لكي أحضر لها حقائبها لتغادر الفندق إلى المطار .. كنت مشغولا بتليفون هام خاص بالعمل ، ولما انتهيت من التليفون وضعت الساعة ونسيت تماماً موضوع حقائب النزيلة الحسناء ، وهي — بالبرود الإنجليزي الشهير الذي يظهر وقت اللزوم — لم تحاول أن تذكرني أو تكرر الطلب مني ، إنما جلست في صالون مدخل الفندق ووضعت ساقا فوق ساق وأشعلت سيجارة وتركت — ببساطة جداً — موعد طائرتها يمر ويضيع ! ! ، فلما تذكرت أنا وأسهرت أحضر لها حقائبها كان أوتوييس الفندق قد انطلق إلى المطار فعلا وتركها !! . . واكتشفت أنا إذ ذاك أن المفروض أن أطلبها تاكسي — على حسابي الشخصي — لكي يذهب بها إلى المطار ، فإذا لحقت بطائرتها كان بها ، أما إذا لم تلحق بها فتعود إلى الفندق لتبيت فيه الليلة إقامة كاملة على حساب الفندق خصما من مرتبي ، لأن الغلظة غلظتي وأنا

الذى أتحمل نتائجها !! ..
 لكن ربنا ستر ولحقت بطائرتها . فلم يخضم منى غير جنيه ونصف
 فقط : أجرة التاكسى !! .

آخر أخبار

مغامرات أخونا « كالح » جرسون الكافيتيريا الذى يريد أن يتزوج
 من إنجليزية . أى إنجليزية : استفرد اليوم بـ « سوسن » طالبة كلية
 التجارة — الطيبة الساذجة التى تصدق أى شىء يقال لها — ليسرح بها
 سرحة كبيرة جداً ولا أفلام الجاسوسية والعصابات .. قال — فض فوه —
 إنه إذا كان خالها — الى هو أنا يعنى — صحفى فإنه — الى هو « كالح » —
 هو أيضاً فى « مهمة خاصة » هنا فى لندن . وبعد أن تنتهى « مهمته » هنا
 سوف ينتقل إلى جنيف فى مهمة مماثلة .. وهولن يستطيع أن يصرح لها
 بنوع « مهمته » لأنها من النوع الـ « Top Secret » أو « السرى جداً » ،
 وعليها أن تفهمها كده لوحدها دون أن يقول هو شيئاً !! .

فرحت « سوسن » كطفلة صغيرة بهذه القصة السينائية الظريفة التى
 تدور حوادثها بين لندن وجنيف والقاهرة . وجاءت مسرعة لتحكيها لى !!
 فلما ذهبت إلى الفندق فى المساء طلبت « كالح » وقلت له أن « الرسالة »
 التى أراد إبلاغها لى قد وصلتني . لكننى لم أفهم بالضبط ما الذى يريدنى
 أن أفهمه ؟ ! .. فأذكر أنه قال ذلك بالتحديد لـ « سوسن » . إنما قال لها :
 « إفرضى يعنى إن أنا قلت كده ، ما هو كل واحد يقدر يقول على كيفه » ..
 فلما حاصرته وضيق عليه الحناق قال أخيراً : « شوف بأه : أنا حاقول
 لك على كل حاجة بصراحة ، وبعدين حاروح السفارة المصرية وأسألم
 عنك إذا كنت انت صحفى بصحيح والا لا .. فإذا كنت مش صحفى
 حاطلب منهم إنهم يحرسونى ويحمونى منك !! .. أصل فى الحقيقة .. » ..

وقبل أن يصارحنى الأخ « كالح » « الحقيقة » ، جاءت « ييجى »
مديرة الكافيتيريا فى الوقت السينمائى المناسب تماماً لتشخط فيه وتسوقه أمامها
إلى داخل الكافيتيريا ليعود إلى عمله .. ويتوقف الفيلم الجديد لـ « كالح »
عند هذا الحد ، الليلة على الأقل ! ! .

الآلات

والماكينات

الإنجليزية يبدو أنها لا تحب الهزار أولاً تحب أن يستكردها أحد . .
« سوسن » و « سناء » كانتا تتجولان اليوم فى الضاحية فشاهدتا ماكينة
المشروبات الثلجة والساخنة التى تضع فيها ٣ بنسات وتضغط على زر
فيخرج لك كوب من المشروب الذى طلبته ... لم تجد « سناء » معها
فكة غير ٢ بنس فقط فأرادت أن « تخم » الماكينة ، فوضعت الـ ٢ بنس
وضغطت على زر الشاى الساخن ، لكن يبدو أن الماكينة كانت متوعكة
المزاج الليلة وليس لديها استعداد للهزار ، فأعادت لها الـ ٢ بنس من فتحة
أخرى وشخطت فيهما باللغة العربية : « إجرى يابت انتى وهى العبوا
بعيد » !! .

الحقيقة أنه نزل لهما فى الكوب ماء ساخن فقط دون شاى ، ومن
باب « الأمانة الإلكترونية » أعادت إليهما الماكينة الـ ٢ بنس بتوعهم !! .

برغم أن

مستر

« هوبكنز » المدير المساعد للفندق — الذى عيّننى هنا — لم يلدخر
وسعاً فى نشر « السر » الذى اتفقنا على أن نحفظ به بيننا ، حتى علم كل
الناس الذين يعملون فى الفندق أننى صحفى ، وأن عملى كـ « رورتر »
فى الفندق ليس إلا مهمة صحفية من نوع خاص ؛ فإنه قد جاء الدور

على أذا أيضاً - كمصرى - منذ عدة ليال لكى أمر بتجربة رذالة بعض الإنجليز . .

الست الأيرلندية الشمطاء « بيجى » مديرة الكافيتيريا لاحظت أننى لا أطلب فى العشاء كل ليلة إلا صنفاً واحداً لا يتغير هو : الفراخ .. لفت ذلك نظرها فسألت « سوسن » و « سناء » فقالتا لما إن ذلك لأننى مسلم ولا أستطيع أن أطمئن إلى اللحم الذى يقدم فى الكافيتيريا خوفاً من أن يكون من لحم الخنزير الذى تحرمه ديانتنا . . ومن هنا قررت الست « بيجى » أن تضطرنى إلى طلب لحم الخنزير غصباً عني . . فادعت منذ عدة ليال حين دخلت للعشاء أن الفراخ قد انتهت ، فطلبت سمك . . وفى الليلة التالية قالت لى على الفور وأنا داخل للعشاء : « لا يوجد الليلة لا فراخ ولا سمك » . فطلبت فطيرة ببيض مقلى بالجبنة .. فلم يكن منها فى الليلة الثالثة - من غيظها منى - إلا أن ادعت أن الكافيتيريا مغلقة من الساعة ٢ إلى ٥ صباحاً لتنظيف المطبخ . وهى تعلم أننى لا أتناول عاشئى قبل الثالثة صباحاً كل ليلة ! ! .

« سوسن » حين وجدت أننى لن أتعشى فى تلك الليلة « هرَّبت » لى ربع فرخة أكلتها فى السر وأنا أتمشى فى الظلام فى حديقة الفندق ليلاً . . وكنت أشعر أنها أشهى وأظرف وألذ وجبة عشاء أكلتها فى حياتى . . بالعند فى الست « بيجى » الشمطاء ! !

(١٣)

□ جاك ماشاش . . في روكاباك !! □

أعمل

أربعة

أيام فقط في الأسبوع . . المفروض أن عدد الساعات التي أعملها لا تزيد عن ٤٠ ساعة أسبوعياً . ولما كانت مواعيد عملي من الساعة ١٠ مساءً إلى ٨ صباح اليوم التالي ، يعني ١٠ ساعات كل ليلة ، لذا فإنني أعمل ٤ أيام فقط في الأسبوع . .

وبالرغم من أنني قد أصبحت « رئيس واردة » بعد ١٤ يوماً فقط من تعييني كما ذكرت من قبل ، إلا أن ذلك يحدث ليلتين فقط كل أسبوع ، وذلك معناه أنني أكون « مرؤوسا » في الليلتين الأخريين ، وحسب جدول الورديات فإنني أعمل كل ليلة من الليلتين مع رئيس مختلف : مرة مع « ريتشارد » والثانية مع « توني » .. وكلاهما شاب صغير عمره ٢٤ سنة ، لكنهما يختلفان اختلافاً مهولاً ..

« ريتشارد برايان Richard Brayn » و « توني مورجن Tony Morgan » ، كل منهما يمثل فوعية مختلفة من الشعب الإنجليزي : « ريتشارد » هو الإنجليزي الساذج الطيب الأهل « الجليلي » الذي تقرب به سذاجته وطيبته من حدة العبط ، ولم يكن هذا هو رأي أنا وحلي فيه ، إنما كان رأي زملائه ورؤسائنا أيضاً ، وبالرغم من ذلك فقد كان « ريتشارد » هو أكثر واحد أحببته في الفندق كله . .

أما « توني » فهو على العكس من ذلك تماماً : « چون بول » صغير :

إنجليزى متعجرف ومتغطرس ومغرور . . مهم جداً ورسوم على الآخر . . ويعتقد أنه إذا كانت ميزته الوحيدة فى الدنيا هي أنه إنجليزى فذلك يكنى . . متشبث بالوهم القديم الذى يصور له أن « الإنجليز هم سادة العالم » ، وكل من عداهم فهم خدام وحشم وعبيد للسادة الإنجليز !! . . « تونى » كان يعمل كهربائياً . ثم ترك الأعمال الكهربائية « لأسباب صحية » — كما قال لى هو — وجاء ليعمل كـ « پورتر » فى هذا الفندق منذ نحو سنة ونصف ، وسرعان ما تدرج فى الترقى سريعاً حتى أصبح رئيس واردة : ثم رئيساً لكل الـ « پورترز » العاملين فى كل واردات الليل . . يعنى رئيساً على « ريتشارد » أيضاً . .

طوال الفترة التى قصيتها فى العمل فى هذا الفندق كانت أكره ليالى الأسبوع إلى قاي هي تلك الليلة الوحيدة التى يكون « تونى » فيها هو رئيسى . . « ريتشارد » يقتسم معى كل الأعمال المهمة والبسيطة بالعدل والقسطاس . وبأدب شديد . . أما « تونى » فهو يقعد و « ينجعص » فى المكتب ويتولى هو كل الأعمال الإدارية المهمة ويترك لى عملاً واحداً فقط ، هو توصيل حقائب النزلاء من وإلى غرفهم . . حتى أصبح جاد باطن يديّ خشناً جافاً قريباً من ملمس « السفرة » ! . وحتى تصورت أننى سوف أعود من هذه الرحلة « الصحفية » بانزلاق غضروفى أكيد . . وحتى إننى أحياناً — من فرط غلاسة « تونى » وغلاسة بعض الإنجليز — أكاد أنسى مهمتى وأصبح فيه وأنا أنحاع چاكتة الـ « يونيفورم » وألقيها فى وجهه : « أنا صحفى يا أولاد الـ ومحترم عنكم كلكم » ، ثم أعود فأذكر المهمة التى أنا هنا من أجلها ، وأننى لو عوملت كصحفى لما رأيت الصورة الحقيقية التى أريدها والتى أراها الآن فعلاً . ولأننى كما قال لى مستر « هوبكنز » المدير المساعد يوماً ما : « قد تكون أشهر صحفى فى بلدك أو أشهر صحفى فى العالم ، لكنك تعمل عندنا هنا « پورتر » فقط » ! ! .

بما أن

« ريتشارد »

هو الإنجليزي الطيب الساذج الوحيد في المحيط الذي نعمل فيه .
فإنه كان « لقطة » وصيداً ثميناً بالنسبة لـ « سوسن » التي لا تترك أحداً
في حاله : إكتشفت « سوسن » أن « ريتشارد » (يجيد) من اللغة العربية
كلمة واحدة فقط — لا يعرف حتى معناها — هي كلمة « إمشى »
التي التقطها من ترديد « أمين القصاص » لها أمامه . . . ووقع « ريتشارد »
مرة بلسانه فقال لـ « سوسن » : « إمشى » ، فلم يخلص منها : ظلت وراءه
حتى جعلته يحفظ عبارة كاملة باللغة العربية مكونة من ٤ كلمات بحالهم .
وأعجبت العبارة « ريتشارد » فظل يتذوقها ويستطعمها ويلوكها بلسانه
المعوج حتى حفظها تماماً وأصبح « ليلب » ويقولها لكل الناس — حتى
للمديرين — بمناسبة وبدون مناسبة ليجعلهم يعرفون أنه أصبح الآن
« يجيد اللغة العربية » . . . فينطقها بلكنته الخواجائي على مقطعين ،
وبوضوح شديد : « جاك ماشاش — في روكاباك » . . .
« جك مشش في ركبك » ! ! . . .

كان

عندنا

الليلة في الفندق زحمة شغل رهيبة : طائفة وصلت عند منتصف الليل
وعليها نحو ٢٠٠ سائح من أصحاب الملايين الأمريكيين العواجيز الكهنة
المهكعين ، أكثرهم « شباباً » تعدى الستين بكثير . . . أوصلت حقائبهم
جميعاً إلى غرفهم فلم يعطنى ولا واحد منهم بقشيشاً أكثر من كلمة
« Thank you » . . . ورئيس الوفد العجوز يتسم لي من بعيد كأنما يطمئنني
إلى أن الحساب عنده في الآخر ! . . . وفي النهاية أوصلته هو وزوجته

إلى غرفتهما . فمد يده في جيبه وأخرج محفظته ودعس فيها قليلاً ثم مد يده إلى : بنس ونصف ! ! يعني ثلاثة تعريفة ! ! . .
بمناسبة البقشيش : أظرف بقمشيش تلقيته طوال مدة عملي بالفندق حتى الآن كان : طابع بريد ياباني جديد من فئة العشرة « ين » .. نزيلة يابانية حسناء قلمته لي بدلا من البقشيش ! ! . .

رجل الأمم

الوسيم ذى الشعر الأحمر : « جوينفور إيفانز Gwynfor Evans » الذى يعمل فى مطار « هيثرو » ويقم فى الفندق عندنا ، عائد غداً إلى موطنه « ويلز » فى أجازة لمدة شهرين .. وكان طوال فترة وجوده معنا صديقاً لكل المصريين .. جاء « إيفانز » الليلة ليودعنى قبل سفره ، وليقول لى إنه قرأ كثيراً عن الفدائيين العرب ويعرف الكثير عن مشكاة الشرق الأوسط ، وأنه يكره الإسرائيليين كما نكرههم نحن ، وكما يكره أهل « ويلز » وأهل أيرلندا الإنجليز .. وأنه سوف يأتى قريباً ذلك اليوم الذى يطرد فيه العرب اليهود من فلسطين كلها ، كما سيأتى أيضاً اليوم الذى يستطيع فيه الأيرلنديون أن يطردوا الإنجليز من بلادهم ، ويتمحرون أهل « ويلز » وينالوا استقلالهم عن إنجلترا ..
حقيقة ، من النادر أن يلتقى المصرى أو العربى فى أوروبا كلها ، وليس فى إنجلترا فقط ، بواحد أوروبى له آراء « إيفانز » ..

زمان ، وأنا

طفل ، كنت حين أتلکأ يومين أو ثلاثة عن موعدى « الأسبوعى » فى الذهاب إلى الحلاق ، تقول لى أمى : « راسك بقت عاملة زى (راس

العبد) ينفضوا بيها السقف وشكلك بقى يضحك . إجرى إحلق . . . اليوم لى ثلاثة شهور فى لندن لم أذهب فيها للحلاق ، وأصبح رأسى مثل « راس العبد » فعلا ولا أحد يضحك على ولا حاجة ، بالعكس . الناس هنا يظنوني « ماشى مع الموضة » . لأن الموضة هنا أن الناس اللى شعرهم أكتر يتركون شعرهم هايشاً كالمنفضة فوق رؤوسهم . . . الأغرب من ذلك - أو على الأصح : الأعبط من ذلك - أن الناس إالى شعرهم ناعم يذهبون إالى الحلاق ! « يكركته » لهم لكى يبدوا أكتر . . . والله فى خلقه مشون وورق الهبل على المجانين ! ! . . .

وأنا لم أطلق شعري تشبهاً الـ « هيبيز » لا سمح الله ، ولا تأثراً بجو الحياة فى لندن ، لكن لعدم ثقى فى أن الحلاقين هنا سوف يفهمون ما أريده بالضبط ، لأننى لا أعرف اصطلاحات الحلاقة باللغة الإنجليزية ، وحتى لو كنت فى أى بلد عربى فأيضاً لن أستطيع أن أجعل الحلاق الليبى أو اللبنانى أو اليمنى مثلاً يفهم ما أريد ، لأن لكل بلد عربى اصطلاحاته الخاصة فى المهنة ، إلا إذا أريتهم صورة فوتوغرافية لى وأنا حالق .. فأنا أحلق حلاقة أقرب إالى العسكريين ، وقطعاً نسي الحلاقون هنا شكل الحلاقة التقليدية ، لأن الرجال جميعهم هنا - كباراً وصغاراً ، عواجيز وشباناً - قد أطلقوا شعورهم لتهدل على أكتافهم كشعور النساء .. وحين ذهب « أمين القصاص » - مجازفاً - ليحلق شعره قصيراً ، جعلوه كالكتكوت الشرسى الأزعر أبو رقة طويلة حين يقع فى الماء فيبتل ريشه ويتلبك . . . حلقوا له حلاقة غريبة جداً جعلت شكله مضحكاً . . . وأنا أفضل أن أعود إالى مصر بعد خمسة شهور وشعري طويل وأقصه فى مصر ، من أن يبدو شكلى مضحكاً هنا أمام ولاد الـ . . . إنجليز ! ! . . .

بالمناسبة : سعر حلاقة الشعر هنا جنيه إسترليني كامل ، ، وربنا يجعل كلامنا خفيفاً على الحلاقين فى مصر ! ! . . .

وبالمناسبة أيضاً : سألت « بوب » فى الإستقبال الوسيم ذو الشعر

الطويل الخفاف المتلى زاعماً على كتفيه أطول من شعور البنات :

— يوب . . شعرك بقى طوله كله فى قد إيه ؟ . .

فأجاب :

— فى سنتين تقريباً . . .

قلت وأنا أتحس شعرى :

— يعنى تشكر شعرى ممكن يبقى « زى » شعرك بعد قد إيه ؟ .

فنظر « يوب » بدهشة شديدة إلى شعرى الأكرت المجدد المكرمش وقال

باستنكار عظيم :

— ولا بعد ١٠٠ سنة طبعاً ! ! .

تعلمت

من

الإنجليز شيئاً هاماً : هو عدم الإحتفاظ بالأشياء التى ليس لها

لزوم . . فإنك لن تجد فى البيت الإنجليزى أية كراكيب أو أى شيء

يجعلك تشعر أنه زائد عن حاجة البيت أو زاحم الدنيا بدون مناسبة وبدون

مبرر

أتصور الآن أننى لو استفدت — بعد عودتى إلى القاهرة — مما تعلمته

من الإنجليز فرميت كل الأشياء التى ليس لها لزوم فى بيتى ، فأسأفاجاً

بأن البيت قد أصبح على البلاط ! ! . .

« ليلى

سليمان »

.. الإذاعية المصرية التى تعيش وتعمل فى لندن منذ نحو

سنتين ، اتصلت بى بالتليفون اليوم لتدعونى إلى الغداء فى أحد الكازينوهات

على نهر التيمس . دعوة على الطريقة الإنجليزىة : نتغدى معاً . لكن كل واحد يدفع لنفسه ! ! . .

أنا و « لىلى » أصدقاء من زمان صحيح . لكنها صداقة « الزمالة » بين الشاب والفتاة على الطريقة المصرية .. يعنى صديقين داخل نطاق العمل فقط . وعند الباب الخارجى للمبنى الذى نعمل فيه معاً تنهى « صداقتنا » تماماً ونكاد لانتبادل التحية إذا التقينا مصادفة فى الشارع .. فما الذى غيّر « لىلى » وجعلها « سپور » إلى هذا الحد الذى تدعونى فيه هى لنخرج معاً ؟ ! . .

لم تتغير « لىلى » .. بالعكس .. إن مشكلتها هى مشكلة البنت المصرية التى تعيش وتعمل وحدها فى أوروبا . لكنها تظل « تفكر » و « تتعامل » بالعقلية المصرية كأنها ما زالت موجودة فى مصر .. الفتاة الأوروبية تخرج مع أى شاب يطلب منها أن تخرج معه ، وطالما أنها ليست مرتبطة بمواعيد أخرى فهى لا ترفض موعداً لشاب للخروج معه ، بل وتتوقع — ببساطة جداً ، وتندم إذا لم يحدث — أن تنهى السهرة بأن تذهب معه إلى بيته أو يذهب معها إلى بيتها إذا كانت تعيش وحدها .. ويمكن جداً أن تكون « ليلة وتغدى » ولا تتكرر ولا تحدث مرة أخرى ، بل وقد تكون تعرف جيداً أنها لن ترى هذا الشاب مرة أخرى .. لكن الفتاة المصرية التى « تعيش » فى أوروبا غالباً لا تفعل ذلك .. فهى تظل وفى ذهنها الفكرة الشرقية التقليدية من أنها لا تخرج مع شاب إلا إذا كانت ترتبط معه بعلاقة حب تؤدي فى نهاية الطريق إلى الزواج .. كون أن العلاقة تنهى أولاً تنتهى بالزواج فعلاً فذلك موضوع آخر .. المهم أنها لا تخرج مع شاب إلا إذا كان هناك حب يربط بينها وبينه .. ومن هنا تعيش « أغلب » الفتيات المصريات فى أوروبا متقوقعات على أنفسهن ، لا خروج ولا دخول ، حتى يصادفهن الحب .. ومن هنا أيضاً فإن وجود « صديق » أو « زميل » عزيز من مصر فى زيارة مخلودة للتدخين فرصة للتنفيس

عن الإنغلاق و « الحبسة » التي تعيش فيها الفتاة المصرية ، بحجة الترحيب به وإكرام وفادته وبحجة أن تكون مرشدته ودليلته في مشاهدة لندن ، برغم أنني أعرف عن لندن في ست زيارات ما لم تعرفه « ليلي » في سنتين متصلتين قضتهما فيها .. لكن الذي أعرفه أكثر ، وأقدره أكثر . هو إحساسي بالضيق النفسي الذي تعانيه « ليلي » والذي جعل وزنها يزيد عشرة كيلو جرامات عن آخر مرة رأيته فيها منذ سنة ونصف تقريباً .. نتيجة « القعدة » في البيت وقلة الحركة وعدم الخروج إلا إلى العمل . .

و « ليلي »

تعمل

كمقدمة برامج في مراقبة تعليم اللغة العربية بالراديو في البرامج الموجهة في إذاعة القاهرة .. ومهما كان العمل ظريفاً فإنه بعد فترة من الوقت يصبح روتينياً مملاً غير متجدد ، ويصاب المرء بحالة من القرف والإكتئاب والملل والزهق يجعله يكاد يكره عمله ويكره كل ما يحيط به ، ومن هنا لعلها كانت الحكمة في وجود « الأجازة السنوية » . . وتقرأ هذه الحالة بـ « ليلي سليمان » إلى جانب مجموعة أخرى من الظروف النفسية والظروف الشخصية تجعلها تتصور أنها لا سبيل لها إلى الخلاص من هذه الحالة إلا بالإبتعاد عن عملها والإبتعاد عن البلد كلها لفترة من الزمن .. وهكذا حصلت « ليلي » على أجازة بدون مرتب وجاءت إلى لندن منذ نحو سنتين .. ويشغلها عملها الجديد في أحد فنادق لندن الكبيرة ، ويشغلها شكل الحياة في لندن عن حالتها بعض الوقت ، لكنها بمضي الوقت تعود إليها نفس الحالة وعلى أشده .. فتصبح أكثر عصبية وأكثر زهقاً ومللاً ، وتكاد تكون « مش طايفة حله » ، ومش عارفة هي هنا في لندن بتعمل إيه ، ولا تجد مبرراً لاستمرار بقائها في لندن بعد أن أصبحت الحياة في لندن — أيضاً — روتينية هي الأخرى بالنسبة إليها .. وفي الوقت نفسه فإنها تخشى أن تعود

إلى عملها في إذاعة القاهرة لأنها تعرف أنه لم يتغير وإن يتغير ، وأيضاً - بالرغم من إعجابها الشديد بشكل الحياة في لندن - إلا أنها لم تستطع أن تحبه ولا أن تتواءم معه .

قلت : « ليلي » متفلسفاً :

- ليس المهم أن نغير عملنا ولا أن نغير المكان الذي نعيش فيه .. المهم أن نغير ما بداخل نفوسنا ، ولا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .. ألم تكن لديك الفرصة لترتبطي بصداقات مع الإنجليز ؟ قالت « ليلي » توضح لي شيئاً لم يكن غامضاً علي :

- الشاب الإنجليزي ياعزيزي شاب عملي ، ليس لديه وقت للصداقة بين الشاب والفتاة كما أفهمها أنا وكما تفهمها أنت . . الشاب الإنجليزي ليس مرشداً سياحياً ولا فاعل خير ولا متطوعاً للخدمة العامة ولا عضواً في جمعية الصداقة المصرية الإنجليزية . . الشاب الإنجليزي ، مثل أي شاب أوروبي ، يتعرف بالفتاة ويخرج معها وأمام عينيه مثل إنجليزي مشهور يقول :

!! « Find them - Feed them - Love them - Leave them. »

بمعنى : « إعثر عليهن - إدعوهن للغداء أو العشاء - مارس معهن الجنس - ثم اهجرهن بعد ذلك فوراً ! . » .

□ مسكينة « ليلي » . . ستعود من لندن أكثر تعقيداً مما ذهبت ! ! . .

كان

معي

عنوانه حين جئت من القاهرة ، لكنني حين بحثت في خريطة لندن عن اسم الشارع الذي يقيم فيه لأعرف في أي حي من أحياء لندن يسكن زميلنا الإذاعي إبراهيم عطية ، لم أعثر على اسم هذا الشارع على

خريطة لندن كلها . فتصورت قطعاً أن الذى أعطانى العنوان قد أخطأ فى كتابة اسم الشارع .. لكننى لكى « أخلص ضميرى » لم أجد أمامى إلا طريقة واحدة يمكن تجنب نتيجة : كتبت العنوان كما هو على ظرف خطاب ووضعت عليه طابع بريد . وكتبت كلمتين أقول فيهما « إبراهيم » أننى موجود فى لندن ورقم تليفونى هو كذا . وأرجوه أن يتصل بى هو إذا وصاه هذا الخطاب . . وألقيت الخطاب فى صندوق البريد وريحت نفسى من هذه المشكلة . .

وفى الليلة التالية مباشرة دق جرس التليفون على مكثى ليأتينى صوت « إبراهيم عطية » يرحب بى فى لندن . . ويشرح لى السبب فى عدم وجود الشارع الذى يسكن فيه على خريطة لندن . ذلك لأن المنطقة التى يسكن فيها « إبراهيم » منطقة جديدة ، تدخل ضمن التوسعات التى امتد إليها العمران حديثاً فى أطراف لندن . .

لم أر « إبراهيم عطية » منذ ٤ سنوات تقريباً . . « إبراهيم » كان موظفاً فى مراقبة عقود الإذاعة بشهادة متوسطة . وكانت مشكاته دائماً هى أن طموحه أكبر من الإمكانيات المتاحة له : يريد أن يدرس سينما . لكن معهد السينما فى مصر لم يقبله ، وحتى لو كان المعهد قد قبله لما استطاع « إبراهيم » الانتظام فى الدراسة فيه بسبب مواعيد عمله فى الإذاعة . . وفى لحظة من لحظات « الإلهام » يقرر « إبراهيم » أن يترك عمله فى الإذاعة ويأتى إلى لندن ليدرس السينما فى معاهدها . . لكنه بمجرد وصوله يكتشف أن « ما ألعن من سنى إلا سيلى » . . وأنه إذا كانت مشكلته فى مصر أن معهد السينما فى القاهرة لم يقبله دارساً به ، فإن معهد السينما فى لندن يرحب به صحيح . لكن على أن يدفع ٣٠٠ جنيه إسترليني كل سنة كمصاريف دراسة ! ! . . ولم يكن ذلك سهلاً طبعاً بالنسبة إليه فى بداية حياته فى لندن ، فأجل مشروع دراسته للسينما مؤقتاً حتى يستقر ويعمل فى لندن ويعرف أوله من آخره . . لكن الواضح الآن أن « إبراهيم » قد استقر وعرف أوله من

آخره . وعرف أيضاً أن القصة تتكرر مرة أخرى . وأنه لن يستطيع دراسة السينما في لندن أيضاً . .

« إبراهيم »

بدأ

حياته في لندن كغسال أطباق . ثم مساعد جرسون . وهو الآن جرسون . . وكان ممكناً أن يصل إلى وظيفة رئيس جرسونات لو أراد - بحكم الخبرة والأقدمية - لكنه لا يريد . لأن دخل الجرسون أكبر ، والجرسون في إنجلترا - لو تعلمون - شيء عظيم . .

كان آخر مرتب تقاضاه « إبراهيم » في مصر ١٣ جنيهاً ونصف جنيه بعد عمل ٧ سنوات في خدمة الحكومة ، والآن دخله الشهري ١٢٠ جنيهاً إسترلينياً . غير البقشيش . . وهو يشعر جلياً بالفارق الرهيب في المرتب لأنه يحيا هنا حياة أحسن بكثير من المستوى الذي كان يحيا فيه وهو في مصر : يسكن بستة جنيهات في الأسبوع في شقة صغيرة في أطراف لندن : غرفة واحدة وصالة ومطبخ وحمام . استأجرها نخالية وفرشها هو .. عنده الآن تليفزيون ملون وثلاجة وبوتاجاز وءء ساخن وءء بارد ودفئة وسيارة « هيلمان » صغيرة و . . زوجة ألمانية وطفل : « جينا رايلي » و « كريم » . .

وليست

قصة

وجود « إبراهيم عطية » في لندن قصة نجاح بقدر ما هي صورة صادقة بدون رتوش لشخصية مصرية تعيش في لندن . . ويقول « إبراهيم » إنه كسب كثيراً من مجيئه إلى لندن .. كسب المعرفة قبل كل شيء .. أجاد اللغة الإنجليزية قراءة وكتابة وحديثاً . فتفتحت أمام عينيه كنوز معرفة

وكنوز ثقافة . . ورأى بعينه أماكن كان يسمع عنها في الكتب ويقرأ ما نكتبه نحن الصحفيين عنها .. و : « الناس في مصر متصورة وفاهمة أننا بنيجي هذا لندن نلاقى الفلوس مرمية في الأرض تحت رجلينا واحنا ما علينا إلا أننا « نتنازل » ونلمها . . ما يعرفوش أننا بنشقى ونتعب ، وأن الشغل في لندن مش حاجة بسيطة ولا حاجة سهلة » . .

« إبراهيم » ينوى أن يستقر هنا في لندن على طول ، خصوصاً أنه في شهر أكتوبر الماضي كان قد أتم ٤ سنوات في إنجلترا وأصبح من حقه أن يعامل معاملة الإنجليز في كل شيء من ناحية الوظائف . . فقبل هذه السنوات الأربع كان ممنوعاً أن يعمل - كأجنبي - إلا في أعمال الخدمة في الفنادق ، لكنه الآن يستطيع أن يعمل في أى وظيفة تسمح بها إمكانياته وخبراته . . كما أنه يستطيع أن يبدأ بنفسه أى مشروع أو يفتح محلاً .. وفي ذهنه الآن يدور مشروع محل فول وطعمية يبيع فيه الصاندوتش بـ ٤ بنساً ، يعنى حوالى ٧٠ قرشاً مصرياً - ربنا يجعل كلامنا خفيف على التابعى أبو قرشين صاغ - .. وحين تتحسن ظروف « إبراهيم » فإنه سوف ينبعث من جديد فكرة دراسة السينما حتى لو كان عنده ٦٠ سنة ، لأنه فعلاً غاوى سينما ويحبها فذاً وليس مظهرأ . .

« إبراهيم »

لديه

مشكلة صغيرة جداً ، لكنها ظريفة جداً : زوجته « جينا » مازالت حتى الآن غير مسلمة . . أرادت أن تكون مسلمة ، فذهب بها « إبراهيم » إلى المركز الإسلامى في لندن ليشرح إسلامها ، لكن « الشيخ شلبى » أصر على أن تحفظ « جينا » - التى لا تتكلم العربية - (ربيعاً) من القرآن « يسمعه لها » ، وأن تتوضأ وتصلى ٤ ركعات أمامه ، كامتحان لها قبل أن يوافق على إشهار إسلامها ! ! . . ولما كان ذلك مستحيلاً طبعاً فقد

قرر « إبراهيم » أن يأخذ زوجته ويحضرا إلى القاهرة في زيارة سريعة ،
 فقد يكون إشهار إسلامها في القاهرة أسهل ! ! . . . ويقول « إبراهيم »
 إن « الشيخ شاذي » لو امتحن « إبراهيم » نفسه - المسلم منذ ولادته - في
 حفظ « ربع قرآن » وكيف يتوضأ ويصلي . لرفده من الإسلام . لأن
 « إبراهيم » لا يحفظ القرآن ولا يصلي . ومع ذلك فهو مسلم ورغم أنف
 « الشيخ شاذي » ! ! . . .

عُثرت

الليلة

بالصدفة على واحد آخر من أسرة الإذاعة والتليفزيون موجود في
 لندن : « مهتاب مرزوق » . . « مهتاب » يعمل مخرجاً في البرامج السينمائية
 في تليفزيون القاهرة بعد تخرجه من معهد السينما منذ ٧ سنوات .. لكنه -
 هو أيضاً - شعر فجأة أن الأيام والشهور والسنوات تمضي وراء بعضها
 دون أن تحمل إليه الجديد الذي كان يتوقعه . . ويشعر أن في داخله
 أشياء تتفاعل وتريد أن تخرج لكنه لا يعرف ما هي على وجه التحديد ،
 فأراد أن يعطى الفرصة لهذه التفاعلات لتخرج في جو جديد وفي ظروف
 تجربة جديدة ، فخرج من مصر خروجاً بوهيمياً وجاء إلى لندن بلا خطة
 ولا مشروعات ولا أي شيء على الإطلاق إلا أن يرى شيئاً جديداً ويتعامل
 مع جو جديد لمدة سنة واحدة . . وولتقى هنا بالصدفة لنجد أنفسنا وكل
 منا جاء تقريباً لنفس الفكرة ونفس الغرض ، ولا يفصل بيننا إلا عرض
 شارع صغير اسمه « باث رود » : هو يعمل في فندق الشيراتون ، وأنا
 أعمل في فندق ال « سنتر إيربورت هوتيل » .. وإن كنت بعد أنا أن تنتهي
 مهمتي هنا سوف أعود إلى مصر فوراً ، أما « مهتاب » ففي ذهنه أن يتجه
 إلى أمريكا بمجرد أن يستطيع أن يلخّر ثمن تذكرة الطائرة إليها . . لكي
 يستكمل هناك تجربته التي يريد لها . .

شعرت

الليلة

تماماً بالأزمة الممكن أن يواجهها المفلس في بلاد غريبة . . كنت مرتبطاً بموعد مع صديقتي الصحفية الكندية الشابة « سوزانا روبنسون » لتلتقي في لندن . . لكنني إكتشفت فجأة أننا في نهاية الأسبوع . وأنني مفلس جداً وليس في جيبي غير ٤٥ بنساً فقط . . نزولي إلى لندن سوف يكلفني ذهاباً وعودة ٣٥ بنساً . ولا أستطيع على الإطلاق أن أجازف بالذهاب إلى لندن وفي جيبي ١٠ بنسات . . لنفرض أن تذكرة العودة ضاعت من جيبي . . لنفرض أنني تهت ولم أعرف أين أنا وأردت ركوب المترو الـ « أندرجراوند » مرة زيادة . . لنفرض أنه صادفتني أية ظروف مفاجئة لم تكن في الحسبان جعلتني أحتاج إلى أي مبلغ يزيد عن العشرة بنسات التي معي ، فماذا أفعل وأنا هنا في لندن ؟ . . في القاهرة ممكن أن أمشي أي مسافة أو أمر على أي واحد من الأصدقاء المنتشرين في أنحاء القاهرة لكي أطلب منه ما أريد . . أما هنا فلا أعرف أحداً ولا يعرفني أحد . . وحتى لو كنت تعرف أحداً فإنك لكي تنتقل من مكان إلى مكان في لندن سوف تنفق في المواصلات مبالغاً وقدره . . وحتى لو عرفت أحداً وعرفت مكانه وعرفت كيف أصل إليه ، فشكلها وحش جداً — في مبادئ — أن أمدّ يدي لأي إنسان لكي أقترض منه إنها ، فعلاً . أزمة المفلس في بلاد غريبة . .

ولم أذهب إلى موعدى مع « سوزانا » . وأنا واثق من أنها — بأحاسيس الكاتبة — سوف تفهم وتقدر مشاعرى حين أحكيها لما عند ما نلتقى بعد ذلك . . لما أقبض ! ! .

أروبة جداً

أختنا « بيسة » . . فبرغم أنه ما زال أمامنا أكثر من شهرين آخرين نقضيهما في لندن . إلا أنه كان من رأيها أنه من الأفضل أن نحجز للعودة على الطائرة من الآن . قبل أن يبدأ موسم عودة الطلبة المصريين إلى القاهرة فتزدحم الطائرات ولا تجد مجموعتنا : « سوسن » و « سناء » و « بيسة » و « منى » وأنا . أما كن على طائرة واحدة نعود عليها معاً .. وافقت « بيسة » على رأيها واتفقنا على أن نذهب معاً بعد انتهائى من العمل صباح اليوم إلى مطار « هيثرو » لتتفق مع مكتب شركة « سويس إير » على تاريخ عودتنا . .

إنهت وارديتى . واستبدلت الـ « يونيفورم » . وعدت إلى مكتبى مرة أخرى لأنتظر حتى تحضر « بيسة » .. لكننى قبل أن أصل إلى مكتبى تسمرت مندهشاً وقد تعلقت عيناى بحسناء تجلس فى صالون مدخل الفندق ويجوارها حقيبتها : غريبة جداً . . ما الذى تفعله صديقتى مديعة التليفزيون الحسناء « نجوى إبراهيم » هنا فى لندن ؟! .. وكيف حدث أنها نزلت فى الفندق دون أن أعرف ذلك مع أن أسماء النزلاء جميعهم تأتىنى كل ليلة وأقرؤها إسماً إسماً بحكم عملى ؟! .. ولماذا هى وحدها ولا أحد معها ؟! . ولماذا .. ولكن : « نجوى » سوداء الشعر وهذه الحسناء شقراء !! .. وضحكت لسذاجتى : ومنذ متى ثبت لون شعر النساء ؟! .. على أى حال لأقطعن — طريقة جداً « لأقطعن » دى ، طلعت لوحدها كده — لأقطعن الشك باليقين : سأمر من أمامها وأجعلها ترائى ، فإذا عرفتى كانت هى « نجوى إبراهيم » ، أما إذا لم تعرفنى فيبقى يخلق من الشبه أربعين ، وتكون هذه قطعاً هى النسخة الأولى من الأربعين ! ! .

وطلعت يخلق من الشبه أربعين فعلاً ، لكنها الخالق الناطق

« نجوى إبراهيم » . إنما على شقراء .. وقبل أن تبدأ دهشتي فوجئت
 بـ « بيسة » تأتي من بعيد لتحيي الحساء الشقراء وتقف معها وتكلمها :
 باللغة العربية !! .. وبعدين بأه ؟ . تكونشي هي « نجوى » فعلاً بس
 ما أخلتشي بالها مني حين مررت من أمامها ؟! .. وقبل أن تبدأ تساؤلاني
 مرة أخرى سحبت « بيسة » الحساء الشقراء شبيبة « نجوى إبراهيم » من
 يدها وجاءت لتعرفها بي : « منتهى محمود حجار » أردنية ، أمينة
 مكتبة في عمان .. أونكل حسين .. يعمل معنا في الفندق هنا .. أمينة
 مكتبة ؟ ! .. لا بد أن نساء الأردن جميعهن باهرات الجمال إذن لكي
 تعمل حساء زى القمر مثل « منتهى » أمينة مكتبة !! .. آمال مملات
 السينما ومذيعات التلفزيون هناك شكلهم إيه ؟ ! .

« منتهى محمود حجار » باتت لياة واحدة في لندن — ترانزيت — في
 طريقها من عمان إلى « تورنتو » بكندا .. راحة في اتجاه واحد .. بلا عودة ..
 هجرة .. لكي تكون مع أشقائها الذين سبقوها إلى هناك بفترة استقرت فيها
 حياتهم وأحوال معيشتهم ، فأرسلوا يطلبون ذهاب « منتهى » لتنضم إليهم ..
 وتبدأ « منتهى » الحساء ذات الثلاثة والعشرين عاماً رحلتها لتنضم كوجه
 عربي جديد إلى قافلة المهاجرين العرب الناجحين في المهجر في أي
 مكان ..

بسرعة أصبحنا أصدقاء : هي و « بيسة » وأنا .. وذهبنا إلى المطار
 معاً في أوتوبيس الفندق .. باقى على طائرة « منتهى » ٤ ساعات
 ونصف .. قالت وهي تنظر في وجهي ووجه « بيسة » في تأمل شديد إنها
 تشعر كأنها تعرفنا من زمان .. كأنها رأتنا من قبل .. لكن فين فين فين ؟!
 مش عارفة .. ورجتينا أن نبقى معها حتى يحين موعد إقلاع طائرتها
 لنؤنس رحلتها .. وافقت أنا على الفور : حد يكون عنده فرصة أن يبقى
 عدة ساعات مع حساء مثلها ويرفض ؟ ! يبقى عبيط قطعاً .. خلال
 الكلام والردشة انسحبت « بيسة » من لسانها وقالت : « منتهى » إنني صحنى ،

ففوجئت بـ «منتهى» تقول على الفور وعلى وجهها كل أمارات الدهشة :
 « عرفت إذن أين رأيتهك — أو على الأصح رأيت صورتك — من قبل ..
 أنت حسين قلدرى الصحفى فى مجلة الإذاعة والتليفزيون القاهرية ؟ ! » ..
 قلت لها وأنا مندهش أنا أيضاً : « أيوه » .. قالت : « وكنت تكتب منذ عدة
 شهور فى المجلة رحلة صحفية لك بعنوان (رحلة إلى دولة ترانزستور) ؟ » ..
 الحمد لله يارب .. أعظم شىء فى الدنيا يثلج صدر الكاتب ويسعد
 هو أن يجد أحداً يعرفه — ككاتب — ويقرأ له .. فما بالكم إذا كان هذا
 الـ « أحد » حسناً من عينة « منتهى » ؟
 وطارت « منتهى » إلى كندا .. وتركت على شفتائى طعم السعادة
 والإمتنان ما زال باقياً حتى الآن ! !

« حفيظة » ..

الشابة

الباكستانية الحسنة صاحبة الفيلا التى أسكن فيها فى « كرانفورد » ..
 باكستانية مسلمة .. كانت تطلب منى دائماً أن أترك لها الصحف
 الإنجليزية التى أنهى من قراءتها لكى تستخدمها فى تنظيف زجاج النوافذ
 — هنا لا يبيعون الجرائد بالكيلو للبقالين ! ! — .. فلما تركت لـ « حفيظة »
 بعض الصحف المصرية فوجئت بها فى اليوم التالى فى صفيحة الزبالة —
 بالصحف طبعاً وليس بالست حفيظة ! ! — .. ولم يكن ذلك تقديراً منها
 لدور الصحافة المصرية كما تصورت أنا فى البداية .. لكن ، كما شرحت لى
 هى الأمر بعد أن استفسرت منها : لأن الصحف المصرية مطبوعة باللغة
 العربية : اللغة التى نزل بها القرآن .. ومحمّل أن يكون فى بعض هذه
 الصحف « كلام الله » .. لذا فالست « حفيظة » تستحرم أن تستخدم
 « كلام الله » فى تنظيف النوافذ ! !
 عقبالنا يا رب لما نبى مسلمين للدرجة دى ! !

عدوى

الصحافة

تنتقل إلى البنات انخبطات بي اللاتي يعملن حولي هنا : « سفير حمزة » الطالبة في بكماوريوس تجارة عين شمس التي تعمل في الصيف في فندق شيراتون مطار لندن . . « سفير » قفشت قفشة صحفية ظريفة جاءتني بها مع « المستندات » : فندق شيراتون لندن يضع في كل غرفة من غرفه صورتين متجاورتين بالألوان لشيراتون القاهرة وشيراتون تل أبيب في إسرائيل . على اعتبار أن هذين الفندقين — بالذات — هما أحسن فنادق شيراتون في العالم كله ! !

وبمناسبة الشيراتون : لقطة أخرى تحمل مليون معنى : في كل إعلانات سلسلة فنادق الشيراتون التي تنشرها في صحف ومجلات العالم ، تضع اسم شيراتون تل أبيب — جغرافياً — ضمن فنادق شيراتون الموجودة في : أوروبا ! !

من

الأشياء

الظريفة التي تحدث هذه الصداقات الممكن أن يعود بها الطالب المصري من رحلته الصيفية .. خطاب ظريف وصلني صباح اليوم من جزر الكناريا الأسبانية . من رجل الأعمال الأمريكي العجوز الظريف مستر « دونالد كامرون » الذي ينزل في الفندق هنا كلما جاء إلى لندن .. رجل محبوب وعشوي وكل العاملين في الفندق أصدقاءه إبتداء من المديرين لغاية جرسونات الكافيتيريا .. مستر « كامرون » حين تعرف على مجموعة المصريين والمصريات الذين يعملون في الفندق فرح بنا جداً لأنه كان قد زار مصر لمدة ٤ أيام منذ ٣٠ سنة ، ويجيد اللغة العربية إجادة تامة :

« كوايس .. موسى كوايس .. شوفتى مأنون — يعنى مجنون !! — » ، ثم العدة من واحد لعشرة بطريقة الحواجة بيچو .. ورايح جاي فى الفندق يستعرض ثقافته العربية ويحكي كل الناس كمستشرق : « ساهيلة أفيندى » يعنى « سعيدة يا أفندى » !! . على اعتبار أن هذه هى قمة البلاغة فى اللغة العربية ! ! .

كانت « چوانا » فتاة الإستقبال الحساء تقف معى عند مكتبى ذات ليلة تحكى لى حكاية ما . فجاء صديقنا العجوز « المستشرق » مستر « كامرون » ليقف بيننا بدون مناسبة كالعزول ويستعرض لغته العربية المهشمة أمام « چوانا » فيقول وهو فطسان من الضحك كأنه يحكى نكتة بارعة : « شوفتى بنت ، شوفتى بنت ، شوفتى » ! ! . وتظن « چوانا » أنه يقول لى شيئاً عنها فتسألنى فى ضيق : « هو بيقول إيه ؟ » .. ويطلب هو منى — بالحاح — أن أترجم لها ما قاله . كأنه قد قال شيئاً يستحق الترجمة . لكننى حتى لا تغضب « چوانا » ترجمت لها ما قاله حرفياً : « شفت البنت ، شفت البنت ، شفت .. » ، فلا تجاء « چوانا » فى ذلك أى شىء يلدعو للضحك والسخرسة بهذا الشكل ، فلا تضحك وإنما تسأل ببرود : « وهل فى ذلك شىء يضحك ؟ » فيرد مستر « كامرون » وهو ما زال مستغرقاً فى الضحك : « إنه هو — يقصلى أنا — الذى لم يترجم جيداً » ! !

أردت

ألا

أكون متجنياً على الإنجليز فى اتهامى لهم بأنهم يحاولون إذلال المصريين .. الست « بيجى » المديرة الليلية للكافيتيريا ، التى تقف منى موقف العداء بدون مناسبة منذ أن جئت إلى هذا الفندق ، حتى إنها منعت تقديم الفراخ فى الكافيتيريا كلها على العشاء لأنها الصنف الوحيد الذى أطلبه ، فلما طلبت سمكاً بدلا من الفراخ منعت السمك أيضاً فى الليلة

التالية ، وظللنا نلعب المساكة هكذا عدة ليال : كلما طلبت أنا صنفاً ادعت هي أنه غير موجود .. كل ذلك لأننى أكبر المصريين هنا — منا على الأقل — فإذا أذلتنى فهى تذلل فى شخصى كل المصريين ..

قالت لى « سوسن » الليلة : « طيب ما تغير طريقتهك معها .. بدل ما انت كده كأنك واخده منها موقف وبتعاندها .. ما تجرب صداقتها بدل عداوتها » .. قررت أن أجرب وجهة نظر « سوسن » .. ذهبت إلى « بييجى » فى غرفتها الصغيرة فى الكافيتيريا وسألها بود ومرح — لزوم تغيير الطريقة : « هل يضايقها أن أتناول عشاى مبكراً الليلة ؟ » . فقالت على الفور ، وفى ود هى الأخرى : « أبداً أبداً . هل تحب أن تتعشى الآن ؟ » قلت : « ياريت » قالت بخبث : « وماذا تريد أن تأكل ؟ » قلت : « الذى تأمرين به أنت » قالت بكرم زائدة : « أنت تحب الفراخ .. سأعد لك .. أنا عشاءك » ! ! . شكرتها وذهبت إلى مكاني المفضل فى مطعم العامالين فى الفندق . لتأتى القرشانة ورأتى بعد لحظات لتسألنى : « هل تحب أن أعطي للبنات سوسن وسناء فترة راحة الآن لكى تتعشيا معك ؟ » قالت — كاذباً — : « أنت كريمة دائماً » . . فذهبت وأرسلت لى « سوسن » و « سناء » وكل منهما تحمل عشاءها ، وبعدهما جاءت هى — المديرة شخصياً — تحمل لى عشاى بنفسها ! ! . .

ومنذ تلك الليلة وأنا والبنات نتناول عشاءنا معاً كل ليلة . و « بييجى » تقدم لى بنفسها — بنت الأيرلندية — الفراخ كل ليلة ! ! .

كان

واقفاً

يسدد فاتورة حسابه عند الخزينة التى تواجه مكتبى ، فلمحنى على البعد . . الملامح المصرية والدم المصرى يتجاذبان جلدماً هنا فى الغربية ، ويكتشف المصريان بعضهما بسرعة جداً .. لمحنى ؛ ولحمت نظرتة لى من بعيد

فابتسمت له .. فجاء إلى ناحيتي لينظر بإمعان في إسمي المكتوب بالإنجليزية على الـ «بادچ» المعلق على صلي، ثم سألتني بالإنجليزية: «جود مورننج .. هل أنت عربي ؟» . فأرد عليه بالعربية : « صباح الخير يا افتندم .. مصرى » . . . وتقف لندردش فترة طويلة معاً ، يسألني عن أحوال المصريين الذين يعملون هنا وأسأله عن أخبار مصر . . . وحين يحين ، وعده ذهابه هو وأسرتة إلى المطار أنقل له حقائبه بنفسى إلى أوتوبيس الفندق ، برغم أننى كنت رئيس الوادية اللية والمفروض أن يقوم مساعدى بهذا العمل .. فيلس فى يلى ٣٠ بنساً وهو يتمنى إلى النجاح وأنا أتمنى له رحلة طيبة . . .

لم يعرفنى بنفسه ، لكننى لمحت إسمه المكتوب على حقائبه : المهندس « سعد . ح . العبد » رئيس مجلس إدارة شركة النحاس المصرية بالإسكندرية ، الذى سوف يعرف الآن فقط وهو يقرأ هذه السطور ، أن الـ « پورتر » المصرى الذى قابله فجر أحد أيام أكتوبر الماضى فى فندق « سنترال پورت هوتيل » فى مطار لندن ، وحمل له حقائبه من الفندق إلى الأوتوبيس ، هو نفسه الصحفي الذى يكتب هذا الكلام الآن فى القاهرة . . . لك عندى ٣٠ بنس يا باشمهندس ! ! .

(١٤)

□ إنه عالم أهبل أهبل أهبل !!! □

أو

□ خطاب حب إلى واحدة ما أعرفهاش !!! □

للمرة

الثانية

أتعرض لنفس الموقف : كنت سهراناً في مكتبي في الفندق حين جاءت في الخامسة صباحاً سيارة سبور رياضية « چاجوار » فاخرة وركنت أمام الفندق ، لينزل منها رجل طويل القامة مهيب المنظر فاخر جداً وشيك جداً شكله كأستاذة الجامعة الإنجليز ، ببلدته الإسكوتش ونظارته الطبية البيضاء الأنيقة وشعره المشوب بالبياض والبايب المعلق في جانب فمه . . هببت واقفاً لتحيته ، لكنه تجاوزني بعظمة ونفخة وكبرياء دون أن يرد تحيتي . .

بعد دقائق دخلت دورة المياه ، فوجدت أستاذ الجامعة الأنيق الشيك ذا البدة الاسكوتش الفاخرة ، خالماً چاكته وممسكاً بـخيشة المسح والجردل والفرشاة ينظف دورة المياه ، بنفس العظمة والنفخة والكبرياء !! .
في السادسة صباحاً مر من أمامي مرة أخرى ، وركب سيارته الأسبور الرياضية الـ « چاجوار » . . وانطلق !!! .

الإنجليز قطعا

ناس مجانين . . فيهم أشياء وتصرفات غير طبيعية . . وقد أتاح لي عملى فى هذا الفندق أن أرى أكبر قدر ممكن من العبط ومن الحبلى الإنجليزى ! . . هؤلاء الشبان والبنات الـ « هيبيز » ، الذين يحمل كل واحد منهم وكل واحدة منهم « جرابنديته » خلف ظهره ، ويرتدى ملابس ممزقة وأسالا بالية وهلاهيل لا يرتديها الشحاتين عندنا فى مصر . فتساورك الرغبة فى أن تمد يلك إليه بشلن يفك به أزمته . . لكنك تفاجأ بالواحد منهم لا ينزل فى بيوت الشباب ولا ينام على اللكك الخشبية فى الـ « هايدپارك » شأن المفلسين . إنما يذهب إلى فنادق الدرجة الأولى مثل فندقنا ليلدفع ٧ جنيهات إسترلينية وشوية لمجرد مبيتته فقط فى الليلة الواحدة . غير ما يفقه فى الكافيتيريا وفى بار الفندق ! ! .

وبمناسبة الـ « هيبيز » إكتشفت هنا مؤخراً شيئاً ظريفاً جداً عن الهيبيز الزوج : ذلك الشعر الأكرت الهايش العظيم الذى يعاو رؤوسهم يشبه منفضة السقف ، ليس إلا : باروكات ! ! . . آل يعنى هم ناقصين قبح فى المنظر وفى الشكل لكى يزيلوا أنفسهم قبحاً . . لكن يبدو أن المسألة كما قلت : إنه عالم أهبل أهبل أهبل ! .

وبقلدر

ما هو

مشهور ومعروف عن الإنجليز من الأدب فى التعامل . فإنك أيضاً فى الوقت نفسه معرض فى أى لحظة إلى شطحة أو هفة من الشطحات والهفات الإنجليزى : ذلك الرجل الهندى الذى كان يبدو شخصاً هاماً ، كان ينزل عندنا فى الفندق ، وذهب فى أوتوبيس الفندق إلى المطار .

منتصف الليل لكي يستقبل زوجته القادمة من الهند ، وطلب أن يذهب الأوتوبيس إليه في المطار مرة أخرى في الثالثة والنصف صباحاً ليعود به هو وزوجته إلى الفندق . . لم أكن رئيس الوردية في تلك الليلة ومع ذلك قمت بتذكير « ريتشارد » عدة مرات بموعده النزيل الهندي في المطار ، ليوقظ « ريتشارد » السائق « چوك » لكي يذهب بالأوتوبيس لإحضار النزيل الهندي وزوجته ، لكن « ريتشارد » طنش ولم يوقظ « چوك » ، حتى استيقظ هذا وحده في الخامسة والنصف صباحاً — بعد الموعد بساعتين كاملتين — وذهب إلى المطار . . لكن النزيل الهندي — بعد أن زهق من الانتظار — عاد إلى الفندق بتاكسي على حسابه بمجرد ذهاب « چوك » . . ولم يعجب ذلك التصرف « چوك » السائق، وزعل جداً واتحمق ، فرفع سماعة التليفون وطلب النزيل الهندي في غرفته وشتمه وبهذه وقفل التايفون في وشه : لماذا لم ينتظره في المطار حتى لو ذهب إليه متأخراً عشرة أيام ؟ ! . . آلمني أنني كنت طرفاً في هذا الموضوع — على الأقل رأيته — دون أن أستطيع أن أتدخل إلى جانب النزيل الهندي الذي كان على حق قطعاً . . لكن ، وأنا مالي ، ما يتفلقوا في قلب بعض . . الراجل الهندي مش حايزعل مني أنا شخصياً لكن حايزعل من الإنجليز ومن إنجلترا نفسها . . ويمكن الهند تترك ال « كومنولث » من تحت راس الحكاية دي ! ! .

وزميل

العمل

الإنجليزي شخصية ظريفة جداً وغريبة جداً : يكون سهران معك في الشغل طول الليل تمزحان وتضحكان وتتبادلان النكت ، وفي نهاية العمل تخرجان معاً ، فيذهب ليركب سيارته ويكون طريقه هو نفس طريقك فلا يعرض عليك أن يوصلك . . ولو وجدك واقفاً على محطة الأوتوبيس فلن يكلف خاطره حتى بالنظر إلى ناحيتك ، وغايته لو تكرم ونظر إليك

فسيلوح لك بيده وهو منطلق بأقصى سرعة ليقول لك : « إلى اللقاء بالليل » !! :

أخونا

التونسي

« محمد والي » صاحب بنسيون « كارميل هاوس هوتيل » : يبدو أنه أصيب بالعدوى من الإنجليز : لديه كلب اسمه « سام » لا يطيق أن يبتعد عنه ، للدرجة أنه يأخذه معه حين يسافر إلى الخارج . . لذا فـ « سام » — الكلب — له پاسپور وفيه صورة مائنة لسيادته وهو « يتسمم منه وهبوا » . . وله حبيبة حين ينادى واحد منا على اسمها « جيني » يطرد « سام » ودانه ويهز ذيله ويجري إلى ناحية الباب ليستقبلها : ثم يغضب وينبح في وجوهنا — برقة وأدب ودمائة ووداعة — حين يكتشف أننا كنا نسخر منه ونن « عواطفه » ، وأن « جيني » لم تأت بعد ! !

والإنجليز — كان الله في عونهم — مهتمون جداً بتربية الكلاب والقطط إلى حد الهوس والجنون . . للدرجة أنه في كل محلات البقالة والـ « سوپر ماركت » تجد رفوفاً كاملة لأطعمة القطط والكلاب : عاب محفوظ : أكل القطط مرسوم على كل علبة منه صورة قطرة ظريفة حسناء ، وأكل الكلاب مرسوم على كل علبة صورة كلب وسيم . . ليس ذلك فقط ، بل إنك تجد في المحلات الكبيرة قسماً خاصاً لـ « لعب » القطط والكلاب على شكل « عظام » مختلفة الأشكال والألوان والأنواع . . ليست عظاماً حقيقية طبعاً ، ولكنها مصنوعة من البلاستيك بلون العظام الحقيقية . . أتصور أن المفروض في هذه الحالة أن « البيه الكلب » يجيء مع الهانم الإنجليزية صاحبه لكي « ينق » العظمة التي تعجبه ! !

وفي

بعض

المحلات الكبيرة في شارع « أوكسفورد ستريت » بالذات تجد
 ركناً خاصاً لهذه اللعبة « الصحفية » الظريفة : « كيف تنشر إسمك
 وخبراً عنك في نسخة واحدة من أى صحيفة إنجليزية تعجبك » ! ! .
 يكتب الخبر الذي تريده أن ينشر عنك على اعتبار أنك عملت كذا
 وكذا وسويت الحوايل . وأن المستر « هيث » رئيس وزراء إنجلترا قد
 استقبلك بنفسه في مطار لندن . وأنت قد قابلت المرحوم المستر تشرشل
 في « تربته » . وأنت قد سحرت الأميرة « آن » برمش عينيك وأنها
 سوف تترك خطيبها من أجلك .. إفشر ما شئت وخذ راحتك على الآخر
 وقل كل اللي في نفسك . وادفع ثلاثة شلنات ليطلع لك هذا « الخبر » وأنت
 واقف في نسخة واحدة من الجريدة الإنجليزية التي تختارها . لكي تأخذها
 معك وأنت عائد إلى بلادك لكي تفرح بيها العيال . عيالاك يعني ،
 ولكي تثبت للناس في بلادك أنك مهم ، وأنت ولا رحت ولا جيت ولا
 قابلت أحداً إلا كمسارية المترو ! !

الآن فقط عرفت كيف يفوز « عبد اللطيف التلبناني » و « شريفة فاضل »
 دائماً في مهرجانات الأغنية في أوروبا ! !

حين

رأيتهن

لأول مرة ظننت أن الحرب قد قامت فجأة وأن حالة التعبئة العامة قد
 أعلنت : فتيات يرتدين « أوڤرول » قطعة واحدة من قماش يشبه الجلد ..
 ويضعن فوق رؤوسهن خوذة كخوذات سباقات السيارات . ويركبن
 موتوسيكلات متشابهة ينطلقن بها بسرعة هائلة في شوارع لندن .. ظننتهن

— على الأقل — فريقاً رياضياً يتدربن على سباقات الموتوسيكلات في شوارع لندن . حتى فوجئت مرة بتظاير الموتوسيكلات المتشابهة هذا « راكناً » عند الباب الخلفى لأحد المطاعم في شارع جانبي صغير متفرع من « أوكسفورد ستريت » . وكانت عندى الفرصة لكى أقرأ ما هو مكتوب على الموتوسيكلات .. فاكشفت أنها تبعة لمطعم اسمه « شيش كباب تركى » لتقوم بتوصيل الطلبات إلى المنازل ! !

وبمناسبة هذه الـ « خوذات » : عرفت هنا أن قانون المرور الإنجليزى يلزم راكبي الموتوسيكلات — نساء أو رجال — بلبس هذه الخوذة الخطيرة كأنهم ذاهبون إلى الحرب . . . وذلك خوفاً على رؤوسهم من حوادث انقلاب الموتوسيكلات .. وأن الذى يخالف هذا القانون يستوقفه رجال المرور ويسحبون ترخيصه فوراً ويعاقب بمعرفة شئ إليه وإليه من مواد قانون العقوبات ! ! . . . وتصبح المسألة شكايها ظريف جداً : شاب يأخذ صاحبه وراءه على الموتوسيكل خارجين يتفسمحان ويشمان الهواء ويحبان بعضهما على الموتوسيكل ، فتجد الحبيين وقد لبس كل منهما فى دماغه هذه الكسرولة الغير رومانسية على الإطلاق : فتجعهما أشبه برجال الفضاء فى طريقهما إلى القمر . . .

أتصور

أن

أغلى شئ فى لندن هو المواصلات . . ثمن التذكرة فى الأوتوبيس أو فى المترو الـ « أندرجراوند » لا يقل عن شلن ، يعنى نحو ٨ قروش مصرية حتى لو ركبت محطة واحدة ، وتندرج فى الزيادة بزيادة عدد المحطات حتى تصل إلى ٧٥ بنساً أو ما يساوى ١٣٥ قرشاً مصرية . . . وهى أغلى تذكرة أوتوبيس عرفتها أنا على الأقل . . .

والتاكسيات فى لندن حكايتها حكاية : كلها شكل واحد وطرار واحد :

سوداء كبيرة الحجم قديمة الطراز تشبه سيارات نقل الموتى، يفصل بينك وبين السائق من الداخل لوح زجاجي أو نافذة زجاجية حتى لا يسمع كلامك مع صديقك أو صديقتك، ولا يفتحها إلا إذا تقررت له عليها.. والعداد يبدأ بـ ١٨ بنساً ثم يجرى بسرعة البرق ليعده كل ٣ بنسات معاً: ١٨-٢١-٢٤-٢٧-٣٠ وهكذا . . . وكل ٣٠ بنساً يعدها العداد يأخذ السائق منك ١٠ بنسات زيادة كبشيش إجباري، غير البشيش العادي طبعاً الذي يجب ألا يقل عن ١٠ بنسات، وإلا نظر السائق إليك باحتقار يساوي ١٠٠ جنيه ! والتاكسي لا يحمل حقائب الزبون في شنته الخلفية مثل عندنا . إنما لها مكان خاص بجوار السائق نفسه . . ليس بجوار كرسي السائق كرسي آخر . إنما المكان الذي بجواره نزال تماماً ليس فيه إلا قرصة ميزان تضع فوقها حقائبك فتوزن وتُدفع عنها أجراً غير أجر المشوار نفسه !! مش حاجة سهيلة زي عندنا، تطالع التاكسي ومالك قفّة أو سحارة أو صندرة بحالها ما حدش يقول لك حاجة .: كما أن سائق التاكسي لا يتحرك من مكانه ليحمل عنك - أوحى ليحمل معك - حقائبك . . أنت تحمل حقائبك بنفسك وتضعها فوق الميزان داخل التاكسي بنفسك والبيه السائق قاعد مطرحه مستريح ٢٤ قيراط ، هي حقائبه هو والا حقائبك أنت ؟ ! .

والمرور في

لندن تنظمه وتقوده - والله أعلم - الشرطيات النساء فقط . . فإنني لم أر «رجل مرور» واحداً طوال فترة وجودي في لندن . . وإن كنا نستطيع أن نسمي هؤلاء الشرطيات « نساء » تجاوزاً ، لأنهن يعتبرن كذلك من الناحية التشريحية فقط ! ! .

أما قطارات للسكة الحديد الإنجليزية فهي التي ظريفة حقاً : القطار

نفسه يبدو وكأنهم 'جاءوا به من متحف القطارات الأثرية التاريخية ،
ولا يمت بأدنى صلة إلى القطارات الحديثة الحجرية أو الديزل أو الإكسپريس
.. إنما يشبه القطارات التي نراها في أفلام رعاة البقر أيام أن سارت القطارات
في أمريكا للمرة الأولى : تفتح باب عربة القطار فتجد نفسك داخل
الصالون على الفور .. يعنى كل كنبتين ٤ مقاعد بينها باب يفتح على الرصيف
مباشرة ، وتفتح الباب وأنت على الرصيف تلاقى نفسك قاعد دوغرى ..

ركبت هذا القطار التحفة — رغم سرعته — عدة مرات من لندن إلى
« ويست كرويلون » وإلى « ستراتفورد » قرية شكسبير الشهيرة . . في
المحطات التي وقف فيها القطار لاحظت شيئاً ظريفاً جداً : صوت
مذيعة حسناء تقول بصوت حلو مشرق : « القطار الواقف الآن على رصيف
رقم كذا في هذه المحطة . ذاهب في اتجاه محطات كذا وكذا » ، وتعود
فتكرر نفس النداء مرتين ، ثم يأتى بعلمها صوت خنشور ليقول :
« والقطار الذى على رصيف رقم كذا ذاهب إلى محطات كذا وكذا » ،
ويكرر النداء مرتين ، ومع السلامة . وينطلق القطار التحفة السريع
يستأنف رحلته من جديد . .

منظمين بشكل يفرض هؤلاء الناس ، ولا يستطيع الواحد أن
يقفش عليهم خطأ واحداً في التنظيم ، منهى التسهيلات بحيث لو ذهب
حمار مخطط وحده إلى لندن لما تاه أبداً في مواصلاتها ، واحنا عندنا
القطارات نفسها بتتوه .. والله العظيم والله العظيم هذه ليست تشنعة :
ركبت مرة أوتوبيساً في القاهرة ، وكان السائق كل شوية يتوقف ليسأل
الركاب : « هه ، وبعد كده حانمشى مين ؟ » لأنه هو والكمسارى
كانا جديدين على هذا الخط وأول مرة يعملان فيه ! ! .

والإنجليز

من

أكثر شعوب العالم إيماناً بالتفاؤل والتشاؤم . ولهم في ذلك أشياء وتصرفات تنبت من الضحك . . فهم - مثلاً - لا يتعاملون مع رقم ١٣ أبداً . . ملغى تماماً من حياتهم . . لن تجد أتوبيس رقم ١٣ ولا منزل رقم ١٣ ولا غرفة رقم ١٣ أو ٢١٣ ، وهكذا . . أما إذا صادف وجاء يوم ١٣ في الشهر يوم الجمعة فياداهية دق . . تبقى المصيبة دويل !! . .

ويتشاءمون إذا كسروا مرآة . ويعتبرون أن ذلك نذير بسبع سنوات كاملة من الحظ السيئ . . ويتشاءمون إذا عبر أحدهم تحت سلم مزدوج موضوع في مكان ما دون أن يتنبه . . ويتشاءمون إذا رأوا قطعة سوداء في يوم الجمعة . . إما إذا كان ذلك في أي يوم آخر من أيام الأسبوع فهم يتفاءلون . . وقد تكون نفس القطعة والله أعلم . .

وهم يضيعون أثر التشاؤم بشئ بسيط جداً ، هو أن يأخذ الواحد منهم بين أصبعيه شوية ملح صغيرين جداً ويلقيها وراء كتفه اليمنى . . لذا نصحت أصدقائي الإنجليز بأن يأخذ كل واحد منهم معه وهو خارج إلى الشارع - من باب الاحتياط - كيس ملح أو ملاحه ! ! .

وقد

تعلمت

لعبة ظريفة من ألعاب التفاؤل : الإنجليز عندما يعثر أحدهم على دبوس إبرة ملقى على الأرض ، يلتقطه ويحتفظ به في مكان ظاهر في غرفته أو في بيته . . حاولت أن أقلدهم في هذه العادة ، فكلما عثرت على دبوس في الأرض التقطته ورشقتة في تسريحة غرقي . . لكن العكس

كان يحدث معي دائماً ، فكلما عثرت على دبوس جاءتني مصيبة . .
وبعد ٤ دبابيس كنت قد اقتنعت تماماً بأن الإنجليز يخدعونني وأنهم
عايزين يودوني في داهية ويبرموا لي الدبابيس في طريقي . . فبطلت التقطها
من الأرض ، وأصبحت حين أرى دبوساً مرمياً في الأرض أشيح بوجهي
إلى الناحية الأخرى حتى لا يراني هو !

لاقيت

صعوبة

كبيرة في بداية عملي في الفندق في التفاهم مع بعض العاملين الإنجليز
الذين يتكلمون بلهجة الـ « كوكنى » لهجة منطقة الـ « إيسست إند »
في لندن . . وكنت لا أفهم ما يقولون إلا بعد أن يكرروه مرة ومرتين
وثلاثة ، ويبطء . . وكنت في البداية أظن أن العيب مني أنا ، حتى
اكتشفت مع الوقت أنني لست أنا وحدي « الجاهل » ، إنما كثيرون من
الإنجليز أو الذين لغتهم الأصلية هي الإنجليزية ، أيضاً لا يفهمون لهجة
الـ « كوكنى » . . .

مستر « بتشورتشيك » المدير المساعد للفندق : نصف ألماني ، لذا
فهو « متعلم » اللغة الإنجليزية زي حالاتي ، وحاله مثل حالي في « التفاهم »
مع « الناطقين بالكوكنى » . . اليوم كان يقف معي في الصباح نتكلم
في موضوع ما ، وكان السائق « أنتوني » موجوداً ، فتدخل في الحديث
بطريقته الـ « كوكنى » التي تضخم الحروف ولا يفتح فمه وهو يتكلمها . .
فلم يفهم مستر « بتشورتشيك » من « أنتوني » شيئاً ، فالتفت إليّ ليسألني
: « ماذا يقول أنتوني ؟ » ، فترجمت له — إلى الإنجليزية — ما قاله
« أنتوني » بالإنجليزية ! ! .

ومن التيسيرات

والتسهيلات الممتازة عند الإنجليز والتي تفتقد عندنا في مصر مثيلاتها تماماً : أكشاك التليفونات العمومية . . في كل شارع وفي كل محطة مترو تجد عدداً من هذه الأكشاك متقاربة . . تدخل الكشك — الزجاجي — وتقف الباب وراءك فتعزل عن جو الشارع تماماً . . تضع في الثقب قطعة العملة ذات الـ ٢ بنس وتتكلم لمدة ٣ دقائق . فإذا سمعت الصفارة التي تفيد انتهاء المدة تضع قطعة أخرى من العملة وتستمر في المكالمة ٣ دقائق أخرى : وهكذا إلى ما شاء الله . . أما إذا كنت ناوي ترغي مع حسناء مثلاً . فهناك ثقب آخر تضع فيه قطعة من فئة العشرة بنسات مرة واحدة وتتكلم لمدة ربع ساعة كاملة دون أن تزعجك الصفارة . . وكل تليفون في هذه الأكشاك له رقم خاص مثل أى تليفون في أى مكان . . يعنى يستطيع أحد أصدقائك أن يتصل بك هو في تليفون الكشك القريب من بيتك مثلاً في موعد محدد تنتظره فيه داخل الكشك ، وتتكلم ١٠ ساعات في هذه الحالة دون أن تنقطع المكالمة إذا كان الذى يطلبك — أو « الى » — تتكلم من تليفون بيت . .

وحين تعصلج معك النمرة التي تطلبها فإنك تطلب رقم ١٠٠ ، الذى يوازي رقم ١٦ أو ١٨٨ عندنا في القاهرة ، لكنه في لندن يرد عليك على الفور — وبأدب شديد — ويوصلك بالنمرة المطلوبة ويشكرك هو قبل أن يخرج من الخط ولا ينتظر حتى تشكره أنت . . أدب إنجليزى . . عقبالنا يارب : في التليفونات ، وفي الأدب ! !

وفي كل كشك من أكشاك التليفون هذه مجموعة كاملة من دفاتر تليفونات مدينة لندن ، عددها ستة دفاتر . . موضوعة في الكشك الموجود في الشارع ، دون حراسة ٥٥ ولا أحد يمزق صفحاتها أو يعيث بها أو يشخبط

فيها . . أسافر من لندن وأرجع لها فأجدهم كما هم لا أحد ينقلهم من مكانهم ولا أحد يسيئ استعمالهم . . لو كانوا عندنا في مصر لأصبحوا بعد ١٠ دقائق قراطيس لب وسوداني وترمس وطعمية !

سيارة

لورى

مقفلة تشبه سيارات نقل الأثاث ، لكنها مصممة بطريقة ظريفة . . غالباً ما تراها في ضواحي لندن المتطرفة . . تدخل شوارع الضاحية في الصباح في موعد يكاد يكون ثابتاً بالنسبة لكل شارع . . وتتوقف فيه لتفتح جوانبها ومؤخرتها لتكشف عن « محل خضري وفكهاني » متنقل على السيارة اللورى . . وتطلق السيارة بوقها مرة واحدة فقط إعلاناً عن وصولها ، فتتزل إليها ربات البيوت ليشترين منها احتياجاتهن من الخضر والفاكهة . . يعنى التكنولوجيا الإنجليزية استبدلت عربات اليد للباعة المتجولين بسيارات لورى . .

وتلك النغمات الموسيقية على البيانو التي أسمعها كل يوم في الساعة الرابعة عصراً ، ظننتها في البداية دقات ساعة أو إشارات ضبط الوقت من راديو أو تليفزيون الجيران العالى ، حتى اكتشفت أنها : بتاع الحيلاتي الإنجليزى السريع . . عندنا ينفخ في زماره وهنا — على قدر المستوى — يلعب موسيقى ! !

نزلت

مع

البنات اليوم صباحاً ليرينى شيئاً جديداً « إكتشفنه » يوم الأحد الماضى : « سوق الأحد » ، الذى يقام كل يوم أحد في الأرض الفضاء للواسعة التي تقع خلف الفندق : البنات المصريات أطلقن عليه

« سوق اليهود » لأن اليهود هم الوحيدون الذين يعملون يوم الأحد . أما الإنجليز المسيحيون فيقدسون أجازة الأحد . .

وكنيت أظن أن زبائن هذا السوق هم فقط العاماون في فندقنا وعلى الأكثر نزلاءه أيضاً . . لكنني فوجئت بعدد مهول من الناس قدموا من كل مكان بالأوتوبيسات والسيارات الخاصة . وجاءوا من الشيراتون ومن كل الفنادق القريبة منا . مع أن السوق « نقالي » ينصب يوماً واحداً في الأسبوع : لكن البضائع التي تباع فيه قطعاً أرخص كثيراً من مثيلاتها في المحلات العادية : تستطيع أن تشترى « تايراً » من قطعتين من القماش الفاخر بجنيه واحد . ممكن أن تجد فيه بالطوحرى ممتاز بجنيه واحد . ستجد فيه بنطلون رجالى شيك جداً — زى اللى أنا لابس ده — بخمسين بنساً . يعنى نصف جنيه .. أشيك « تاير » عادت به « منى » من لندن . وأشيك « فستان » إشتريته « سوسن » في رحلتها كلها . كل منهما دفعت فيه جنيهًا واحداً .. لذا أتصور أن أغاب هذه البضائع — إن لم تكن كلها — مستعملة مجددة أو شيء من هذا القبيل . وإلا فما سبب رخص أسعارها هكذا ؟ وأصحاب هذه البضائع يأتون بها في سياراتهم الخاصة الصبح بدرى جداً ، وقبل الساعة التاسعة تكون البضائع مرصوفة ومعرضة على تراييزات تقام بسرعة قبل أن يأتى الزبائن . . وتستطيع أن « تقيس » أى شيء في غرفة قياس صغيرة مربعة من البلاستيك منصوبة إلى جوار كل بائع مثل خيمة البلاج . .

اليوم

الأربعاء ،

نزلت سوق « هونزلويل هاى ستريت » ظهراً لعمل جولة في المحلات . . فوجئت بمعلومة جديدة أعرفها لأول مرة : أغلب المحلات في لندن تقفل أبوابها بدرى يوم الأربعاء ، من بعد الثانية ظهراً ،

وهي في العادة لا تقفل قبل الخامسة مساءً ! ! . . لم أفهم لماذا يوم الأربعاء بالذات . . وتلاقى بهم هم كمان مش عارفين ليه . .

وبمناسبة المحلات والسوق والشراء : الأولاد والبنات المصريون هنا حين يتزلون للشراء يحسبون كل شيء بالعملة المصرية : هذا البنطلون بأربعة جنيهات إسترلينية ، يعنى بسبعة جنيهات مصرية . . لا ، يبقى غالى . . هذا البالطو — مثلاً — بعشرة جنيهات إنجليزية ، يعنى يساوى ١٧ جنيهًا مصريًا . . لا ، يبقى غالى . . أقل تذكره سيما هنا بـ ٦٠ بنسًا أمام الشاشة على طول ، وتندرج بعد ذلك من ٩٠ إلى ١٢٠ بنسًا في الصالة . وبـ ١٤٥ بنسًا إلى ١٧٥ بنسًا للباكون ، وهكذا . . لكن الأولاد المصريين ينسون أن هذه الأسعار تعتبر إلى حد كبير رخيصة جداً بالنسبة إلى مستوى الأجور هنا . . إلا أنهم يريدون أن يعيشوا في لندن بأسعار القاهرة . وينسون أنهم يعيشون في لندن ويتقاضون مرتبات لندن . . ويقبض الواحد منهم في لندن ٢٥ جنيهًا في الأسبوع مثلاً ، يعنى ١٠٠ جنيه إسترليني في الشهر = ١٦٠ أو ١٧٠ جنيهًا مصريًا ، غير البقشيش ، لكنه حين يصرف يريد أن يجد صاندوتش الفول والطعمية بقرشين ووجبة الغداء بعشرة قروش وتذكره المتر وبخمسعة تعريفة . . وذلك غير معقول طبعًا ، لأنه يتقاضى في أسبوع واحد هنا ما يتقاضاه خريج الجامعة في مصر في ٣ شهور . .

هنا

يطلقون

على فنادقهم أسماء المشاهير والأعلام . . فتجد : « راسل هوتيل » و « شلوك هولز هوتيل » و « تشارلز ديكنز هوتيل » و « تشرشل هوتيل » ، منسوبة إلى الشخصيات الالامعة في تاريخ السياسة والأدب والفكر الإنجليزي . .

تري هل سنجد يوماً عندنا في مصر فنادق بأسماء « طه حسين هوتيل »
أو « محمود تيمور هوتيل » أو « عزيز أباظة هوتيل » أو « محمد عبد الحليم
عبد الله هوتيل » ؟! .. لا أظن . لأن الفكر والأدب في بلدنا رخيصان جداً
والتمثيل والغناء والرقص هم اللي لهم قيمة ، لذا فإننا — غايتهم — قد نجد يوماً ما :
« عماشة هوتيل » أو « همبكة هوتيل » أو « فؤاد المهندس هوتيل » أو
— يمكن — « شفيق جلال هوتيل » ! !

في أغلب

الميادين الرئيسية في لندن وفي الشوارع الـ « أوتوستراد » اللي تنطلق فيها
السيارات بسهولة متدفقة لا تنقطع ولا تتوقف ، لن يقابلك عسكري مرور
ينظم مرور المشاه الذين يريدون أن يعبروا الشارع ، لكنك ستجد الطرق
السفلية الـ « سب وايز Subways » التي تمر تحت الشارع بالعرض حتى
يتفادى المشاه السيارات المنطلقة بلا توقف في بحر الشارع نفسه .. وفي كثير
من المناطق ، مثل منطقة « هايد پارك كورنر » ستجد أن هناك عدداً
كبيراً من هذه الشوارع أو الأنفاق السفلية ممتدة تحت المنطقة كلها ، ولها
خريطة معلقة على جدران النفق تقابل كل بضع خطوات لتبين لك أين
أنت الآن . . وهذه الممرات التي تحت الأرض نظيفة جداً ومضاءة جيداً
كأنها شارع رئيسي بالضبط وأكثر ، حتى لا يكون هناك فرصة أمام أحد
ليسئ استخدامها . : وفي أغلب الأحيان تجد لها مزينة بلوحات تشكيلية
جميلة ، بالنقش البارز أو السيراميك الملون وما إلى ذلك ، وفي بعضها
تماثيل أيضاً . :

وفى

هذا

العالم المحبون الذى إسمه لندن طريقة غريبة وظريفة جداً للشحاتة
 الإنجليزى : الصبيان والبنيات الكويسين الشيك جداً ، الواضح أنهم
 أولاد ناس : يجيئون بدمية فى حجم الرجل العادى ويلبسونها ملابس
 عادية : ينطلون وسويتير مثلاً ، وكاب وحذاء ، ويجلسونها على الأرض
 مسنودة إلى حائط أو إلى جذع شجرة ، ثم يصطادون المارة السائرين فى
 الشارع يطلبون منهم « بنس واحد من أجل جوى » بهذه العبارة التى لا
 تتغير كأنها اصطلاح أو كأنها من قواعد اللعبة Have you a penny
 for goy? . . . ورزق الهبل على المجانين : ناس يعطونهم بنساً أو
 عدة بنسات من أجل مسر « جوى » الراقد على الأرض ، وناس لا
 يعطونهم . . . لكن الأولاد لا يلحون على أحد ولا يطاردون أحداً . . . إنما
 هى على أى حال طريقة غريبة جداً للشحاتة الإنجليزى ، تكاد تشبهها
 إلى حد ما ما يحدث من الأطفال عندنا فى شهر رمضان فى الأحياء الشعبية
 حين يحملون فوانيسهم ويروحوا يطرقون أبواب بيوت الحى ويلاحقون
 الناس السائرين فى شوارعهم : « حاللو يا حاللورمضان كريم يا حاللو . .
 لولا فلان لولاجينا ، ياللا الغفار ، ولا تعبنا رجلينا ، ياللا الغفار ، يحل
 كيسه ويدينا ، ياللا الغفار . . إدونا العادة . . إلخ » فيحل كل فلان
 كيسه ويديهم . .

يبدو

أن

الإنجليز مصريون على أن يجعلوني أرى كل تقاليعهم الغريبة
 و « هفاتهم » الهباء : « دان Dan » رجل الأمن الذى يعمل فى مطار

« هيثرو » ويقيم عندنا في الفندق ، شرب شوية زيادة الليلة وانبسط وشعشع . فقرر أن يبسط زوجته أيضاً ، بأن يرسل لها خطاباً غرامياً ، ليس منه هو لكن : مني أنا ! ! . . جاء إلى مكنتي ليطلب مني أن أكتب خطاباً - باللغة العربية - إلى زوجته في « ويلز » ، أقول فيه أني باحبها وباموت فيها وبافكر فيها ليل ونهار ولا أنام الليل من أجلها . . وإذا نمت فإنما فقط - لكي أحلم بها وأظل طول الليل أردد : « مسز دان مسز دان مسز دان . . » ، ثم أوقع الخطاب بإسمى : قلدرى ! !

ولأن « دان » رجل عاقل وهادئ ومعقول عادة ، فقد ظننته في البداية يمزح . لكنني حين رأيت أنه وانخد المسألة جد فعلا لم أجد بداً من كتابة الخطاب الذي يريده وأنا أضع يدي على قلبي أحسن الست بشكل ما تعرف تقرأ الخطاب ، وتكون هبلاء زى جوزها فتصدق ما جاء فيه ، وتطلب الطلاق من زوجها الأحميل لكي تتزوج عاشقها المتيم المغرم صباية : اللي هو أنا ! !

على أى حال : ربنا يسر وتطلع حسناء ! !

كلمة

« هام »

Ham « تلعب دوراً كبيراً في أسماء المناطق في إنجلترا . . عشرات من المناطق في مختلف أنحاء إنجلترا تحمل في نهايتها كلمة « Ham » : ويستهام ، توتنهام ، إيستهام ، نوتنجهام ، برمنجهام ، كلابهام ، ستريتهام ، حتى قصر الملكة إسمه « باكنجهام » . . قطعاً لا بد أن يكون معنى كلمة « Ham » هذه شئ « هام » . . سألت زميلي الإنجليزي « ريتشارد » عن معناها ، فلعبت عيناه من الدهشة من وراء نظارته البيضاء ثم هرش رأسه وفكر طويلاً قبل أن يقول لي في النهاية : « مش عارف ! ! »

نزلت

اليوم

إلى ميدان الپيكاديللى . . التزول إلى ميدان الپيكاديللى يعتبر فسحة في حد ذاته حتى لو لم تكن ذاهباً لغرض معين . لأنه يعتبر سرقة لندن السياحية ، وتجد فيه السياح الأجانب من كل صنف وشكل ولون ، ولقربه الشديد أيضاً من حي « سوهو » الشهير ، حي الدعارة والجنس والإجرام في لندن . . وفي الوقت نفسه فمن ميدان الپيكاديللى يبدأ شارع « ريچنت ستريت » أفخر وأعلى شارع في لندن كلها . . كانت معى الصديقة المصرية « منى » . والبنت المصرية — كأي امرأة في أي مكان في العالم — تتوقف طويلاً أمام المجوهرات والجواهرجية حتى لو لم يكن في جيبها سوى ثلاثة تعريفة . . لفتت « منى » نظري إلى الساعات المعروضة في قاترينات محلات « ريچنت ستريت » . . الساعة بـ ٨٥٠ جنيه إسترليني وتصل إلى ١٠٠٠ جنيه — يعني ما يقرب من ١٧٠٠ جنيه مصري ! ! — . الغريب أنها ساعات تبين الوقت فقط ولا تختلف كثيراً عن ساعتي التي ثمنها — بالعملة المصرية — ١٢ جنيهًا . . لكن يبدو أن هذه الساعات — فئة الألف جنيه — فيها شيء لله مثلاً ، أو أن الساعة منها فيها أكثر من ٦٠ دقيقة ، يعني ساعة تطول العمر ، أولعها ساعة تمنع قيام الساعة . .

أتصور أنه لا يوجد إنسان عاقل يرضى أن يدفع في أي ساعة مهما كانت ثمنًا يزيد عن ٢٠ أو ٢٥ جنيه مثلاً ، حتى لو كانت ساعة ميدان التحرير ! !

الإعلانات

التي

« تتوسل » في طلب سائقين للأوتوبيسات أو المترو منتشرة هنا في كل مكان : سائق الأوتوبيس يعين بمرتبة قدره ١٤ جنيهًا في الأسبوع . وتنص الإعلانات على أنه يصل إلى ٥٠ جنيهًا في الأسبوع بعد سنة واحدة — يعني ٢٢٥ جنيهًا إسترلينا في الشهر ! ! ! — . ليس ذلك فقط ، فليس مهماً أن تكون تعرف القيادة أصلاً ، إنما شركات الأوتوبيس مستعدة لأن تأخذك وتدربك هي على القيادة على أن « تعدها » وعد شرف أنك سوف تعمل فيها بعد أن تتعلم ! !

عسكري المطافيء الإنجليزى المبتدىء ، الإعلانات تلح في طلبه هو الآخر ، وتقدم له مرتبة قدره ١٥٥ جنيهًا إسترلينا في الشهر : ؟ يعني نحو ٢٦٥ جنيهًا مصرياً ! !

ياترى رئيس مجلس إدارة هيئة النقل العام الإنجليزية ، أو مدير مطافئ عموم لندن ، يياخذوا كام ؟ !

أيضاً

من

التقاليع والهفات الإنجليزية الهبلاء : شئ غريب جداً حدث لى فى ميدان الـ « ترافلجار » الشهير فى لندن الذى يمتلىء بالحمام الإنجليزى الظريف الذى يحط على يدك وعلى ذراعك وفوق رأسك بهدوء واطمئنان ليلتقط حبات القمح من كفك . . كنت مع صديقة هناك ، ولأن كاميرتى أوتوماتيكية ، يعنى ممكن أن تُصَوِّرَ وحدها ، فقد وضعت الكاميرا على الحامل لكى ألتقط صورة لنا معاً ، ففوجئت باثنين من رجال بوليس لندن الشيك جداً ينقضان علىَّ ليمنعانى من استخدام الحامل أثناء

التصوير ، ويسألانى : « هل حصلت على تصريح باستخدام الحامل ؟ »
 .. سألتهما مندهشاً : « تصريح بالتصوير أم باستخدام الحامل فقط ؟ ! »
 قالا : « باستخدام الحامل فقط » قلت فى دهشة أشد : « يعنى
 التصوير فى حد ذاته ممكن بدون تصريح ، لكن استخدام الحامل هو
 الذى يحتاج إلى تصريح ؟ ! » ، فأجابا بالإيجاب ، ومنعائى فعلاً من
 استخدام الحامل برغم أننى أبرزت لهما بطاقتى الصحفية الدولية المطبوعة
 باللغة الإنجليزية والصادرة من الإتحاد الدولى للصحفيين ، إلا أنهما أصرا
 على أن استخرج تصريحاً من مكان وصفاه لى ، بينه وبين ميدان الـ
 « ترافلجار » حاجة كده زى من لندن إلى أسبوط ! !

طيب ليه ؟ ! .. فقط أريد أن أفهم الحكمة البريطانية البليغة فى
 أن التصوير فى حد ذاته ممكن ، لكن مع استخدام الحامل لا ؟ ! ..
 تكونشى سلطات بريطانيا ليست عشرية ولا تحب أن يتصور الناس مع
 بعضهم ، لكن ما عندهاش مانع أن كل واحد يتصور لوحده ؟ ! ..
 أو يكون الحامل يضايق سيادة حمام الترافلجار الشهير ؟ ! .. أو ممكن
 تكون اللى أصدرت هذا الفرمان البريطانى الغريب هى الملكة إليزابيث
 الأولى لأنها كانت عاقرو ومش بتنجب وليس لديها أطفال فتضايق من
 « حامل » ؟ ! ..

صديقى

ورئيسى

الإنجليزى الظريف « ريتشارد » طلب منى الليلة طلباً دمهٍ خفيف :
 طلب منى أن أعطيه نسخة من المجلة المصرية التى . أكتب فيها تكون
 صورتى منشورة فيها ، وأوقع له عليها بالعربية والإنجليزية لكى يريها
 ا « دادى » و « مامى » ، بناء على طلب « مامى » التى حكى لها كثيراً
 عني فطلبت أن ترى صورتى ! !

والله ودخلت التاريخ وحاتبقى مشهور يا أبو على عند « ست
 أم ريتشارد » وفي حوارى حى الـ « إيست إند » فى لندن و : « شايقة ياست
 أم روبرت يا اختى صورة اليه الصحفي المصرى صاحب إدلعدي
 سى ريتشارد إبنى . . وآل شوقى يا اختى — الكلام ده بالإنجليزى طبعاً .
 وباللهجة الـ « كوكنى » الستاتى — وآل إيه النبى حارسه بيشتغل پورتر
 مع سى ريتشارد فى الشغل . . والنبى الصحفيين دول لهم تقاليع عجب !

□ بنت سيئة السمعة !! □

اليوم
أول

رمضان وكل سنة واحنا طيبين . . . مجيء رمضان ونحن في الغربية في لندن بعيداً عن البيت والأسرة والأهل كان شيئاً قاسياً جداً على نفسية البنات المصريات اللاتي يعملن هنا في أجازة الصيف ، لذا تكرمن مشكورات واعتبرتني « كبير العائلة » . . . وبرغم أننا كنا جميعاً سهرانين معاً في الشغل حتى صباح اليوم . إلا أنني فوجئت قرب الظهير بمجموعة منهن يزرنني في البيت لتهنئني ببداية شهر الصيام . . .

بعد نزول البنات تلقيت دعوة ظريفة : أصحاب القبلا التي أسكن فيها باكستانيون مسلمون . . . الأخت « حفيظة » صاحبة القبلا جاءت تحمل لي هدية رمزية صغيرة : إمساكية فيها مواعيد الإفطار والسحور والإمساك . مطبوعة باللغة (الأوردية) التي يتكلمها الباكستانيون : وأيضاً تدعوني أنا وجارتي المصرية « منى » للإفطار أول يوم في رمضان على مائدتهم ، مع عدد من ضيوفهم الباكستانيين . . . لمسة إنسانية مسلمة ، على اعتبار أن النبي وصي على سبع جار . . . وهكذا قدر لي أيضاً أن أعرف على رمضان على الطريقة الباكستانية . . .

واجتمعنا عشرة أفراد حول مائدة الإفطار : ٨ باكستانيون ومصريان . . . وفوجئت بأن كل الأطباق التي وضعت على المائدة ١ « نفطر » نحن العشرة هي ثلاثة أطباق فقط : طبق فيه كمية عنب لا تزيد أبداً عن كيلو واحد ،

وطبق آخر فيه عدد من أصابع الموز بعددنا تقريباً . وطبق ثالث فيه شيء لم أتبينه جيداً في البداية . فلما همست في أذن « منى » أسألها : « وده يطلع إيه ؟ » همست هي الأخرى لى : « فلفل رومى مقلّى بالطريقة التى نقلى بها القرنبيط فى مصر » ! ! . أخذت إصبعاً من الموز وعدة حبات من العنب وأكلت حتى ملأت بطنى من هذا الفلفل المقلّى ، وأنا مندهش جداً من هذه العزومة القرديجى : يعنى الست « حفيظة » كلفت خاطرها وطلعت لغاية حجرتى فوق لتدعونى أنا و« منى » ، وتدعو ستة ضيوف آخرين غيرنا ، للإفطار ، على فلفل مقلّى وموز وعنب ؟ ! ده إيه الكرم ده كله ؟ !

ورفعت المائدة ، وبدأ الحديث والدرشة ومشاهدة برامج التليفزيون . وانهمك مستر « غلام الرسول » صاحب الفيلا فى حديث طويل باللغة (الأوردية) مع ضيوفه الپاكستانيين لم أفهم منه حرفاً واحداً بالطبع ، واقترب موعد ذهابى إلى العمل ، فاستأذنت وشكرتهم على هذا « الكرم » وصعدت إلى غرفتى لأنهى للذهاب إلى الفندق . . لكن الأخت « حفيظة » — التى كانت فى المطبخ عند انصرافى — لحقت بى فى غرفتى قبل أن أنزل لتقول لى أن « الإفطار » سيكون جاهزاً فى التاسعة والنصف مساءً ! ! . . « إفطار ! ! . إفطار إيه ياست ؟ ! أمال الفلفل المقلّى الللى أنا ملأت به بطنى ده كان إيه ؟ ! » .. « لا ده كان مجرد « أوردىقر » وفاتح للشهية » .. وحاولت أن أعذر لكنها أصرت وألحت ، وقدمت موعد الإفطار — علشان خاطرى — فجعلته فى الثامنة مساءً . . ولم يكن أمانى إلا العودة لأفطر — للمرة الثانية — إفطاراً على الطريقة الپاكستانية أيضاً : طبق واحد كبير يوضع لك فيه : أرز مطهو ، لبن زبادى ، قطع فراخ بالصلصة والدمعة ، قطع كفتة . . وكان الأكل الپاكستانى — الذى أتعامل معه لأول مرة — حراقاً جداً ومليئاً بالفلفل والشطة والبهارات اللاذعة ، لكنه والشهادة لله : كان لذيذاً : :

لم أكن

أتصور أنني سوف أصبح في يوم من الأيام فتوة من فتوات كباريهات الأفلام المصرية ، لكن يبدو أن العمل في فنادق إنجلترا سوف يعلمني الكثير : الليلة في الفندق قرب الثالثة صباحاً جاءت « سوسن » لتستنجد بي : « إلحقنا يا أونكل . . فيه واحد سكران في الكافيتيريا بيترازل علينا ومش عارفين نروح ولا نيجي منه » . . ودخلت إلى الكافيتيريا لأتفاهم مع أخيها السكران بالحسنى ، لكنه رفع في وجهي قبضته مهدداً . . فسته بنظري فوجدته سكران طينة بشكل لن يجعله قادراً على استعمال قبضته بصحيح ، فتوكلت على الله وشخطت فيه ثم حملته تحت إبطي وخرجت به من الكافيتيريا وألقيت به على أحد المقاعد في صالون مدخل الفندق ، وماكاد « يستقر » على المقعد حتى نام على الفور !

« سوسن » صفت بيديها سعيدة جداً كأنها تشاهد فيلماً من أفلام فريد شوقي وقالت وهي مبسوفة جداً : « أونكل حسين بيعحوش عن الحريم بتوعه . . آهي دي الأخلاق المصرية والا بلاش ! !

في الحقيقة

أن هذه النقطة بالذات كانت تشغلي جداً وأنا هنا في لندن أعمل في وسط ذلك العدد من الطلبة والطالبات المصريات : حكاية « الأخلاق المصرية » . . كان يهمني جداً أن أعرف كيف يتصرف الشبان المصريون – صبياناً وبنات – وهم بعيدون عن البيت وعن الأهل ، وكل منهم مسئول عن نفسه وعن تصرفاته مسئولة مزدوجة : مسئوليته « كفرد » مسئوليته

أولاً ، ومسئوليته « كمصري » ثانياً ! . . ما الذى يعود به هؤلاء الأولاد والبنات إلى مصر ؟ ! . . ما هى الإكتسابات الجديدة أو الصور الجديدة التى سوف يبدون عليها عند عودتهم إلى مصر بعد العمل فى أوروبا شهور الصيف ؟ ! . . ما هى الصورة التى سيراهم عليها أصدقائهم ومخالطوهم والمحيطون بهم بعد عودتهم . فيحاولوا أن يتشبهوا بهم ويقلدوهم ؟ ! . . الصورة المفروض أنه ستكون نتيجتها - فى مجموعها - تشجيع عدة آلاف آخرين من الطلبة والطالبات المصريات على محاولة المجئ إلى أوروبا فى إجازات الصيف القادمة ؟ !

كثيراً ما كنت أناقش هذا الموضوع بالذات مع التوأمتين « سوسن » و « سناء » حين نجتمع كل ليلة على مائدة العشاء أو السحور فى الفندق فى الثانية أو الثالثة صباحاً . ليحكى كل منا للآخرين حصيلة ما صادفه فى يومه . . التوأمتان « سوسن » و « سناء » (٢٠ سنة) - ٢٠ سنة لكل واحدة منهما طبعاً - بقدر ما هما متحابتان جداً ومتعاطفتان جداً وملتصقتان جداً ، بقدر ما هما مختلفتان جداً : « سوسن » رقيقة هشة ناعمة لا تستطيع أن تحكى لك شيئاً - منهما كان شيئاً جاداً - إلا وهى مسخخة من الضحك وحائق من طولها ، قطعاً صواميلها ومفاتيحها نعيمت من كثر الضحك . . أما « سناء » فيبدو أن فترة التجنيد التى قضتها فى الجيش العامل برتبة شاويش قد أكسبت شخصيتها قدراً كبيراً من الصلابة والعنف إلى حد الفظاظه أحياناً . . « سوسن » و « سناء » كل ليلة فى حال : ليلة « سوسن » خلاص مش مستحيلة البعد عن مصر أكثر من كده وتريد العودة حالا بأسرع وقت ممكن ، و « سناء » هى التى تصبرها وتشجعها وتقول لها نستنى لغاية ديسمبر . . وفى الليلة التالية تضم « سناء » كفيها متوسلة فى ضراعة وتجري وراء كل طائفة تراها أو تسمع صوتها تغادر أرض المطار محلقة ، وهى تناشدها : « خلنى معاك يا الى انت مسافر خلنى معاك » بينما « سوسن » هى التى تصبرها وتشجعها وتقول لها :

«طيب خلينا ولو لغاية العيد» .. وفي نهاية الأمر اقتنعت كل منهما بوجهة نظر الأخرى : التي كانت تعارض البقاء قررت أن تبقى . والتي كانت تريد أن تبقى وافقت على أن تسافر !

وقد لا

تختلف

مشاعرو جميع المصريين والمصريات هنا عن «شاعر» «سوسن» و «سناء» في الحنين إلى الوطن والرغبة في العودة إليه : وقد لا يختلفون أيضاً - معظمهم - في التمسك بمصريتهم ووطنيتهم وقت اللزوم . . لكن السمة الواضحة والظاهرة المشتركة بينهم جميعاً - صبياناً وبنات - هي أنهم يتغيرون فعلاً . وتحدث «هزة نفسية» حين يجدون أنفسهم في وسط مجتمعات أوروبا المتحررة المنطلقة التي تركت وراء ظهرها منذ سنوات بعيدة أشياء عفى عليها الزمن - في نظر المجتمعات الأوروبية - ، أشياء إسمها التقاليد والعادات والتمسك والقيم والحقوق والمحافظة .. كل هذه أشياء أصبحت «موضة قديمة» في المجتمعات الأوروبية .. ويحىء الولد المصري وتحيى البنت المصرية ليجدا أن هذا هو شكل «البحر» المطاوب منهما أن يسبحا فيه . . وهنا تختلف الطريقة ويختلف التعامل حسب البيئة والوسط والأصل والأخلاق والتربية التي جاء بها الشاب وجاءت بها الفتاة من مصر . . البعض - وهم أقلية جداً . . جداً جداً - يفضلون أن يبقوا على البر ولا ينزلوا للسباحة في هذا البحر الغريق . . والبعض يكتفى بالسباحة إلى البراميل فقط . . يعنى لغاية «حد الأمان» لكي يستطيع أن يتراجع وينسحب وقت اللزوم . . ويشترط في هذا «البعض» أن يكون أصلاً قد ترك وراءه وسطاً ومجتمعاً في مصر قريب الشبه إلى حد ما من المجتمعات الأوروبية . . أما البعض الثالث فهو الغشيم المتعافى الذي ما إن يرى البحر أمامه حتى «يتهلل» فيلقى بنفسه في خضمه ، وينطلق مع انطلاقاته

وينفلت مع انفلاتاته ويتصرف بطريقة « اللي يعرف خالى يروح يقول له » ،
على اعتبار أنها أجازة صيف وبعيداً عن رقابة الأهل ، وفرصة أن يمارس
هذا البعض الحرية و « يشم نفسه » ويتزود بحصيلة من « الذكريات » يجترها
حين يعود إلى المجتمع المقفول المترمت المحافظ الذى يعيش فيه فى القاهرة ..
ولأن المسألة ليست تشهيراً ولا تعريضاً . إنما هى فقط من باب تقرير
الواقع . وحتى يعرف كل أب وكل ولى أمر الشكل أو النوعية المحتمل أن
يندرج ابنه أو ابنته تحتها قبل أن يسمح له - أولها - بالسفر إلى أوروبا
فى الصيف لتعمل هناك : فإننى فيما يتعاق بالنوعيات المشرفة سأذكر
أسماءها الحقيقية . أما « النوعيات الأخرى » فلن أذكر أسماء ، لأن
الأسماء هنا لا تهم ..

البنت

المصرية

هنا تنقسم إلى ثلاث نوعيات : بنت مقيمة إقامة دائمة ، يعنى
تركت القاهرة وراءها لتعمل فى لندن طول السنة .. وهى إما أنها قررت أن
تستقر وتبقى هنا إلى الأبد وتنقل حياتها تماماً من القاهرة إلى لندن ، وإما
هى هنا لسنوات محدودة كثرت أو قلت .. مثيلات « يسرية يحيى
صادق » و « نورا سالم » و « عقيلة عبدون » و « ليلي سليمان » و « رابحة
سليمان » و « سعاد » وغيرهن .. وجميعهن قد أنهين دراساتهم فى القاهرة
قبل أن يجنن إلى هنا :

باقى نوعيتان للفتاة المصرية التى تعمل فى لندن .. النوعيتان
تشركان فى أنهما جاءتا للعمل هنا خلال شهور الصيف فقط ، يعنى فى
فترة أجازة الجامعات غالباً ..

□ بنت جاءت من وسط إجتماعى معين ، يحترم شخصية البنت
ويعطيها القدر من الثقة والحرية الذى يجعلها قادرة على اختيار أصدقائها

وصديقاتها ، ويسمح لها بأن يكون لها أصدقاء وزملاء شبان في حدود المعتقول . من باب « قدام عيني أحسن من وراء ظهري » . . . يربّيها ويفرس فيها إلى ربنا يقدره عليه من القيم والمبادئ والخلق ، ثم يتركها للتعامل مع الحياة بنفسها وبتقديرها الشخصي على حسب ما تربت عليه . . من هذه النوعية : « سهر حمزة » الطالبة بكلية التجارة بجامعة عين شمس ، و « ناجية نهاد العشري » المعيدة بكلية البنات بجامعة الأزهر ، و « منى » الموظفة في إحدى الهيئات في القاهرة . . وهن - غالباً - من بنات مصر الجديدة والزمالك وجاردن سيتي في القاهرة . .

□ النوعية الأخيرة عكس ذلك تماماً . . البنت المصرية العادية التي جاءت من بعض أحياء القاهرة الشعبية المشهورة بتقاليدها وكتبها وتزمتها ورجعيتها وطريقتها في التربية . . البنت التي جاءت من أسرة عادية متوسطة أو دون المتوسطة . تحكمها تقاليدها وقبورها وتلغى شخصية البنت تماماً ولا ترى فيها إلا « الأنثى » التي يجب أن تحاط بكل أنواع الرقابة والشك والتشدد حتى توصالها « سليمة » إلى « بيت العدل » . . البنت التي انفتحت أمامها أبواب الجامعة فجأة دون إعداد سابق ودون أن تتبرع لها تقاليدها العائلية وظروفها البيئية أن تستعد لهذه « النقلة » إلى مجتمع الاختلاط . مجتمع الصبيان والبنات معاً . . فتفعل البنت كل ما تريد من وراء ظهر مجتمعها ، الذي غالباً - حرصاً على الهيبة - يفضل حكاية « وراء ظهره » هذه . . فتسمع البنت شخطة أبيها التي ترج البيت وهو يصرخ مستنكراً : « وكم أن قدام عيني ؟ ! » ، وتسمع زجر وتأنيب أمها : « مش خايفة لحد يشوفك يقول لأبوكى أو لأعمامك ؟ ! » . . فما أن تجي هذه البنت المصرية إلى لندن وتؤكد أنها قد ابتعدت مسافة كافية عن عين الأب وعيون الناس الذين يعرفون أعمامها وأخوالها وأزواج خالاتها ، حتى تتفرد على الآخر وتنطلق وتطيح ، و « تعب » من حياة الحرية والإنطلاق عباً ، بهبل شديد يصل إلى حد البجاجة ، وكما قلت من

« قبل ، بطريقة » اللي يعرف أبويا يروح يقول له « . .
ولنتناول بعض العينات من كل نوعية من النوعيات الثلاث . .

البنات المصرية

حين تصبح إقامة الدائمة وعمانها الدائم وحياتها الدائمة في لندن .
يختلف تماماً شكل حياتها في لندن عنه في مصر .. تشعر أن هذا الجو
الجديد سيكون حياتها ومستقبلها لفترة غير محدودة . لذا يكون عايتها أن
— على الأقل — تنوam أو تتأقلم مع هذا الجو . و « إذا كنت في روما
فانعل مثلما ينعل الإيطاليون » . . لكن مع ذلك أيضاً يختلف شكل
التأقلم من واحدة إلى أخرى :

□ « يسرية يحيى صادق » .. جاءت إلى لندن بتصريح عمل منذ
٣ سنوات . لتعمل جرسونة في بار حمام السباحة في أحدث فنادق إنجلترا .
فنادق « هيثرو » .. مشكلة « يسرية » الخطيرة هي أنها حتى الآن وبعد
٣ سنوات إقامة كاملة في لندن . لم تستطع أن تتخلص من شكل حياتها
التي كانت عايتها في القاهرة .. البنات التي تخرج من البيت بميعاد وتعود
بميعاد ، وتتصور أنها لو تصرفت أي تصرف « كده والا كده » فسوف
يصل على الفور إلى بابا وماما في القاهرة .. لذا ، ورغم أن عمانها لا يأخذ
منها غير ٣ أيام فقط في الأسبوع ، فإنها تحبس نفسها تماماً في البيت الذي
تسكن فيه ، ولا تغادره في أيام أجازاتها .. وحين مرضت « يسرية » مرة
زارتها في بيتها مجموعة من زميلاتهن المصريات في العمل . وكان مع واحدة
منهن خطيبها وصديق له . وكلاهما مصري .. وفي الغربة سرعان ما تاتى
القلوب الوحيدة وتتآلف : حدث الحب بين « يسرية » والصديق . .
الحب كما تفهمه « يسرية » ليس إلا طريقاً مباشراً إلى الزواج . . والزواج
— حتى في لندن — تلزمه موافقة بابا وماما في مصر . . أرسلت « يسرية »

إلى أسرتهما في القاهرة تشرح لهم كل شيء وذكرت اسم العريس .. الأب المحافظ النشيط سأل عن العريس في القاهرة فسمع عنه ما لم يعجبه . فكتب لابنته بأنه لا يوافق على هذا العريس للأسباب التالية وفي النهاية ترك الأمر لمشاعرها الشخصية إذا كانت متمسكة به برغم ذلك .. ورفضت « يسرية » العريس — الذي تحبه — لأن بابا لم يوافق عليه من القاهرة ! .

□ « نورا سالم » . . . تعمل « هاوس كيپر » أو رئيسة للفتيات الـ « تسمبر ميدز » اللاتي يعملن في ترتيب وتنظيف غرف فنادق « سنتر إيربورت هوتيل » . . « نورا » وقع في حبها زميل لها إنجليزي يعمل في نفس الفندق اسمه « ريتشارد » — وهو ليس زميلها الـ « پورتير » « ريتشارد برايان » — . . ورفضت « نورا » الزواج من « ريتشارد » لأنه مسيحي ، فذهب وأشهر إسلامه وسمى نفسه « عمر » . ومع ذلك لم تستطع أن تتزوجه دون علم أهلها في القاهرة .. لكن « نورا » كانت عمالية أكثر من أختنا « يسرية » : « نورا » جاءت إلى القاهرة في أجازة سريعة و — يلحقها « ريتشارد » أو « عمر » و (طرحته على بساط البحث) ! ! قدامته لأسرتها وتركهم « يفحصونه » بمعرفتهم ثم يقررون هم ما يرون ! ! ونجح « عمر ريتشارد » في الاختبار . وعادت « نورا » إلى لندن ومعها عريسها « المعتمد » من الأسرة ! !

□ « س . . . » . . ولا داعي لذكر اسمها الحقيقي . . . وهي تعمل في فندق غير فندقنا .. سمعت عني من صليقة لها : قالت لها إنني صغرى جئت لأكتب عن حياة المصريين والمصريات في لندن . . . فجاءت تزورني متطوعة — كتر خيرها — لتحكي لي قصة حياتها على سبيل خالص وعلى ميادراما جلدًا ، فحياتها مليئة بالمآسى والفواجع والكوارث والمصائب والآلام إلخ إلخ .. وقالت لي في النهاية أنها تنوى نشر قصة حياتها — عمرها ٢٥ سنة على الأكثر — في كتاب باللغة العربية حين تعود إلى القاهرة بإذن الله ،

لكننى نصحتها - والنصيحة واجبة على المؤمن لأخيه المؤمن - بأن تبين قصة حياتها بحريضة الـ « تايمز » أو الـ « صنداي تليجراف » بـ ١٠٠ ألف جنيه إسترليني . إنما هي فضلت أن تطبعها على نفقتها في مصر علشان تكسر الدنيا هناك ..

هي مطربة سابقة في إذاعة وتليفزيون القاهرة المدة شهر واحد قبل مجيئها إلى لندن .. واللها من كبار رجال الأمن : شاويش في الشرطة في خلية الشعب .. المهم أنها استغلت سذاجتي وقعدت معي ٣ ساعات حكيت لي خلالها قصة حياتها المأخوذة من ٩ أفلام عربي على الأقل من صنف الأفلام المصرية القديمة التي يطلقها علينا التليفزيون في سهرات منتص

الأسبوع ، والتي مضمونها في النهاية أنها طاهرة الذيل وبريئة براءة طاهرة عمرها أربعة شهور . . وأن - ياى - اللي يلمسها بإيده مجرد لمسة مش عارفة تعمل فيه إيه وإيه وإيه .. وأنها - مسكينة يا حبة عيني - كلما ذهبت لتعمل في مكان يتبيل عليها الرجال ويقعون صرعى حسنها الفتان وجمالها الزمان ويتركون بيوتهم وزوجاتهم وعيالهم وينجرون وراءها ... وفي الحقيقة أتصور لو أننى واحد من هؤلاء الرجال الذين تحكى عنهم بحريث أمامها وليس وراءها .. فالبتت شكاهها بالمى بالمى بما يساوى ديشيلدونجنيه ملاليم .. وكل حركاتها وتصرفاتها برقة ودلال مصطنعين لكي تحاول أن تبدو بنت ذوات ، بالباروكة الهائلة والـ « چوب » الماكسي والرووش الصناعية الطويلة الممتدة أمامها كقرون الإستشعار وماكياج السهرات والحفلات في العاشرة صباحاً ، والكلام الذى ينخر جهلاً وهياقة وعبطاً .. لكننى مع ذلك لم أكشفها ، فادعيت لها أننى مهم جداً بحكايتها « المشوقة » ، وأننى « سأبرق بها » الليلة فوراً عن طريق « التيكرز » لكي تنشر في أول عدد قادم من مجلة « الأهرام الإقتصادى » ! !

آخر تصريح أدلت به « س . . » إلينا قبل إنصرافها هي أنها : « كتعاً - يعنى قطعاً - لن تستتيع - يعنى تستطيع - أن تعود إلى مصر - مصر - بعد زالك - ذلك - لأنها موش مومكين - مش ممكن -

ترجع للأحكام العرفية — العرفية — في البيت ، ورايحة فين ياسوسو وجاية
منين يا سوسو وما تتأخريش برة بعد الساعة تسعة بالليل يا سوسو . . والا
أنت إيه رأيك ؟ ! » .
قلت لها :
— كتماً إننى عندك حك ! ! !

سمعت

عنها

كثيراً قبل أن أراها . . كل الأولاد المصريين هنا يتكلمون عنها :
متعالية . . متكبرة . . مغرورة . . عاملة نفسها بنت ذوات . . مش بتكلم
حد من المصريين . وكل أصحابها إنجاز وأجانب . . عموماً ، كانت الصورة
اللى تطوع الجميع لينقلوها إلى عنها أنها : بنت سيئة السمعة . . حتى شاءت
الظروف أن نلتقى ونتعارف ، وفي اليوم التالى كانت « سهير » تحمل حقيبتها
وتأتى لتسكن فى الغرفة المجاورة لى . . وكانت وجهة نظرها فى ذلك :
« إنت المصرى الوحيد اللى قدرت تفهمنى فى البلد دى » . .

مشكاة « سهير محمد حمزة » الطالبة ببيكالوريوس التجارة بجامعة
عين شمس هى : أنها ولدت ونشأت وتربت وعاشت حياتها كلها فى مصر
الجديدة . . تربت فى جو مفتوح متحرر يعرف كيف يربى البنت ويعاملها
ويغرس فيها ما يريد من المبادئ والقيم دون شخط ولا نظر ولا تخويف
أو إرهاب ولا أوامر ملكية لا ترد . . جو يناقش الفتاة ويعطيها حرية المناقشة
وحرية التعبير وحرية إبداء رأى وينمى شخصيتها ولا يحوها . . يسم لها
بالذهاب إلى النادى والإندماج فى شلله وبأن يكون لها أصدقاء من
الجنسين : صبيان وبنات . جو لا تستل سيرفه ولا تسن سكاكينه
ولا تعمّر مسلساته إذا سمع صوت ولد فى التليفون . . جو يعيش شكل حياة
البنت سنة ٧٤ ويعرف جيداً أن الممنوع مرغوب وأن البنت لو وضعناها

في قمقم وحبسناها بين أربع جدران وكبلناها بالأغلال ووضعنا مفتاح حزام العفة في خزانة من حديد . فبرضه سوف تستعمل الفتاة « الطفاشة » لتفعل كل الممنوع ، لمجرد أنه ممنوع !

وعلى هذا الأساس جاءت « سهير » إلى إنجلترا . . . جاءت لتتعلم الحياة ولتتعامل مع الحياة وتمارس عملية قيادة النفس ولتعجب كيف تكون مسئولة عن نفسها وعن تصرفاتها وهي بعيدة عن الأهل . . ولم تفعل « سهير » في إنجلترا شيئاً غريباً عن مجتمعها ووسطها الذي تربت فيه في القاهرة . . « طيب ليه مش بتصاحبي أولاد مصريين ياسهير ؟ » . . « لأنني عندي في مصر أصدقاء شبان كفاية . في النادي وفي الأسرة وفي البيت . . أصدقاء باختارهم أنا بنفسى ما حدش بيقرضهم على . . وببساطة جداً . ما لقيتش حد من الأولاد المصريين اللى هذا يستاهل الصداقة . . الأولاد المصريين اللى هنا من النوع اللى بي فكر أن ما دام البنت المصرية قبلت صداقته فهي لازم تبقى « بتاعته » : ما تكلمش حد غيره وما تعرفش حد غيره وما تصاحبش حد غيره . . يعنى باختصار الأولاد المصريين اللى هنا - وإنك عارفهم كلهم - مفهوم الصداقة بين الولد والبنت في نظرهم أنها « علاقة » . وأنا مش جاية إنجلترا علشان « أحب » ، أنا جاية علشان أعيش وعلشان أتعلم . . « طيب ليه كل أصدقائك أجنب ؟ برتغاليين وإنجليز زى ما سمعت ؟ » . . « لنفس الأسباب اللى قاتبها لك . . أنا جاية إنجلترا علشان أحتك وأتعامل وأتفاعل مع ناس من شعوب أخرى ، وأتعلم منهم . . مش جاية علشان أحوش شوية إسترليني أرجع بيهم مصر . . يعنى مش جاية إنجلترا علشان « أسباب اقتصادية » ! . . حقيقة : أنا مقتنع بوجهة نظر « سهير » ١٠٠٪ . .

وبعكس

« سهير »

تماماً نوعية أخرى من الفتيات . النوعية التي عاشت في القاهرة في وسط مختلف تماماً وظروف اجتماعية عكسية تماماً . ظروف بيئية وأسرية شديدة الإنغلاق والتزمت . كان الغريب أصلاً أن تسمح هذه الظروف وهذه البيئة للبنت بالسفر إلى أوروبا . لولا السطر الأخير في كلام « سهير » : « الأسباب الاقتصادية » .. البيئة التي ترسل ابنتها إلى لندن وفي ذهنها أولاً وقبل كل شيء شكل « الحصىلة السائلة » التي ستعود بها البنت من لندن . وتذكرها بذلك في كل خطاب ترسله إليها من القاهرة . مع توصيات مشددة — لكنها تأتي في المرتبة الثانية — بالتمسك بالدين والمواظبة على الصلاة .. ويتصورون أنها تفعل ذلك فعلاً وأنها تتصرف في لندن كما كانت تتصرف — أمامهم — في القاهرة . ولا يعرفون أنها قد أجلت الصلاة مؤقتاً حين عودتها إلى القاهرة ، بحجة أنها « مش عارفة (قبيلة) لندن مين ؟ » .. ولا يعرفون أنها تردد مع صديقاتها على بيوت الشبان العرب العزاب . وتنسى شمسيتها — فقط والله أعلم — هناك ! !

البنت من هذه النوعية أو من هذه البيئة ، كانت قبل أن تبحر إلى لندن مباشرة تتقاضى مصروفها من البيت جنيهاً ونصفاً في الشهر ، شلن كل يوم . لتذهب به إلى الجامعة : مواصلات وشبرقة ، فتأتي إلى هنا في لندن لتعمل في وظيفتين في وقت واحد . وتصبح حصيلة مرتباتها والبقاشيش التي تتقاضاها تساوي حوالى ٣٥٠ جنيهاً مصرياً في الشهر الواحد . يعنى أكثر من ٢٠٠ ضعف ما كانت تأخذه كمصروف من بيتها !! .. فقطعاً حين ترى هذا المبلغ في يدها كل شهر لا بد أن تنهبل ويحرق لعقلها حاجة وتصاب بلوثة وسعار ، وتتصور أنها « عصامية » وأنها قد « وصلت بكفاحها » (!) ، فتطيح في الناس ولا أحد يملأ عينها ، وتجلس لتضع ساقا

فوق ساق وهي تقول إنها « تحقّر كل الرجال وإن مفيش راجل رباها وأنها هي التي ربت نفسها بنفسها » ! .. وتقرر البقاء في لندن وعدم العودة إلى مصر . وانطلاقاً من ذلك تحاول أن تتصرف كالبنت الإنجليزيات في الارتباط بعلاقات — من إياها — على اعتبار أنها ، خلاص ، مادامت قد ارتبطت بعلاقة مع شاب يوناني أو أجنبي فإنها إذن قد أصبحت بنت سپور وعاشة في أوروبا . . . وتتصرف بطريقة « اللي يعرف نحالي يروح يقول له » . فترتبط بعلاقة مع كل شاب أجنبي أو مصري تقابله في طريقها : يوناني . مصري ، طالب تجارة ، طالب زراعة ، كله محصل بعضه .. حتى يطلق واحد منهم هم أنفسهم تشنيعة عليها فيقول : « بتاعة كله .. عاملة زى خدامات الزمالك يوم الأحد » ! ! ..

ولأنها

تعرف

أنها مهما كانت ، بنت أسرة عادية لها تقاليد الرجعية ، وأنها يوماً ما لابد وأن تنتهي الأجازه وتعود إلى القاهرة ، فإنها — حين تقرب المدة من نهايتها — تصبح عين على لندن وعين على القاهرة .. وتأتى لتسألني : « حاتكتب عني إيه ؟ » فأقول : « مش أكثر من اللي كان بيحصل فعلاً ، يعني مش أكثر من الحقيقة » .. « لكن الحقيقة دي في مصر حايظروا لها نظرة ثانية » .. « والله يا أختاه فيه مثل شعبي في بلدنا يقول (إن قلت ما تخافشي ، وإن خفت ماتقولشي) ، ولو حورناه أو فسرناه شويه ممكن نخليه (ماعيب إلا العيب) .. إذا كان اللي بتعمله عيب : بتعمله ليه ؟ وإذا كان مش عيب : تبقي خايقة منه ليه ؟ » .. « وإيه يعني لما أصاحب ولد يوناني أو أجنبي وأخرج معاه ، ماهوكل البنات هنا بيعملوا كده ؟ » .. « هم أحرار ، وإنتي كمان حرة .. إنما اللي لازم نعرفه إن الشاب الأوروبي مش فاعل خير ومش متطوع في مجال الخدمة العامة .. وأنه

مع الحرية الإجتماعية والجنسية الرهيبة الى بتسود أوروبا كلها الآن ، فإن الشاب الأوروبي لما يخرج مع بنت - مصرية أو أوروبية أو من أى جنسية - مش يخرج معها تدعيا للعلاقات الثقافية بين الشعوب ولا لمناقشة مشاكل السوق الأوروبية المشتركة ولا لدراسة الآثار الإقتصادية المترتبة على عدم زراعة الكوسة فى بلاد واق الواق .. إنما يخرج مع البنت لأنها « بنت » ، ولأن « البنت » فى أوروبا اعتادت أن « تعطى » بغير حساب وما على الشاب الأوروبي إلا أن يتنازل و « يأخذ » . كما أن الشاب الأوروبي ليس لديه صبر الشاب المصرى الممكن أن يظل يجرى وراء البنت سنة كاملة حتى تلين ، وكلما ازدادت تمنعا ازداد هو تمسكا بها . . الشاب الأوروبي يخرج مع البنت مرة ، فإذا « عصاجت » فإنه لن يدق بابها مرة أخرى ، لأن اللاتى يعطين دون « عصاجة » فى تناول يده أكثر من الهم على القلب !!

وجهة نظر .. واللهم إني أبلغت ، اللهم فاشهد !!

لست

أدري

لماذا تطفو النماذج الرديئة فوق السطح وتبدو واضحة جاية أكثر من النماذج الطيبة ؟ ! أولعلها عين الصحفي النقادة التى تلتقط النماذج الشاذة قبل النماذج الطبيعية ..

سمعت عنه قبل أن أراه .. قالوا لى عنه إنه دلوعة وابن ذوات .. كان يعمل فى الشيراتون فى تنظيف سجاجيد غرف النزلاء ... وبلغتنى فى البداية شهرته - التى يسميها هو « هوايته » - فى جمع التذكارات (!!) .. والتذكارات التى يهوى « ر.. » جمعها ليست أنتيكات ولا تحف ، إنما هى « حاجات بسيطة كده من متعلقات النزلاء » .. يعنى تذكارات من النزلاء أنفسهم ، دون علمهم طبعا !! .. حتى ضبط فى النهاية وبمه

٢٠٠ مارك ألماني أخذها كـ «تذكارة» من غرفة أحد النزلاء .. ويفصله الشيراتون على الفور طبعاً . ويستضيفه البوليس الإنجليزى أربعة أيام تحت التحقيق الذى يدعى فيه أنه «عثر» على هذا المبلغ وكان ذاهباً لتسليمه لإدارة الفندق .. ويقتنع البوليس الإنجليزى بهذه الحجة لكن الشيراتون لا يقتنع فيرفض إعادته إلى العمل !

الليلة كنت أستعد للخروج من بيتى فى طريقى إلى الفندق الذى أعمل به ، حين دق جرس الباب ففتحته لأجد أمامى شاباً طويلاً لا أعرفه وإن كنت قد استتجبت على الفور — من أوصافه — من هو .. سألتى باللغة الإنجليزىة عن مسر قدرى فبادرته بالعربية : « إنت ر . . ؟ » فأجاب بالإيجاب . فأخذته معى فى طريقى إلى محطة الأتوبيس ليحكى لى مشاكله التى أراد مقابلتى ليستشيرنى فيها : « عايز أنزل مصر حالا علشان عندي امتحان قبول فى معهد الفنادق » . « طيب وماله . ما تنزل » . « رحت أحجز فى الطائرة قالوا لى مفيش أماكن قبل يوم ٢٠ . وامتحانى فى المعهد لازم يكون بين أيام ٧ و ١٤ فى القاهرة » . « طيب والحل ؟ » . « غصب عنى مضطر أستنى مادام مفيش أماكن » . « وامتحانك فى المعهد ؟ » . « تتدبر لما أنزل مصر . أصل خالى هو الدكتور (. . .) اللى كان وزير فى مصر له كلمة أوى على بتوع السياحة والفنادق لأنه المستشار القانونى بتاع شركة فنادق (. . . .) فى العالم كله » . « طيب كويس . يعنى المشكلة محلولة ، خلاص ، خليك فى لندن لغاية ميعاد الطائرة يوم ٢٠ » . « أخلىنى فى لندن إزاي إذا كان مامعايش فلوس أصرف منها ؟ ! » . « عملت نفسى لا أعرف شيئاً وسألته : « هو إنت مش بتشتغل فى الشيراتون ؟ » . « لا ، مشيت منه لأنى مش عاجبنى الشغل فيه » . « وحائقعد من غير شغل أسبوعين كاملين من دلوقتى لغاية يوم ٢٠ ؟ ! » . « آه .. أصلى عايز أتفسح شوية وأشوف لندن كويس ! ! » . « تتفسح إزاي وتشوف لندن

كويس إزاي . وتعيش أصلا إزاي . إذا كنت مفيش معاك فلوس ؟ ! .. « مش عارف » .. « لأ ، ما انت لازم تعرف . لأن مش معقول إنك تستلف علشان تنفسح ، وهنا مفيش حد أصلا يسالف حد ... هنا المصريين كل واحد فلوسه على قده ومحتاجها . ومش حتلاقي حد يسلفك .. حتعمل إيه ؟ ! » .. « سهير ؟ ! » .. « على قدر معاوماتي أنا أعرف إن سهير مرتبها على قد مصروفها ومش محوشة ولا مايم . ثم المفروض إن البنت لما تترق هي الي تاخذ من الولد ، مش العكس » .. ويتجاهل « ر . . » كلامي ويستطرد : « وتصور كمان إن صاحب البيت الي أنا ساكن فيه لما سمع « الإشاعات » الي بتقال عني (!!) أعطاني إنذار إنني لازم أترك البيت آخر الأسبوع ده . وبعد كده حلاتي نفسي في الشارع » .. « ودي مشكلة جديدة .. وحتعمل إيه في مشكلة السكن كمان طول الأسبوعين الي فاضلين لك لغاية ما تسافر ؟ » .. « مش عارف .. لكن على أي حال أنا معروض على شغل يتندي من بكرة بكرة ١٨ جنيه في الأسبوع مع الإقامة الكاملة سكن وأكل . بس أنا مكسوف أشغل أسبوعين بس » ! ! . . وهنا تمنيت لو أنني استطعت أو كان من حتى أن أرفع يدي وأهبده قلما يسمعه أهله في مصر الي دلعه وميصوه الدلع والمياصة والمياصة دي كلها ، ثم « أطلقوه » على الناس في لندن ليكون نموذجاً سيئاً ورديثاً للمصريين هناك . .

الطالب

المصري

هنا يدوخ دوخة الإبل في الصحراء حتى يجد عملاً في لندن ، فإذا اشتغل تنمرد على الفور وعمل أبو علي ويريد أن يمشي الإنجليز على مزاجه : الأخ « كالح » — أو « فسدان » كما أطلقت عليه « سوسن » — بعد أيام قليلة من التحاقه بالعمل رفض أن يلبس يونيفورم الجرسونات وأراد أن

يعمل بملابسه العادية ، فلما سألته : « ليه يا كالح ؟ » قال : « أنا كده وإذا كان عاجبهم » !! . . . وظل الأستاذ « كالح » يتدلع ويتمايع ويتمايص ويقول أمام الجميع أنه ليس مصرياً وأنه يريد أن يتجنس بالجنسية الإنجليزية . تحبباً إلى الإنجليز وتقرباً منهم وتملقاً لهم ، حتى - برضه - رفده الإنجليز في النهاية لقلته أدبه التي لم يستطع أن يداريها عنهم . . . ولحس أرض لندن بعد ذلك دون أن يجد عملاً آخر . .

سمعت

حكايته

هو الآخر من صديقة مصرية تعمل في الشيراتون وتسكن في الغرفة المجاورة لي في « واى آفنيو » في « كرانفورد » : « شاب » مصري قارب الستين ، يجرى بالمشوار وراء فتاة مصرية في عمر أحفاده ، عمرها عشرين سنة ، طالبة في الجامعة . . ظنت الفتاة في البداية أن اهتمامه بها مجرد « عواطف أبوية » ، فلما اكتشفت أنه يحاول أن يستعيد معها ذكريات مراهقته الأثرية المتحفية ، جزعت منه وبدأت تتجنبه ، فخطا « بابا جدو » خطوة أبعد : عرض عليها الزواج !! وهنا لم تجد الفتاة بداً من أن تذكره بأنه أكبر من « مامتها » هي شخصياً بعشرين سنة : يعنى أنه حتى لو تقدم ليطلب يد مامتها نفسها لرفضته « لفارق السن » !! ، كما أنها مخطوبة - الفتاة هي التي مخطوبة وليست مامتها طبعاً !! - ولها خطيب ينتظرها في القاهرة . . وحتى إن لم تكن مخطوبة وقررت أن تتزوج فلن تتزوج في لندن بعيداً عن أسرتها ، وإذا تزوجت في لندن بعيداً عن أسرتها فإن آخر واحد تفكر في أن تتزوجه هو « بابا جدو » ، لأن الشبان اللي زي الورد مالين الدنيا هنا ، والتي يكون الورد أمامها بالكوم لن تكون محتاجة إلى أن تنكش في « الرابش » علشان تطلع واحد زي سعادته وتزوجه !!

وابتعدت الفتاة عن طريق « بابا جدو » بعد ذلك تماماً ، وتركت

البيت الذي كانت تسكن فيه وجاءت لتسكن في الغرفة المجاورة لى عند الشابة الباكستانية المسلمة « حفيظة » .. لكن « بابا جدو » المصدوم في « عواطفه » راح يطاردها في كل مكان حتى عرف عنوانها الجديد ، فجاء ليطلب مقابلة صاحبة البيت ليحذرهما من الفتاة ويطلب منها طردها من بيتها لأنها فتاة سيئة السمعة وتثير المشاكل أينما سكنت ، وأنه — والأخوية والعيش والملح — يخشى على سمعة « حفيظة » نفسها من أن ينالها رذاذ من سمعة الفتاة السيئة (! !) ..

وذهلت الست « حفيظة » وهي تسمع من « بابا جدو » هذا الكلام وقالت له : « حضرتك تعرفني أنا قبل كده ؟ » أجاب : « لا . : لكن إحنا مسلمين زى بعض وأنا قلبي عليكى » قالت : « والفتاة دى ديانتها إيه ؟ » قال : « مسلمة » قالت : « وجنسيته إيه ؟ » قال : « مصرية » قالت له : « وإنت جنسيتك إيه ؟ » قال : « مصرية برضه » .. واتفحت فيه الست « حفيظة » وهي تسوقه أمامها إلى باب القبلا : « بأه يعنى عايز تقول لى إنك خايف على سمعى أنا الباكستانية وأنت دابر تشنع على سمعة بنت مصرية زيك ؟ .. عايز تفهمنى إنك قلبك على أنا أكثر مما قلبك على بنت بلدك ؟ ! .. عايزنى أصدقك وإنت جاي تطلب منى أنى أطرد من بيتى بنت فى سن بنات بناتك وأرميها فى الشارع علشان تبقى أنت مبسوط ؟ ! » ..

وكرشته الست « حفيظة » من البيت ورزعت الباب وراءه .. وجاءت تدق بابى لتحكى لى كل ما حدث وهي ثائرة ومنفعلة ..

نموذج سيء جداً للمصريين فى الخارج « بابا جدو » هذا ، والمفروض أن أجهزة الدولة عندنا : « حوشى » أمثاله ولا تسمح لهم بالخروج من مصر على الإطلاق ، حتى لا يسيثوا إلينا فى الخارج بتصرفاتهم المراهقة هذه . :

□ توت عنخ آمون .. رئيس جمهورية !! □

مستر

« لينل »

جون « المدير المساعد للفندق . كان هو المدير « النوبتجى » السهران الليلة .. يبدو أنه كان هناك ارتباك في مكتب الإستقبال . فظل مستر « لينل جون » حتى نحو الثالثة صباحاً يساعد « روبرت » موظف الإستقبال لواردية الليل . ويعمل معه في إنهاء الأوراق المعطلة .. في الثالثة صباحاً نهض مستر « لينل جون » واقفاً وقال : « good-night .. تصبحوا على خير » وتوجه إلى غرفته لينام عدة ساعات حتى الصباح .. روبرت « ماصديق » أن المدير السهران قد ذهب إلى غرفته ، حتى زوج هو الآخر وغطس واختفى تماماً وانقطعت أخباره .. وترك مكتب الإستقبال خالياً تماماً ..

بعد نصف ساعة فقط — ومكتب الإستقبال في مواجهة مكنتي تماماً — فوجئت بمستر « لينل جون » وقد عاد مرة أخرى من غرفته ، ونظر إلى مكتب الإستقبال فوجده خالياً ، فنظر إلى ناحيتي وهو يتسم كأنه يقول لى : « كنت أعرف أن ذلك سوف يحدث » .. وجلس على مكتب « روبرت » الموظف المزوغ . وظل يعمل مكانه حتى الصباح !!

الشابة

الإنجليزية

الحسناء التي تحضر إلى الفندق مرة كل عدة أسابيع ومعها مجموعة من البنات الفلبينيات واضح جداً من شكلهن وملابسهن أنهن من أحقر طبقة ممكنة في الفلبين ، يعنى حتى دون مستوى الخدمات .. وأفاجأ في اليوم التالى بهؤلاء البنات وقد ارتدين « يونيفورم » الفندق ويعملن في خدمة الغرف « تشامبر ميذر » .. قطعاً هذه الشابة الإنجليزية متعاهدة توريد عاملات ، يعنى حاجة كده زى صديقنا « الدكتور » المصرى إياه.. لكنها هى بتشغلهن فعلاً مش بتنصب عليهن !!

وبمناسبة صديقنا « الدكتور » المصرى إياه ، غريب جداً أمر هذا الرجل : وهو فى القاهرة قبل أن يبعث بنا إلى لندن . كان كلما تكلم معنا أو أمامنا يقول : « مكتبنا فى لندن ، مكتبنا فى لندن ، مكتبنا فى لندن .. مكتبى فى لندن » .. وهو س° الدنيا بحكاية مكتبه اللى فى لندن وسكرتاريته اللى فى لندن ، وكل بنت مصرية مسافرة إلى لندن عن طريق مكتبه اللى فى القاهرة ، ياخذها على جنب ليقول لها إنه قد عينها « سكرتيرة خاصة » له فى « مكتبه اللى فى لندن » !!... الذى لم أستطع أن أفهمه حقيقة : ماهو سر إصراره على حكاية « مكتبه اللى فى لندن » و « سكرتاريته اللى فى لندن » مادام هو يعرف تماماً أننا بمجرد أن نصل إلى لندن سوف نكتشف أن المسألة كلها « نصب » وإن لا فيه مكتب ولا سكرتارية ولا حاجة أبداً ولا يحزنون .. متأسف ، الشهادة لله : فيه « يحزنون » !!..

وحين بدأت بعد ذلك أراجع كلامه الذى كنت أسمعه منه فى القاهرة ، والذى يدس فيه كل شوية أنه « دكتور فى القانون » و « أستاذ فى معهد الإدارة العامة » وأنه كان خبيراً مصرياً فى هيئة الأمم المتحدة فى نيويورك،

وأنه يوم أن استقال منها زعل جداً ماستر « يوثانت » وذهب إليه لغاية مكتبه في لندن - متأسف : لغاية بيته في نيويورك - لكي يلح عليه ويرجوه ألا يحرم الأمم المتحدة من جهوده !!

منك لله ياماستر « يوثانت » ، إنت السبب في ده كله ، بأه مش كان حقك اتحايلت عليه شوية زيادة يمكن كان رضى يستنى في الأمم المتحدة . وكان زماننا احنا مستريحين !!

بالمناسبة أيضاً : عرفت الليلة معلومة جديدة عن تشغيل الأجانب هنا من صديقتي الإنجليزية « چوسلين كليمنتس » مساعدة مدير عام المستخدمين في سلسلة فنادق « سنتر هوتيلز » .. قالت لي « چوسلين » إن مكتب التوظيف الذي يورد أى عدد من العاملين الذين تحتاج إليهم الفنادق في لندن يتقاضى من إدارة الفندق عشرة جنيهات إسترلينية عن كل شاب أو فتاة تعمل عن طريقه .. أى أن المبلغ الذي يتقاضاه « الدكتور » من الذين يرسلهم ليعملوا في إنجلترا بدعوى أنه « يدفعه » للفنادق التي سوف يعملون بها . يدخل في جيبه الشخصى أيضاً ، لأن هذه الفنادق هي التي « تدفع » له وليس هو الذي يدفع لها !!

آخر

مرة

التقينا فيها كانت في القاهرة منذ نحو ٣ سنوات ، وكان هو يستعد للمجيء إلى لندن سفيراً لمصر بها .. اليوم أنا على موعد معه في السفارة المصرية بلندن ومعلوماتي تقول أنه يستعد للعودة إلى القاهرة ليتولى منصباً آخر هناك : السفير المصري « كمال الدين رفعت » .. محور حديثنا هو الموضوع الذي يشغلني - والذي أنا هنا في لندن من أجله الآن - ويشغل معي ربع مليون طالب في جامعات مصر ، ويشغل أيضاً وراءهم ربع مليون أسرة تفكر في هذا الموضوع بدرجات متفاوتة : موضوع اشتغال الطلبة المصريين

في أوروبا في أجازات الصيف .. قال لي السفير « كمال الدين رفعت » :

— الظروف هنا في إنجلترا ، خصوصاً السنة دى بعد دخول بريطانيا في السوق الأوروبية المشتركة . أصبحت أكثر صعوبة عن الأعوام السابقة . لأنه أصبح فيه تدقيق شوية بالنسبة للأيدى العاملة الأجنبية اللى من غير دول السوق .. يعنى المسألة لم تعد سهلة زى زمان .. لكن اللى بيحصل أنهم هنا بيحتاجوا في فترة الصيف — اللى هو الموسم السياحى في إنجلترا — إلى أيدى عاملة كثيرة خصوصاً في قطاع الخدمات زى المطاعم والفنادق ، وهذه الأعمال الإنجليز بيرفضوا بشدة أنهم يعملوا فيها . وهى ظاهرة لم تكن موجودة حتى فترة قريبة .. يعنى من ٥ — ٦ سنين فقط كنت تدخل أى مطعم أو فندق تلاقى العمال فيه إنجليز . النهارده تدخل هذه المطاعم والفنادق بالذات تلاقى كل العاملين فيها أجانب : إيطاليين ، يونانيين ، وباكستانيين ، هنود ، أسبان .. وفى فترة الصيف بالذات بيضطروا إلى الإستعانة بالأيدى العاملة الأجنبية ، في الوقت اللى القانون الإنجليزى فيه لا يسمح إلا واحد بالعمل في إنجلترا بأجر أو بغير أجر إلا إذا كان معاه تصريح عمل من وزارة العمل الإنجليزية ، إنما لأنهم في الوقت نفسه عارفين ظروف احتياج الفنادق والمطاعم والخدمات إلى أيدى عاملة . ففى فترة الصيف بيتغاضوا شوية ومش بيعصلجوا في تشغيل الأجانب ، لكن « دكاكى » من غير القانون ما يعرف ... ونقدر نقول إنه في الحقيقة القانون بيتق عارف و « مطنش » ... وبالنسبة للمصريين بالذات فيه شوية تغاضى برضه نظراً لتحسن الظروف والعلاقات بين مصر وإنجلترا ، يعنى بيتركوا الأولاد المصريين يكذبوا وهم عارفين أنهم بيكذبوا وجاين إنجلترا علشان يشتغلوا ... لكن اللى بيندب ويعمل نفسه صريح ومش بيعرف يكذب ويقول لموظف مكتب الهجرة في المطار إنه جاى يشتغل فيرجعوه دوغرى من برة برة ، كما حدث مع مجموعة الشباب اللى جاءوا على طائرة واحدة وكانوا صرجاء جداً — أو ساذجين جداً — فقالوا في

فى مطار لندن إنهم جاين علشان يشتغلوا . فرحلوهم على نفس الطائرة
ورجعوهم مصر تانى فى نفس اليوم ...

لكن حين يشتغل الأولاد المصريين هنا فيشتغلوا تحت ظروف
سيئة جداً من ناحية الأجور ومن ناحية ساعات العمل ، خصوصاً لما
أصحاب الأعمال يعرفوا أن مفيش معاهم تصاريح عمل .. فأقل عامل
إنجليزى هنا يشتغل بـ ٨٠ بنس فى الساعة . إنما الشاب المصرى يضطر
يقبل شغل بـ ٤٠ بنس فى الساعة وأقل فى كثير من الأحيان . كما أنه
يشتغل عدد كبير من الساعات وينقطع قلبه من الصبح بدرى لغاية بالليل
ويستهلك صحياً تماماً .. ونلاقي نفسنا - السفارة - مش قادرين ندافع
عن مصالح الشاب المصرى اللى بيعمل هنا لأنه أصلاً عمله فى لندن
غير قانونى . فيضطر يسكت غصب عنه وإلا سيطرد من البلد خالص
لو انكشف أمره .. كما أن معظم المصريين هنا يقبلوا أى عمل من أى
نوع ما دامت المسألة شهرين ثلاثة بتوخ الصيف وراجعين مصر ...

قلت

للسفير

المصرى « كمال الدين رفعت » :

□ « ما الذى تستفيد منه مصر من حكاية اشتغال الطلبة المصريين فى
أوروبا فى فترة الصيف ؟ !

— العدد الهائل من الطلبة المصريين اللى بييجوا لندن وحدها خلال
الصيف . إذا تواضعنا جداً وقلدناه بـ ٣٠,٠٠٠ شاب وفتاة . مضروبين بـ
٣٠ جنيه إسترلنى تصرفهم الدولة فى القاهرة لكل واحد منهم = ٩٠٠,٠٠٠
جنيه إسترلنى ، يعنى ما يقرب من مليون جنيه تضيع من رصيد مصر
من العملة الصعبة ، وطبعاً الشاب أو الفتاة منهم يرجع مصر مفيش معاه
ولا تعريفه عملة صعبة ، لأنه أساساً بيكسب فلوس قليلة جداً ولا يدخر

منها ، لأنها يادوب بتكفيه يعيش ويسكن وياكل ويشرب ويشترى
بالباقى كام قميص وكام پواوثر وريكوردر كاسيت وساعة شكائها غريب
علشان الناس اللي فى مصر يعرفوا أنه جايها من لندن ، وكان الله يحب
المحسنين ... يعنى الطالب المصرى اللي بيعجى لندن فى الأجازه مش
يرجع بعريه زى ما الناس فى مصر متخيله .. إنما السؤال هنا ممكن يكون :
هل الطالب نفسه يستفيد شخصياً وثقافياً وعلاقات ومعرفة ؟ !

هو ممكن يكون يستفيد شوية لغة أكثر . ويشوف الحياة على حقيقتها
أكثر ، فيستيقظ من أوهامه ويكتشف أنها ليست سهلة كما كان يتصورها ..
هنا يشتغل أى عمل قد لا يقبله فى مصر بحكم الظروف الاجتماعية ..
لكن فيه فى لندن متاحف علمية معظم الطلبة المصريين اللي بيعجوا هنا
ماعندهم مش أى فكرة عنها ولا يحاولوا يشوفوها ولا حاجة .. يعنى بيعجوا
لندن يتمشوا فى الشوارع ويشوفوا البيكاديللى والهايدپارك وأوكسفورد
ستريت وبس .. فتكون النتيجة أنه — كطالب — لا يستفيد أى حاجة
علمية على الإطلاق .. قد يستفيد شوية خبرة بالحياة . شوية لغة إنجليزية .
شوية احتكاك وتعامل بسيط جداً فى حدود الناس اللي يشتغلوا معاه فى
المطبخ أو فى المطعم ، إنما فائدة علمية كطالب مش يستفيد حاجة أبداً ..
وفيه أولاد تانيين يكونوا جايين لندن علشان يتشاقوا مع البنات الإنجليز
وفاكرين ، على ما سمعوا ، إن البنات الإنجليز حايمنظروهم فى المطار
بالأحضان وحايجروا وراهم ، فيفاجأوا بأن البنت الأجنبية عموماً ، والإنجليزية
بالذات ، بتختار بمزاجها ومفیش بنات مترصصين على الأرصفة ولا
منتظرين فى المطارات وصول الغزاة الفاتحين المصريين عاشان يترموا فى
حضنهم !!

بعد ٣

سنوات

سفيراً في لندن — قلت للسفير « كمال الدين رفعت » — ماهو شكل المشاكل اللى بتنتج عن وجود هذا العدد المهول من الطلبة المصريين في لندن خلال فترة أجازات الصيف ؟ ! ..

.. — مش عارف هل من حسن الحظ أو من سوءه أنه لا تبلغنا مشاكل كثيرة بالنسبة للطلبة المصريين ، لكن قطعاً هناك جزء كبير من المشاكل يحدث ولا يصل إلينا في السفارة أو في القنصلية ... إنما بشكل عام وبالنسبة للأعداد المهولة من الطلبة المصريين اللى بيكونوا هنا في لندن في الصيف ، فالمشاكل تعتبر قليلة نسبياً ، أبرزها السرقة من المحلات .. وكانت زمان عقوبة السرقة من المحلات حادة بسيطة وغرامة وبس .. لكن الآن لا بد من المحاكمة والحبس والسجن .. إنما هي نسبة ضئيلة جداً من المصريين هم اللى يسرقوا ، يعنى لا تمثل ظاهرة على أى حال .. المدهش والغريب أنهم مش يسرقوا من المحلات علشان محتاجين أو مضطرين أو جعانيين ، إنما بتلاقى واحدة ست بتسرق حاجة بجنه وهي في شنطة إيدها ٢٠٠ جنيه ، وفي المحلات دى القانون الإنجليزي بيضاعف العقوبة ويشدد فيها ، لأنها بتكون بتسرق « دناوة » ، فيعاقبونها بشدة علشان تحرم ، زى حكاية البنت المصرية اللى ضبطوها بتسرق من محل ، وبعدين اتضح أنها بنت سفير سابق .. وحكاية زوجة مدير المؤسسة المصرية اللى سرقت برضه ، والأميرة العربية اللى عمرها ١٥ سنة وضبطوها بتسرق .. والقانون الإنجليزي هنا مقيش فيه هزار ، ولا تستطيع أن تحمى أى مخالف ، سواء كان حرامى أو حتى مخالف لتعليمات المرور .. . وكانوا زمان مش ينشروا حكاية السرقات دى في الصحف الإنجليزية ، لكن الآن والسنة دى بالذات ينشروها ويبرزوها بالتفاصيل وبالأسماء

الكاملة .. وكنا فاكرين أن المقصود بحكاية النشر في الصحف هم العرب بس ، لكن مرة نشروا إحصائية اتضح منها أن أكثر لصوص المحلات التجارية هم الفرنسيين والإسرائيليين والإيطاليين واليوجوسلافيين .. وللأسف البوليس الإنجليزي هنا يرفض التعاون معنا في مثل هذه الموضوعات .. طلبنا منه مرة أن يعطينا أسماء الطلبة والمصريين عموما اللي يسرقوا من المحلات ، أو النماذج غير المشرقة علشان نمنع مجيئهم إلى لندن أو سفرهم إلى خارج مصر على الإطلاق بعد كده ، لكن البوليس رفض أن يعطينا أسماءهم ، هكذا بدون إبداء أسباب ، في الوقت اللي بيعطيها فيه للصحف لتشرها .. وطبعاً مش ممكن في الحالات اللي زي دي تقدر نعتد على أن تكون مصادرها هي الصحف وبس ..

قلت

لـ « كمال

رفعت » : وماذا عن ظاهرة ضياع جوازات سفر الطلبة المصريين هنا في لندن ؟ !

— المفهوم طبعاً إن الجوازات اللي بتضيع تبقى اتباعت .. لكن المسألة لها وجهين أو حالتين : إما أنها بتسرق فعلاً بواسطة عناصر معينة — غالباً إسرائيلية — للاستفادة من هذه الجوازات .. وإما أن يكون بعض الطلبة المصريين بيعيوا جوازات سفرهم نتيجة إحتياجهم إلى فلوس ، فيكونوا مضطرين يبيعوها علشان ياكلوا بثمنها .. لكن النتيجة واحدة في الحالتين ، لأن مين ممكن يكون له مصلحة في إنه يشتري جواز سفر مصرى إلا العملاء الإسرائيليين ؟ ! وفي الحقيقة إحنا مش بنقدر نعرف مين الصادق ومين الكذاب .. مين اللي الجواز بتاعه ضاع منه بصحيح ومين اللي باعه ؟ .. لكن قطعاً ينبغ الجهاات المسئولة في القاهرة علشان تراقب الحكاية دي وتشوف الجوازات اللي ضاعت دي مصيرها إيه ،

وتفحص حالة الشخص الى الجواز بتاعه ضاع .. إنما في أغلب الأحيان القنصلية مش بتطلع جواز سفر جديد للشخص الى جواز سفره ضاع . إنما بتطلع له تذكرة عودة إلى مصر في الطائرة على طول ، وفي مصر تبحث حالته .. وفي الحاليتين الدولة بتسترد ثمن التذكرة منه بعد عودته إلى مصر ..

وفيه حالات بيكونوا فيها بعض الطلبة المصريين تعبانين مادياً جداً ومش لاقين عمل . فيلتقطوهم عملاء إسرائيل لتجنيدهم لخدمة المخابرات الإسرائيلية .. وفي الحالة دي فيه بعضهم بيعجى لنا يبلغ . وفيه بعضهم بينهى هذه العلاقة من برة برة بعيد عننا من غير ما يبلغ .. وبرضه فيه بعضهم يمشى في الموضوع ظناً منه أن عين المخابرات المصرية غافلة عنه .. علشان كده بانصح كل الشبان والطلبة المصريين الى بتحصل معاهم إتصالات مع عملاء إسرائيل إنهم يبلغوا فوراً السفارة هنا أو جهاز المخابرات في مصر علشان يبقى ممكن الاستفادة من المعلومات اللي بيقدمها المبلّغ ، أو حتى لا يضار هو نفسه إذا كانت أجهزة المخابرات المصرية متابعة إتصالاته ومراقباها من الأول ..

وفيما

يتعلق

بتنظيم عملية سفر الطلبة المصريين إلى أوروبا عموماً في الصيف ١٩٨٢ .. قال السفير « كمال الدين رفعت » :

— يجب أن تتدخل الدولة والمسؤولين عن رعاية الشباب في مصر بصورة جدية وفعالة لتنظيم جزء كبير — على الأقل — من هذه العملية .. من ناحية الإتفاق والتنسيق مع الجهات المعنية بالشباب هنا في إنجلترا ، سواء في معسكرات صيفية لها برامج موضوعية ، وأتصور أنهم هنا حايحبوا .. لكن أن تكون وزارة العمل في مصر ووزارة العمل في إنجلترا بعيدتين عن

الصورة تماماً وماهملش دعوة بحاجة أبداً كما هو حادث الآن ، فذلك مش سليم ومش مضبوط .. ومن ناحيتنا إحنا هنا كسفارة مستعدين للقيام بالإتصالات والترتيبات لعمل إتفاقيات وعقود تحفظ حقوق العمال المصريين وتعطينا « كوتة » أو « حصة عمالة » معينة نتحرك في حدودها ، إلى جانب معسكرات العمل الصيفية .. وبالشكل ده نضمن أن جزءاً كبيراً من الشبان اللى جاينين إنجلترا في الصيف جاينين بشكل منظم ومدروس ومحكوم وحقوقهم محفوظة . وده أحسن كثير طبعا من أنهم ييجوا يناموا في حديقة الهايدپارك أو ميدان البيكاديللى ..

□ سامعة يا وزارة العمل في مصر ؟ ! .. وهو
ليس رأى مسئول عادى أو سفير عادى ،
إنما هو رأى وزير عمل سابق أيضاً في مصر ..

الكتاب

الكتاب

الكتاب .. الشعب الإنجليزى شعب قارئ جداً ، شديد النهم في القراءة .. لا تجد حسناء — مثلاً يعنى — واقفة على محطة القطار أو محطة المترو تتلفت حولها كالبلهاء أو تستعرض جمالها وتبهرى تأثيره في عيون المشاهدين ، ولا تجد واحدة جالسة في محل ما كينات غسيل الملابس وهى ترغى وتدش مع جارتها ، لكن كل واحد وكل واحدة في يدها كتاب تقرأ فيه بانهمالك شديد كأنها ستمتحن فيه بعد ساعة ..

ومع ذلك ... فهم شعب جاهل جداً إلى حد قريب من الأمية ، ليست لديه أية معلومات عن خارج حدود بلاده .. ضعيف جداً في التاريخ وليست لديه أية معلومات عامة .. شعب لا يقرأ إلا الروايات البوليسية ويعبد « أجاثا كريستى » التى تنتشر رواياتها في مكتبات محطات المترو « أنلرجراوند » وتحتل وتملأ الرفوف الرئيسية فيها وتجدها في كل

الأيدى فى عربات المترو كأنها كتب مدرسية مقررة .. والصحف الإنجليزية نفسها تقول فى تحقیقاتها الصحفية إن ١٪ فقط من الإنجليز الذين يدخلون المدارس يكملون تعليمهم .. وذلك صحيح إلى حد كبير . فإننى — على الأقل فى محيط الفندق الذى أعمل فيه — لم أجد جامعياً واحداً . حتى المديرين أنفسهم .. وأى وظيفة هنا لا تشترط الشهادات على الإطلاق . تشترط فقط أن تكون تستطيع أن تقوم بها . .

الإنجليز يعرفون تاريخهم هم فقط جيداً .. لكن يأتى واحد مثل صديقى وزميلي الإنجليزي « ريتشارد » منذ عدة أيام ليسألنى عن « الرئيس » توت عنخ آمون (١١) الذى شهد معرضه فى لندن من الخارج ولم يدخله ، يعنى رأى الطواير فقط .. « ريتشارد » يتصور أن « الرئيس » توت عنخ آمون هو أحد رؤساء الجمهورية السابقين فى مصر ، ويتصور أنه مازال حياً حتى الآن ، ويسألنى إن كنت — كصحفى — أعرفه شخصياً وقابلته ! !

فرح « ريتشارد » جداً حين وعدته بأننى حين أعود إلى مصر سوف أرسل له صورة فوتوغرافية للرئيس توت عنخ آمون موقعة منه شخصياً ! !

ومع

أن

الإنجليز يقرأون الصحف والمجلات الإنجليزية باهتمام شديد إلا أن الصحف الإنجليزية نفسها تهتم كثيراً بإبراز أتفه الموضوعات .. مانشات الصفحات الأولى والصفحات الرئيسية فيها تهتم جداً بالكورة وبالجرائم وبالصور الجنسية العارية الفاضحة التى تنشرها صحيفة يومية شهيرة مثل « دايلى ميرور » كل يوم على صفحتها الثالثة : أهم صفحة فى أى جرنال .. تهتم بحوادث الخيانات الزوجية وهروب الزوجات مع عشاقهن ، والبنات التى عمرها ١٥ سنة ومرت بـ ٣٠ قصة حب ، والفتاة الزنجية التى

سوف يتزوجها الممثل الإنجليزي الشهير « بيتر فينش » ، والعروس التي هربت مع سائق أوتوبيس بعد أربعة أيام من زفافها ، وكيف تعادلت إنجلترا في كرة القدم مع بولندا فخرجت بذلك من مباريات كأس أوروبا وتطالب بطرد سير « ألف رامزي » مدير فريق إنجلترا الدولي وشقيقه في ميدان الـ « ترافلجار » لأنه هو الذي كان السبب ، منه لله !!

تصدر في لندن أكثر من ١٠ صحف يومية ، أشهرها :

- ☐ الجارديان .
- ☐ التايمز .
- ☐ الدايلي تليجراف .
- ☐ الدايلي إكسبريس .
- ☐ نيوز أوف ذي وورلد .
- ☐ الفاينانشيال تايمز .

وهذه تصدر في الحجم الكبير المعتاد الذي يشبه حجم الصحف اليومية المصرية أو أكبر قليلاً .. وصحف أخرى تصدر في نصف هذا الحجم الذي نسميه في الإصطلاحات الصحفية « التابلويد » ، مثل :

- ☐ الدايلي ميل .
- ☐ الدايلي ميرور .
- ☐ ذي صن .
- ☐ الإيفيننج ستاندارد .
- ☐ الإيفيننج نيوز .

وهي تصدر في أيام الأسبوع العادية - غير الأحد - في ٢٤ صفحة على الأقل .. أما صحف يوم الأحد فإن لها عندهم أهمية واهتماماً عظيمين : النسخة الواحدة من صحف الأحد تزن أقة وفيها عدد الصفحات لا يقل عن ٤٤ صفحة ، وغالباً يزيد .. وتحمل أنت ٤٤ صفحة بحجم « الأهرام » مثلاً يبقى شكلها إيه وتبقى قد إيه .. وبعض هذه الصحف يصدر معها يوم الأحد ملحق : مجلة كاملة مطبوعة بالروتوغرافور وبالألوان في ٨٠ صفحة ، وتوزع مجاناً مع صحيفة الأحد، مثل « التايمز » و « التليجراف » و « الأوبزيرفر » ..

والجرائد المسائية عند الإنجليز لا تقل في أهميتها عن الجرائد الصباحية : .
الجريدة المسائية عندنا في مصر تجددها فطساة وغلبانة وتصدر متدارية وعلى

استحياء كأنها مكسوفة . وتوزع كام ألف نسخة قليلين في السروف الخفاء . وقد تجد ناس كثيرين عندنا في مصر لا يعرفون إن كانت عندنا جرايد مسائية أم لا .. لكن هنا في إنجلترا الجرايد المسائية تنافس في توزيعها الجرائد الصباحية . والإنجائز يشتررون الإثنين . .

والإنجليزى يشترى جريدته ويقرأها في المترو ويتركها على مفعده وهو نازل أو يضعها في سلة المهملات في الشارع فلا يمد أحد يده ليأخذها . والذي يريد أن يقرأ الجرنال يجد أمامه الجرائد ملقاة على كراسى المترو بالكوم ومع ذلك يمد يده في جيبه ليخرج ال ٣ بنس ليشتري من البائع نسخته الخاصة به ، يقرأها ويرميها هو كمان . ولا أحد يفكر في أن يأخذ معه الجريدة التي قرأها إلى البيت لكي تلمع بها المدام زجاج الشبايك !

والمجلات

الإنجليزية

عددتها كبير مهول أكبر من أن يقع تحت حصر - على الأقل بالنسبة لى أنا- وليس فيها مجلات عامة تكتب في كل الموضوعات مثل «المصور» و «آخر ساعة» و «روز اليوسف» عندنا .. إنما كلها مجلات متخصصة: مجلة لليخوت ومجلة للسيارات العادية ومجلة لسيارات السباق ومجلة للدراجات ومجلة للطائرات الشراعية . وأخرى للطائرات العادية . ومجلات متعددة للأزياء وللمرأة وللأطفال ، وكل فرع يخطر على بالك سوف تجد له قطعاً مجلة تهتم بأميره وترعى شؤنه .. لم أكن أتصور أن تكون هناك مجلة خاصة تصدر أسبوعياً في ٨٠ صفحة كل اهتمامها : « الموتوسيكلات » !! .. لو أن مثل هذه المجلة صدرت عندنا في مصر فسوف تصدر في ملزمة واحدة ٨ صفحات مليئة بالإعلانات ، ثم تشهق وتلفظ أنفاسها وتستشهد وتتوقف عن الصدور بعد عدد واحد فقط لأنها لن تجد مادة عن الموتوسيكلات

تنشرها بعد ذلك .. لكنهم هنا - وسبحان العاطى الوهاب - يجدون المادة المتوسكية التى تملأ فراغ ٨٠ صفحة كاملة : وكل أسبوع ..

هنا أيضا مجلة أسبوعية خاصة بالفندقة - من كلمة « فنادق » - إسمها « كاترار آند هوتيل كيپر Caterer and Hotel Keeper » .. وجريدة للفندقة أيضا إسمها « كاترنج تايمز Catering Times » .

وهى ليست دعاية وإعلانات عن الفنادق كما قد يتصور البعض ، لكنها جريدة مثل كل الجرائد التى خلقتها ربنا . لا تتردد فى أن تنشر - بالإسم كاملا وبالتفاصيل والصور - خبر مدير الفندق الذى هرب بمرتبات الموظفين وحين قبض عليه البوليس لم يجد فى جيبه غير بنس ونصف !!

ومجلات الجنس هى أغلى المجلات هنا .. إذ تباع النسخة الواحدة بين ٣٠ و ٥٠ بنساً . ومطبوعة بطريقة مهولة على ورق كوشيه ملون من الغلاف للغلاف وبصور جنسية صحيح وقاضحة صحيح ومثيرة صحيح . لكنها أقرب إلى اللوحات الفنية والتابلوهات . يعنى الواحد ممكن يقطعها من المجلة ويبرزها ويعلقها فى مكتبه مش بس فى غرفة نومه فى البيت ..

الظريف أن هذه المجلات مكتوب على غلافها الخارجى (غير مسموح ببيع هذه المجلة للأشخاص الذين يقل عمرهم عن ١٨ سنة) !! . آل يعنى بائع الصحف سوف يطالب الولد الإنجليزى بإبراز بطاقة الشخصيه ، وآل يعنى لو ذهب ولد عمره ١٩ سنة واشترى كل النسخ التى عند البائع ووزعها بمعرفته على شلته حد حايقول له لا !!

وتنتشر

هنا

أيضاً « صحف الضواحي » .. ليست صحف الأقاليم أو صحف المقاطعات أو حتى صحف المدن . إنما صحف « ضواحي » لندن نفسها .. وهى ليست صحيفة واحدة للضاحية إنما « عدة » صحف

للضاحية الواحدة .. فى ضاحية واحدة مثل ضاحية « ميديلسكس » التى أسكن فيها والى تشبه ضاحية مصر الجديدة عندنا لأنها ضاحية مطار « هيثرو » فى لندن . وهى تنقسم إلى عدة أحياء صغيرة .. فى ضاحية « ميديلسكس » يصدر عدد من الصحف أكثر مما يصدر فى دولتين عربيتين معا ، يصدر - وما حدث من الزملاء الصحفيين يغمى عليه أو يطب ساكت - ١٣ صحيفة بين يومية وأسبوعية .. يعنى صحيفة أو أكثر لكل « حى » من أحياء الضاحية !! . وحتى لا يظن أحد أنى أبالغ أو أن المسألة وسعت منى شوية : فهذه هى أسماء الصحف الـ ١٣ التى تصدر فى ضاحية واحدة من ضواحي لندن :

- ١ - رويسليب پوست .
- ٢ - أوكسبريدج ويكلى پوست .
- ٣ - هايزر پوست ..
- ٤ - إيرپورت هونزلو پوست .
- ٥ - إيرپورت هيثرو پوست .
- ٦ - هارو پوست .
- ٧ - كيتون پوست .
- ٨ - ساوثبول پوست .
- ٩ - إلينج پوست .
- ١٠ - جرينفورد پوست .
- ١١ - ريكمانزورث پوست .
- ١٢ - ويمبلى پوست .
- ١٣ - كنجزبرى پوست .

وعقبالنا يارب لما تصدر فى كل مدينة كبيرة فى مصر : أو حتى فى كل محافظة ، صحيفة أسبوعية واحدة .

وهنا

نوع

ظريف جداً من الصحف يصدر فى إنجلترا أيضا : صحف بلا محررين !! .. مثل جريدة « إكستشينج آند مارت » التى تصدر كل يوم خميس وتباع بـ ٥ بنسات فقط ... ومع أنها تصدر فى ١٦٠ صفحة إلا أنك لن تجد فيها محرراً واحداً ولا مقالا واحداً ولا صورة واحدة .. لأنها كلها

— من الغلاف إلى الغلاف — إعلانات .. إعلانات عن كل شيء ، ابتداء من بيع وشراء القصور والبيوت واليخوت والسيارات الجديدة والمستعملة ، إلى دبايس الإبرة وبنس الشعر وزيار القمصان .. بحيث إن من يشتري هذه الجريدة الإعلانية يستطيع أن يستغنى بها عن النظر في كل الإعلانات التي تنشر في الصحف الأخرى العادية ..

ومانشات الصحف الإنجليزية — [وهذا الفصل مكتوب قبل حرب ٦ أكتوبر ومعركة البترول وأزمة الطاقة] — مانشات الصحف الإنجليزية من فرط الرخاء وانقطاع الصلة بالعالم الخارجى ، أو على الأقل « عدم الإهتمام به » ، كلها لا تتحدث إلا عن الحوادث والجرائم وملكة جمال پورتسماوث والفتاة العمياء التى تزوجت ولد مفتوح ، والأجازه المرحه الساخنة التى تقضيها « إليزابيث تايلور » فى إيطاليا بعد انفصالها بدون طلاق عن زوجها « ريتشارد بورتون » ، والأسباب الحقيقية وراء طلاق الحسنة « لينا سكوج » من زوجها الفنان « آلان هوايتهيد » ، والقطار الذى دهس عيلين فى مانشستر . . وبين عارف : يمكن ينشروا غداً تحقياً صحفياً فى ١٠ صفحات عن الست الى كلت دراع جوزها !!

ومثلاً يحدث تماماً فى دمياط أو فى المحلة أو فى الزمالك : [«الدائلي تليجراف» بتاريخ ٢٠ أغسطس] : مشجعو الكورة حين يهزم الفريق الذى يشجعونه يكسرون الدنيا ويخربون كل حاجة تقع تحت أيديهم : مشجعو فريق « أوكسفورد يوناتيد » العائدون من « هيرفورد » بعد مباراة هزم فيها فريقهم ، مزقوا مقاعد وكتب قطار إكسپريس هيرفورد — لندن ، وحطموا زجاج الشبايك وهشموا الأحواض الصينى الفاخرة والمرايا الرائعة الأنيقة فى دورات مياه الإكسپريس وخربوا القطار الشيك ودشدهوه .. نشرت «الدائلي تليجراف» ذلك ونشرت خبر القبض على ١٨٠ شخصاً من الذين اشركوا فى تخريب القطار بعد المباراة « الحية » أو « مباراة الصداقة » كما يسمونها هنا !!

ومن فرط

اهتمام الإنجليز بالجو وحالة الطقس . فإن الصحف الإنجليزية تنشر التنبؤات الجوية في صفحاتها الأولى . . وبعضها تبالغ في ذلك - مثلما تفعل الـ « دايلي إكسپريس » أحياناً - فتشر حالة الطقس تحت إسم الجريدة مباشرة بجوار سعر النسخة وتاريخ اليوم !

وفي صحف الضواحي الإنجليزية تجد أيضاً شيئاً ظريفاً : صفحة ونصف كاملة لا : عرائس !! .. وهنا يكتبون « مواصفات » العروس كأنها إعلان أو كأنها مطلوب لها عريس : بنت مين وسنها كام سنة وشكلها إيه : شقراء والا سمراء والا حمراء . وجسمها حلو والا لأ ومقاسات وسطها وصدرها ورجلها ، درست أو بتدرس إيه أو بتشتغل إيه . عرفت عريسها إزاي وحبوا بعض إزاي واتشاقوا مع بعض قبل الجواز لمدة قد إيه ، وحايقضوا شهر العسل فين ، وناوين يخلفوا وإلا حايخرجوا على التلفزيون ويحلوا كلمات متقاطعة . .

هايفين هياقة الناس دول . . ألعن مننا . .

لكن الميزة

الحقيقية التي تتمتع بها الصحافة الإنجليزية هي الصراحة المبهلة التي تصل إلى حد مناقشة أمور وشئون الأسرة المالكة البريطانية بصراحة بالغة وبصدق شديد .. وبرغم أن الشعب الإنجليزي يعبد أميرته الظريفة ذات الـ « ضب » الوسيم « آن » بنت ملكة إنجلترا ، وتشغله جداً حكاية زواجها .. وتفتح أي صحيفة أو مجلة كل يوم لتجد فيها موضوعاً مصوراً عن الأميرة الفارسة « آن » وخطيبها الكابتن « مارك فيليبس » .. إلا أن

صحيفة مثل «دايلي ميرور» - ٢٠ أغسطس - تهاجم بشدة أن تحصل الأميرة «آن» وعريسها على بيت في «ساند هيرست» به ٥ غرف نوم وإيجاره ثمانية جنيهات فقط في الأسبوع .. وتنشر خطابات القراء دافعي الضرائب الذين يعترضون - كما قالت سيدة قارئة - على أن تأخذ الأميرة بيتا بأكمله بثمانية جنيهات ، في الوقت الذي يتعطل فيه زواج ابنتها - ابنة السيدة القارئة طبعاً وليست ابنة الأميرة «آن» !! - لأنها لا تجد مجرد «شقة» تسكن فيها !! ... وذلك صحيح فعلاً . فأنا أسكن في غرفة واحدة في قبلا متواضعة وأدفع ستة جنيهات في الأسبوع . والأميرة ذات الضرب الطريف سوف تأخذ بيتا (من بابها) به ٥ غرف نوم . غير المسفرة والصالون . بثمانية جنيهات فقط ..

ثم : ٥ غرف نوم ليه ؟! هم ناوين يعملوا إيه بالضبط ؟!

و بمناسبة

الأميرة

الظريفة «آن» : الأميرة ترتيبها في وراثة العرش لتكون ملكة إنجلترا ، الحادية والعشرين في ترتيب «المستحقين» . بالرغم من أنها ابنة المالكة الحالية «إليزابيث» مباشرة . وبالرغم من أنها شقيقة الأمير «تشارلز» ولي العهد .. لكنها ليست لديها الفرصة لتكون ملكة إلا إذا مات ٢٠ واحداً وواحدة آخرين يسبقونها في الترتيب . وأحق منها في وراثة العرش .. . يعني محتمل أنا شخصياً أبى ملك قبل منها !!

مادامنا

قد

تكلما عن الصحافة الإنجليزية فلا بأس أيضا من أن نتكلم عن الإذاعة والتلفزيون الإنجليزيين . . . التلفزيون هنا في لندن له ٣ قنوات

تشاهد في جميع أنحاء إنجلترا B. B. C. 1. / B. B. C. 2. / I. T. V. ...
والا I. T. V. لها غير القناة التي تشاهد في إنجلترا كلها ١٥ قناة أخرى
موزعة على أقاليم إنجلترا طولا وعرضا . . كل قناة في كل إقليم تذيع
برنامجا خاصا بها مختلفا عن البرامج التي تذاع في الأقاليم الأخرى . .
قد يكون محليا فعلا : يعنى تم تصويره وإنتاجه في داخل الإقليم ولا يعرض
إلا فيه . كما في إذاعة الإسكندرية المحلية مثلا التي لها ميزانيتها وبرامجها
الخاصة بها التي تنتجها هي ولا تذاع في إذاعة القاهرة . . وقد يكون
مختارات من برامج محطة التلفزيون ال I. T. V. الأم ، الله أعلم . .
كما يحدث في محطات التلفزيون الفرعية عندنا في الصعيد : المنيا وأسيوط
وسوهاج والأقصر وأسوان مثلا التي لا ترى القناة رقم ٩ ، فيكون لها برنامج
آخر محلي يذاع من هناك ليملا فراغ القناة رقم ٩ ببرامج أخرى مختارة
من برامج التلفزيون الأم في القاهرة . . والفرق بيننا وبينهم هو أن
الصحف الإنجليزية هنا تنشر برامج التلفزيون في كل محطة من المحطات الـ ١٥
الفرعية ، ونحن هنا في مصر - حتى في مجلة « الإذاعة والتلفزيون »
المتخصصة - لا ننشر برامج الـ ٥ محطات الفرعية في الصعيد !!

(١٧)

□ الكتيبة الناعمة.. تحارب في لندن ! □

الزمان : الساعة الواحدة والنصف ، ظهر يوم السبت
٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ ..

المكان : مكتب البريد الفرعى فى حى « كرانفورد » فى
ضاحية « ميديلسكس » فى أطراف لندن ..

أضع
فى

صندوق البريد عدة رسائل مرسله إلى القاهرة : إلى رئيس تحرير
مجلة « الإذاعة والتليفزيون » ، وإلى أسرى وبيتى فى القاهرة ، أخبر
الجميع بأن مهمتى التى استمرت عدة شهور هنا فى إنجلترا قد قاربت
على الإنتهاء ، وأنى قد حجزت فعلا للعودة على طائرة شركة « سويس
إير » فى الأسبوع الأخير من شهر أكتوبر . .

ألقيت الرسائل . وعدت إلى بيتى فى « واى آفنيو » لأنام حتى
الثامنة مساء ، لأستريح من عناء يوم عمل شاق ، ولأستعد ليوم عمل شاق
آخر جديد يبدأ مع المساء وينتهى فى الصباح . .

□

الزمان : الساعة التاسعة والنصف من مساء نفس اليوم :
السبت ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ . .

المكان : فندق « سنتر إيرپورت هوتيل » فى منطقة مطار
« هيثرو » فى ضاحية « ميديلسكس » فى لندن ..

أصل إلى

الفندق في موعدي المعتاد كل ليلة .. للوهلة الأولى أشعر أن في الجوشيناً غير عادي .. شيئاً يكاد يصل إلى حد التوتر .. لندن كلها في حالة توتر هذه الأيام بسبب القنابل الأيرلندية التي تنفجر في كل مكان دون موعد ودون إنذار .. ظننت أن الأمر متعلق بحالة الطوارئ المعلنه في كل شهر في لندن بسبب هذه القنابل .. لكن زميلي الإنجليزي «توني مورجن» يبادرنى وفي عينيه نظرة شماتة واضحة :
— هل سمعت بما حدث ؟

أقلقتني نظرتي :

— لم أسمع شيئاً .. خير .. ماذا حدث ؟ !

يستطرد « توني » بنفس الشماتة :

— لقد حاول المصريون أن يعبروا قناة السويس .. لكن الإسرائيليين ردوهم على أعقابهم وقتلوا ٣٠ ألفاً .. تصور : ٣٠ ألف ضابط وعسكري مصري قتلوا في ساعة واحدة !

لو أن جبلاً انحط فجأة فوق أكتافى لما شعرت بهذا الإحساس .. شعرت لحظتها فقط كيف يمكن أن تكون السكته القلبية .. أو كأننى دست بقدم عارية على سلك كهربائى قوته ١٠٠ ألف فولت فصعقتنى على الفور و « نشفى » فى مكانى دون أن أستطيع حركة واحدة !

بعد لحظات بدأت أعود إلى نفسى .. بينما « توني » لا يزال يتحدث بإنجليزيتة السريعة الشامته .. أذناى ليستا معه على الإطلاق .. أسمع ولا أسمع .. كلى أصبحت فى القاهرة .. قطعاً هذا هزار إنجليزى سخيف .. هكذا الإنجليز دائماً .. ما بيعرفوش يهزروا ، فإذا هزروا صاروا أثقل خلق الله دماً ! .. قات والقلق يعتصرنى من الداخل :

— من قال لك هذا الكلام الفارغ ؟ !

قال فى انتصار :

— الراديو... B.B.C. .. والتليفزيون .. والصحف أصدرت طبعات مسائية .. إنت كنت نايم قطعاً .. حرب ٦٧ انتهت في ستة أيام ، لكن حربكم هذه المرة انتهت في ٦ ساعات .. قامت الحرب وانتهت وأنت نائم .. ها ها ها .. »

أسرعت

إلى

هالة التليفزيون .. في الطريق إليها تعرضني « سوسن » و « بيسة » .. القلق والذعر يرتسمان على وجهيهما : « صحيح الكلام اللي سمعناه ده ؟ ! » .. « مين قال لكم ؟ » .. « كل الناس هنا يقولوا كده » .. وتعلق عيوننا جميعاً بشاشة التليفزيون تنتظر أخبار الساعة العاشرة إلا ربعا .. أول خبر في النشرة هو خبر عبور القوات المسلحة المصرية لقناة السويس ظهر اليوم السبت ٦ أكتوبر واحتلالها جزءاً كبيراً من الضفة الشرقية لقناة السويس وتوغلها في سيناء .. منتهزة فرصة انشغال الإسرائيليين بالإحتفال بأحد أعيادهم الدينية في ذلك اليوم .. خريطة سيناء تظهر على الشاشة الملونة : والجزء الذي احتلته القوات المصرية مظلل بلون مختلف .. المذيع يقول إن معركة كبيرة تدور « الآن » على أرض سيناء بين القوات المصرية الزاحفة والقوات الإسرائيلية التي فوجئت بهذا الهجوم الذي لم تكن تتوقعه ولا كانت مستعدة له .. وقال أيضاً أن القوات المسلحة السورية هي الأخرى قد هاجمت القوات الإسرائيلية في ناحيتها وطردها من مرتفعات الجولان ..

ولم

يذكر

المذيع الإنجليزي حرفاً واحداً عن ال ٣٠ ألف جندي وضابط مصري الذين « قتلهم » الإسرائيليون في سيناء في ساعة واحدة ، ولم

يذكر أيضاً حرفاً واحداً معناه أن الإسرائيليين قد استطاعوا رد المصريين على أعقابهم . .

وقفزت « بيسة » في مكانها من الفرحة . وراحت « سوسن » كطفلة صغيرة ترمح في كل مكان وهي تحكى بالإنجليزية والعربية في وقت واحد . . لقد عبر المصريون قناة السويس وهذا يكفي . . لقد وضعوا أقدامهم على أرض سيناء من جديد وهذا يكفي . . لقد كانوا هم البادئين بالهجوم هذه المرة ، ولأول مرة ، وهذا يكفي . .

وأغادر

صالة

التلفزيون أبحث عن رقبة « توفى مورجن » . . قل ما تشاء يا « توفى » يا ابن « مورجن » . . لكن مديعكم الإنجليزى في تلفزيونكم الإنجليزى هو الذى يقول الآن إن المصريين يشوطون بأحدثتهم مؤخرات جنود إسرائيل ويطاردونهم في صحراء سيناء . .

لكن « منى » تأتى بسرعة لتجتذبنى من يدي لأعود من جديد إلى صالة التلفزيون : السفير المصرى « كمال الدين رفعت » يتحدث في التلفزيون الإنجليزى . . واضح أن « كمال رفعت » ليس لديه بعد معلومات كافية عن الحرب ، لكنه يتكلم كلاماً عاماً عن أننا نحارب معركة شريفة لا بد منها في سبيل استعادة أرضنا المغتصبة التي احتلها الإسرائيليون منذ عام ٦٧ ورفضوا الإنصياع لقرارات الأمم المتحدة في الجلاء عنها ، ولم يكن أمامنا إلا هذا الطريق ، طريق الحرب ، طالما أن الأمم المتحدة قد فشلت في أن تجعل إسرائيل تحترم قرارات المجتمع الدولي . .

وتتوقف

كل

الأحاديث في تلك الليلة إلا حديث الحرب بين مصر وسوريا من ناحية . وإسرائيل في الناحية الأخرى . . ولأن في الكافيتيريا وفي الفندق عموماً تعمل مجموعة كبيرة من البنات والشبان المصريين طلبة وطالبات في الجامعات المصرية . فإننا قد أصبحنا طرفاً في الموضوع . . كل رواد الكافيتيريا من الإنجليز والأجانب يناقشون في الحرب وفي المعركة الدائرة . . « سوسن » و « سناء » و « بيسة » و « منى » و « نورا » و « عقيلة » و « منى » أخرى و « شحاتة » و « ماجد » ، جميعهم فتحوا جبهة مصرية جديدة في الكافيتيريا تحارب ضد إسرائيل . . طول الليل يناقشون رواد الكافيتيريا بإنجليزيتهم العرجاء القاصرة ومعلوماتهم السطحية ، لكن حماسهم وانفعالهم الشديدين وإخلاصهم وحبهم الكبير لمصر ، والحق الواضح الذي لا ينكره إلا كل مكابر أعمى القلب . يتغلب شيئاً فشيئاً على كل الحجج الواهية التي يدافع بها الإنجليز . . واللى يعصلج معاهم أو تعجز إنجليزيتهم القليلة عن التفاهم معه ، يأتون به إلى لكي أتفاهم أنا معه ، على اعتبار أنني بحكم عملي كصحفي أكثر معلومات وأكثر فهماً للموضوع وخلفيته التاريخية . .

وقرب

الشجر

ينعقد حول مكتبي مؤتمر مصري صغير : البنات قررن أن ينهين عملهن هنا ويعدن إلى مصر فوراً . . وأنا أيضاً معهن . . كنا قد حجزنا للعودة على طائرة شركة «سويس إير» يوم ٢٠ أكتوبر . . لكن بلدنا تحارب الآن ، ولا بد أن نكون نحن أيضاً هناك . . قد لا نستطيع

شيئاً . قد لا تفيد بشيء : لكن مكاننا هناك . لا بد وأن نكون موجودين هناك . . لا بد وأن يكون كل مصرى على أرض الوطن في هذا الوقت . . بلدنا تنادينا حتى لو لم تكن في حاجة إلينا . . والمطلوب الآن أن نحاول مع مكتب شركة « سويس إير » لتقدم موعد عودتنا إلى أقرب تاريخ ممكن . .

لكن شركة « سويس إير » تعتذر بأنها قد أوقفت خطوط طيرانها إلى القاهرة ودمشق وبيروت وعمان وتل أبيب حتى تتضح الحالة وتهدأ الأمور . . فليس من المعقول أن تجازف بإرسال طائراتها المدنية إلى بلد فيه حرب ، وحرب مع من ؟ مع إسرائيل التي لها سوابق في ضرب وإسقاط الطائرات المدنية وركابها ! !
ثم يأتي الخبر الذي يحسم الأمر تماماً : مطار القاهرة الدولي نفسه مغلق . . . لدواعي الأمن أولاً . ولأنه من الحكمة أيضاً - حتى لو كانت دفعة الحرب في صالحنا - عدم المجازفة باستقبال طائرات مدنية في الوقت الحالي . .

وبعدين ؟

هل

ستحبسنا الحرب هنا في لندن بعيدين عن مصر في هذا الوقت بالذات ؟ ! . . هل سنقضي هنا كل الفترة التي سوف تستغرقها الحرب ، وقد تطول أكثر مما نتوقع ؟ ! . . وتمر بذهني وعلى ذاكرتي صور المصريين الذين حجزتهم الحرب العظمى الماضية في إنجلترا أو ألمانيا أو البلاد المتحاربة ، فظلوا ست سنوات الحرب محجوزين في هذه البلاد دون أن يستطيعوا العودة إلى مصر حتى انتهت الحرب عام ١٩٤٥ . . هل سيحدث لنا ذلك نحن أيضاً ؟ ! . . طيب أنا ومشكلتي إلى حد ما محمولة ، أستطيع أن أرتب أموري بحيث أكتب لمجلتي من هنا بصورة

أوبأخرى ، لكن البنات ، ومن جميعاً طالبات في الجامعات المصرية ، ماذا سوف يفعلن ؟ هل يكملن دراستهن هنا في الجامعات الإنجليزية أو ماذا ؟ وإلى أى مدى سوف تطول الحرب ويستمر إغلاق المطار ؟ ! . وتقفز فكرة جديدة : « منى » تقترح أن نعود بالبحر . . بالسفينة . . بالمركب . . بأى وسيلة إن شاء الله يكون قارب بمجاديف . .

وأرفع سماعة التليفون مرة أخرى وتدور اتصالات جديدة . . وتكون النتيجة هي نفس النتيجة : حالة الطوارئ معلقة في ميناء الإسكندرية أيضاً ، وكل الموانئ المصرية مغلقة في وجه السفن المصرية والأجنبية ! !

ونستسلم ، مؤقتاً ، للظروف الراهنة . وندخل الأمور تجري في أعنتها حتى يتضح الموقف أكثر ، أو يجد جديد . .

ونعود

إلى

مناقشات الحرب وحديث الحرب . . الصحف الإنجليزية الصباحية العشر تصلنى — بحكم عملى — فى الخامسة صباحاً . . قبل الخامسة بنصف ساعة تركت البنات أعمالهن وكل ما فى أيديهن ليتجمعن حول مكاتبى فى انتظار الصحف وعيونهن لا تتحول عن الباب الذى تأتى منه سيارة الصحف . . قبل أن يضع السائق الصحف أمامى كانت الأيدي المصرية الناعمة تتخاطفها بلهفة كبيرة . . يتصفحونها بسرعة . . يشاهدون الصور . . يحاولون قراءة المانشات الكبيرة . . ثم ، كأنهن يشعرن فى هذه اللحظة فقط بأهمية اللغة الإنجليزية كما لم يشعرن بها من قبل طيلة الشهور السابقة التى عملن فيها فى لندن . . يعدن الصحف إلى ومن يسألن : « يقولوا ليه عن الحرب ؟ ! » . .

وتأتى « بيجى » الأيرلندية الشمطاء المديرية الليلية للكافيتيريا لتسخط

فيهن وتسوقهن أمامها إلى داخل الكافيتيريا . . لكن « سوسن » بعد قليل تهرب مرة أخرى لتأتى إلى . . أترجم لها بسرعة ملخصاً لما جاء في الصحف الإنجليزية عن الحرب . وتذهب لتقله إلى زميلاتهما في الداخل ، ثم تعود متسللة لتطل برأسها الصغير من باب الكافيتيريا وهي تسألنى : « وإيه كمان ؟ ! » . .

« بوب »

الفتى

الإنجليزى الوسيم الذى يعمل فى مكتب الإستقبال . متحمس جداً لإسرائيل . . يتصور أنها عملاق خرافى لا يمكن دحره . . ويصرح بفخر بأن أخته متزوجة من إسرائيلى . . « بوب » يقرأ الصحف الإنجليزية بعين واحدة . . لا يرى إلا الأخبار التى فى صالح إسرائيل . ولا يصدق منها إلا دعايات إسرائيل . . معلوماته عن الشرق الأوسط غريبة جداً : فناة السويس فى نظره حفرها الإنجليز فى « أرض دولية » منذ « ٣٥ » سنة . وكان المصريون « يستأجرونها » منهم حتى عام ١٩٥٦ حين « استولى عليها » جمال عبد الناصر ! . . معلوماته تقول أن اليهود كانوا يعيشون فى فلسطين طويلاً عمرهم ويحكمونها طويلاً عمرهم ، وأن كل المشكلة بين العرب وبينهم أن اليهود أرادوا . فقط ، تغيير اسم دولتهم من « فلسطين » إلى « إسرائيل » عام ١٩٤٨ فثار العرب وهاجوا وحاربوهم ! . . ليس لديه أى فكرة على الإطلاق عن الفلسطينيين أو عن الشعب الفلسطينى ، ولم يسمع أن هناك لاجئين يعيشون فى خيام مطرودين من ديارهم ووطنهم منذ عام ١٩٤٨ . .

« بوب » معذور . . عمره ١٨ سنة . . ولد سنة ١٩٥٥ وكبير ونشأ وتربى ورضع وشرب وتغذى على الدعايات الإسرائيلية . . ثم كمان تزوجت أخته من إسرائيلى فازدادت المسألة فى نظرة تأكيداً ، وازداد تعاطفاً مع

إسرائيل . . . لذا كان المناقش المجادل المقاح كثيراً في الأيام الأولى من الحرب . . . واستلمته البنات المصريات - لأنه قريب من أعمارهن - وهلكن بدنه حواراً ومناقشة وجدلاً ، ثم مسخرة وتريقة وتهزئاً . . . وتخفى « سوسن » وراء ظهرها نسخة من جريدة الـ « جارديان » - أكثر الصحف الإنجليزية اعتدالاً أو حياداً في تناول موضوع حرب الشرق الأوسط - ثم تسأله في براءة وسذاجة :

- بوب . . . إنت بتعرف تقرا إنجليزى ؟

فيرد « بوب مندهشاً :

- طبعاً . . .

فتبرز « سوسن » الصحيفة من وراء ظهرها تكاد تضعها في عينيه وهي تشير له على أجزاء معينة في الأخبار المنشورة فيها عن الحرب :

- أمال ما قرية شئ الأخبار دي ليه ؟ !

لكن

« جيم »

رجل الأمن في مطار « هيثرو » ، الذي يقترب من الأربعين ، قطعاً معلوماته عن مشكلة إسرائيل أكثر ، على الأقل بحكم عمره . ثم يحكم أنه قضى جزءاً من خدمته العسكرية في الجيش البريطاني في قناة السويس ، وجزءاً آخر كحارس خاص لأمرأ الخليج في أبو ظبي والبحرين والشارقة . . . « جيم » وجهة نظره مختلفة : سيناء أرض صحراوية جرداء لا تستفيد مصر منها شيئاً . . . فلماذا لا تتركها لإسرائيل تعمورها وتزرعها وترعاها ، وتعطى جزءاً منها للفلسطينيين لكي يعيشوا فيه . فتحل بذلك المشكلة ، بدلا من هذه الحروب التي لا تنتهى بين العرب وإسرائيل . والتي تهدد بنشوب حرب مواجهة عالمية بين القوتين العظميين في العالم : روسيا وأمريكا ! !

نفس الرأي تقريباً سمعته من مستر « بتشورتشيك » المدير المساعد الألماني للفندق . . . كلف خاطره وترك مكتبه وجاء لغاية عندي ليسألني :
— لماذا تحاربون إسرائيل ؟

— لنسرد أرضنا التي استولت عليها غصباً عام ١٩٦٧ . . .
— تستردونها لماذا ؟ ! . . ألم « تحصل عليها » إسرائيل في « حرب عادلة » سنة ١٩٦٧ ؟ !

— يعنى إيه « حرب عادلة » ؟ ! . . لقد احتلت ألمانيا فرنسا ، مثلاً . خلال الحرب العظمى الماضية ، فهل تصبح فرنسا ملكاً لألمانيا لأنها احتلتها لفترة خلال سنوات الحرب ؟ ! . . هل تستطيع ألمانيا أن تغير اسم فرنسا وتلغى وجودها كدولة وتلغى وجود الشعب الفرنسى وتطرده خارج فرنسا . كما فعلت إسرائيل في فلسطين ومع الشعب الفلسطينى ؟ ! ويرد مستر « بتشورتشيك » فى بساطة عجيبة :

— ولكن الأمر يختلف . . فرنسا هى فرنسا . .
— ياسلام . . وفلسطين هى فلسطين . . ولن تختفى من الوجود لمجرد أن يريد ذلك عدد من اليهود المستوردين من كل دول أوروبا ومضرويين بالخللاط لكى يصبحوا شيئاً جديداً اسمه إسرائيل !

— أنتم تكرهون اليهود . . المسألة إذن فيها عنصرية . .
وأقول له وأنا لا أستطيع أن أخفى دهشتى :

— مستر « بتشورتشيك » . . غريب جداً أنك أنت بالذات ، وأنت ألماني الأصل : الذى تتكلم عن كراهية اليهود وعن العنصرية . . لم نكن نحن فيما أتذكر الذين اخترعنا غرف الغاز لنعدم فيها اليهود ، إنما الذى فعل ذلك هو أنتم : الألمان . . إنكم حتى لم تعدوهم بالرصاص ، لم تشنقوهم بالمشنقة ، ولم تصبغوهم بالكرسى الكهربائى . . يعنى لم تقتلوهم « قتلاً سهلاً » أو « قتلاً رحيماً » إذا استطعنا استعمال هذا التعبير . . لكنكم اخترعتم غرف الغاز لإحتقاراً لهم ولكى تقتلوهم كالفران

بعد تعذيب شديد ومعاناة شديدة . . لقد أردتم أن تعذبوهم بشدة وتتكلموا بهم قبل أن تقتلوهم . . ثم تأتى أنت بالذات لتقول لى إن العرب يكرهون اليهود . . نعم . نحن نكرههم . ومن فى العالم لا يكرههم ؟ !

وبعدين ؟

الأيام

بتجربى والخرب مستمرة . . والأخبار التى تصلنا عن الحرب فى مجموعها لا تسر . . فكلمها تصل عن طريق الصحف الإنجليزية الموالية بشدة - فى أغلبها . ما عدا « تايمز » و« جارديان » - لإسرائيل . . لكننا عودنا أنفسنا على أى حال أن نقرأ الأخبار بعد أن نضعها فى معادلة رياضية بسيطة : الأخبار الكويصة التى لصالح مصر نضربها $\times 10$. والأخبار التى فى صالح إسرائيل نقسمها $\div 10$. . لكى تكون النتيجة فى النهاية هى الأخبار الصحيحة أو الموقف الصحيح . . لكن مع ذلك . لا بد من العودة إلى مصر بأى ثمن . .

« بيته » الشيطنة . . صاحبة همة وحلالة المشاكل : تنحدرت وذهبت وحدها إلى مطار « هيثرو » وعادت تحمل إلينا البشرى : شركة مصر للطيران عندها الحل : طائراتها تطير من لندن ٣ مرات فى الأسبوع إلى طرابلس أو بنغازى فى ليبيا . . تأخذ المصريين إلى ليبيا ، ثم تنقلهم من هناك إلى القاهرة - على حسابها - بأوتوبيسات خاصة على الطريق الصحراوى الواصل بين مصر وليبيا . .

الحمد لله ، جاء الفرج . . وآهو ليبيا أحسن وأرحم من حبستنا هنا . . على الأقل نبقى قريبين من مصر ، وإن شا الله بعد كده نروح لغاية القاهرة ماشيين . .

وذهبت البنات إلى المطار وحجزن للعودة إلى مصر على أول طائرة ممكنة . . وانشغلت أنا يوماً واحداً ثم ذهبت بعدهن لأكتشف أن هذا

اليوم الواحد الذى تأخرته قد تسبب فى تأخير عودتى إلى الوطن أسبوعين كاملين . . فإن ٦ طائرات بعد طائرة البنات قد تم حجزها عن آخرها . . على العموم . إن وجودى هنا على أى حال مفيد لاستكمال الصورة التى بدأتها عن كيف يرى الناس فى أوروبا حربنا من وجهة نظرهم . . وما دمت قد أطمأنت على أن طريق العودة إلى مصر قد أصبح مفتوحاً بصورة ما : فلا بأس من أن أتأخر هنا فترة أخرى . .

« إنتم

مجانين ؟ !

تروحوا مصر إزاي فى الظروف دى وفيه حرب هناك ؟ ! . . حد يسبب الأمان هنا فى إنجلترا ويروح للحرب برجليه فى مصر ؟ ! . . خليكم هنا أأمن لغاية ما تنتهى الحرب وبعدين رّوحوا على مهاكمم . . وآديكم بتشتغلوا وبتكسبوا فلوس كويسة ومبسوطين » . .
هكذا كانت وجهة نظر أصدقائنا وزملائنا الإنجليز . . لكن كان الرد المصرى دائماً ، وذلك ما كان يسعدنى أنا أيضاً أن أسمعه من بنات العشرين اللاتى لم أكن أتصور للحظة واحدة قبل الحرب أن يكون يعتمل بداخلهن هذا الحماس الدافق والحب الكبير للبلد ، لمصر . . كان الرد المصرى دائماً :

— أبدأ . . هناك بلدنا وأرضنا . . هناك أهلنا وأخواتنا وأصحابنا وحباينا . . إشمعنى هم يحاربوا واحنا لأ . . إشمعنى هم يتعرضوا للخطر واحنا لأ . . إشمعنى هم يتعبوا واحنا نقعد هنا مستريحين . . إحنا مسلمين ومؤمنين بأن اللى لنا نصيب فيه لازم نشوفه مهما كنا بعيد أو قريبين . . نرجع بلدنا واللى يسرى على كل اللى هناك يسرى علينا . واللى يشوفوه هم لازم إحنا كمان نشوفه . .

أدركنا

قيمة

أن يصل إلينا صوت راديو القاهرة في غربتنا هذه في إنجلترا . .
 لم يكن سهلاً أن نستطيع الحصول على صوت مصر من خلال الراديو . .
 أنحتنا « بيسة » تفرغت أيام الحرب للمرابطة بجوار الراديو راحة جاية
 بالمؤشر بتاعه حتى اصطادت أخيراً إذاعة الجزائر ، فثبتت المؤشر عليها ،
 وأصبحت « بيسة » هي « مراسلتنا الإذاعية » في راديو الجزائر : تسمع
 الأخبار منه . ثم تيجي جرى لكي تبلغها لنا . وتعود إلى « موقعها »
 بجوار الراديو من جديد . . التليفزيون الإنجليزي وإذاعة لندن الإنجليزية
 وصحف إنجلترا كلها أصبحت أبواق دعاية لإسرائيل . . التحيز لإسرائيل
 يبدو واضحاً جداً في كلامها عن الحرب . حتى أن التليفزيون الإنجليزي
 يسمى العرب في كلامه : الأعداء ؟ ؟

في الوقت الذي استطعنا فيه في « الجبهة المصرية الصغيرة » التي
 فتحناها في الكافيتيريا ، وبالمناقشة وبالحوار الهادئ أحياناً . المتحمس
 العنيف غالباً . استطعنا أن نستميل إلى وجهة النظر العربية أغلب
 الآراء التي كانت ضدنا في الأيام الأولى للحرب . . « طيب لما إنتم
 الحق في جانبكم بالشكل ده ، إحنا ما سمعناش الكلام ده قبل كده
 ليه ؟ مش بتقولوه ليه ؟ » . . « تسمعوه منين وتقولوه فين ؟ » . . في
 « دابلي ميرور » والافى ال « أوبزيرفر » والافى ال « إيشنج ستاندارد »
 والافى ال « B.B.C. » وإذاعة لندن التي لا تكف عن مهاجمتنا سواء في
 وقت الحرب أو وقت السلم ؟ . . « على أى حال لازم تلاقوا طريقة
 توصلوا بيها وجهة نظركم للرأى العام في إنجلترا وفي العالم كله » . .
 « حاضر . . تفكر في طريقة » . .

(١٨)

□ بلياردو .. □

أو :

□ بين الحب والحرب .. □

لم
تستطع

الصحف الإنجليزية أن تستمر طويلاً في تجاهل الحقائق .. لم تستطع أن تنكر أن المصريين قد « أزالوا » خط بارليف من الوجود وجعلوه ذكرى غير سعيدة للإسرائيليين .. خط بارليف الذي كان الإسرائيليون يقولون إنه أقوى من خط ماجينو وخط سيغفريد معاً .. « نفخه » المصريون في ٦ ساعات .. هجموا في الثانية ظهراً ، وباتوا ليلتهم الأولى في سيناء على أنقاض خط بارليف الشهير الذي كان الإسرائيليون يتوهمون أنه « حائط » ضد هجوم المصريين ، فباتوا هم الآخرون ليلة ٦ - ٧ أكتوبر يكون على « حائط مبكاهم » الجديد ..

ولم تعد الصحف الإنجليزية تذكر « أرقام » خسائر اليهود ولا المصريين .. وعلى اعتبار أن « نفي النفي إثبات » ، وحين تتجاهل الصحف الإنجليزية شيئاً ما كلية فإن ذلك معناه أن هذا الـ « شيء ما » هو لصالح العرب ، ولو كان فيه ستيومتر واحد لصالح إسرائيل لكانت الصحف

الإنجليزية هالت له وكبرت وهتفت بحياة القائد المنتصر « موشيه ديان » ..
لكن عرض الموقف بسلبية هكذا يدل على أنه إيجابى جداً لصالح
المصريين ولصالح العرب ..

وجاء الوقت الذى أستطيع فيه - مؤيداً من صحافة الإنجليز
نفسها - أن ألقم زملائي الإنجليز فى الفندق : « تونى » ال « پورتر » و « أنتونى »
السائق و « بوب » فى الاستقبال الوسيم و « ريكمار » ال « پورتر » ، جاء
الوقت الذى أستطيع فيه أن ألقمهم حجراً فى أفواههم ، فلوحت لهم
بصحفهم وطلبت منهم أن يقرأوها جيداً إذا كانوا يعرفون اللغة الإنجليزية
.. فرصة نترى عليهم وأمسخرهم وأهزى بدنهم وأشبعهم سخرية
وتهزيتاً .. وأذكرهم بأنهم جميعهم « عيال » - إذ أن أكبرهم لم يتعد
٢٤ سنة - كلهم « أطفال » لم يعرفوا الحرب ولا جربوا مرارتها ولا كانوا
موجودين ولا ولدوا بعد حين كانت طائرات الألمان خلال الحرب العظمى
الثانية تدك لندن عاصمة بريطانيا «العظمى» وتطحنها كل ليلة بالقنابل ، وحين
كان آباؤهم وأمهاتهم « يعيشون » فى الخنادق والمخابئ ويقضون لياليهم
فى أنفاق محطات ال « أندرجراوند » تحت الأرض بعد أن حرّمهم الألمان
طعم النوم .. لكننا نحن فى مصر نحارب ، ونحارب معركة شريفة فى سبيل
استرداد أرضنا التى اغتصبها الإسرائيليون ..

وأخذتني

العصبية

وأنا أناقش وأجادل فى عنف وشراسة باللغة الإنجليزية ثلاثة
لغتهم الأصلية هى الإنجليزية .. حتى طاب « بوب » (هدنة)
لنتكلم بهدوء وليفهموا منى سر غضبى وثورتى حتى أن صوتى قد ارتفع فى
أرجاء الفندق فى الخامسة صباحاً هكذا .. ويسألنى أين هى عدالة
المعركة التى نحاربها إذا كنا نحاول طرد دولة إسرائيل من « أرضها » ! !

. . البيه الإنجليزى « بوب » لا يعلم شيئاً عن فلسطين إلا أنها دولة اليهود ونحن العرب الذين نحاول طردهم منها . فلما شرحت له أن إسرائيل لم تقم كدولة إلا منذ خمسة وعشرين عاماً سنة ١٩٤٨ ، قال لى فى دهشة أن معلوماته تقول إنها موجودة فى هذا المكان منذ آلاف السنين . لكنها - فقط - أعلنت كدولة سنة ١٩٤٨ . وهذا هو الشيء الذى يعرفه منذ بدأ يسمع عن مشكلة إسرائيل مع العرب . . فلما كذبت له هذا الزعم وهذا التصور والافتراء وقالت له إن اليهود لم يعيشوا كشعب فى فلسطين إلا نحو أربعين سنة فقط . وكان ذلك منذ عدة آلاف من السنين . قال ببرود : « وماله ؟ » . . أليس ذلك كافياً لتكون دولتهم هناك ؟ !! ، قلت له إن إنجلترا احتلت مصر ٧٠ سنة كاملة ، فهل معنى ذلك أن نأفى وجود مصر ونعتبرها إنجلترا ؟ ! ، وأن فرنسا احتلت الجزائر ١٣٠ سنة ، فهل ألغت وجود الجزائر ؟ ! ، وأن العرب أنفسهم قد احتلوا أسبانيا - الدولة الأوروبية - نحو ٨٠٠ سنة . فهل تصبح أسبانيا قطعة من البلاد العربية ونأفى اسمها ووجودها كدولة أوروبية ؟ ! . . فقال « بوب » مندهشاً إن هذه هى أول مرة فى حياته يسمع فيها وجهة نظر عربية ، فلماذا لا يقول العرب هذا الكلام لكى يسمعه الإنجليز . على الأقل الإنجليز الشبان الذين لا يعرفون شيئاً عن أبعاد المشكلة إلا ما يذيعه راديو لندن وتلفزيون لندن وصحافة لندن ، وكله طبعاً من وجهة النظر الإسرائيلية وحدها ؟ ، قلت له : « وأين يستطيع العرب أن يقدموا وجهة نظرهم هذه ؟ فى تلفزيون لندن أو صحافة لندن أو راديو لندن ، وجميعها تدين بالولاء لليهود وإسرائيل ؟ ! هل ينشئ العرب لأنفسهم محطة تلفزيون خاصة ومحطة إذاعة خاصة فى إنجلترا وفى كل دولة أوروبية ؟ ! هل يصدرون لأنفسهم صحفاً خاصة فى إنجلترا وأوروبا ؟ ! » فأجاب « بوب » فى دهشة شديدة : « ليه لا ؟ لا أتصور أن ذلك سوف

يكلفكم كثيراً إلى الحلة الذي يجعلكم تضحون بما سوف تكسبونه من عرض وجهة نظركم في المشكاة على الرأي العام الأوروبي ؟ ! « . . . صحيح : ليه لأ ؟ ! .

وبه ع

الأولاد

والبنات المصريون إلى حيث تلور بيننا هذه المناقشة : وما أن يعرفوا الأخبار التي جاءت في الصحف الإنجليزية حتى يتمافزون فرحاً . وتنشط « بيسة » طالبة التجارة في مكانها من السعادة الغامرة ، ويدفع « ماجد » تلميذ الثانوي ٣ بنسات من جيبه ليشتري نسخة من « دايلي إكسپريس » لن يستطيع أن يقرأ فيها جملة واحدة باللغة الإنجليزية ، لكن يكفي أنها تقول — حتى ولو باللغة الصينية — أن العرب حتى الآن منتصرون . . . وتتفتح « سوسن » ضاحكة بطريقها المعهودة التي تشبه حنفية باظت جلدتها وفسد محبسها وساحت على نفسها . ولا يستطيع أحد إيقافها عن الضحك إلا حين « تكشف » هي فجأة أنها نسيت السبب الذي كانت تضحك من أجله !! .
يارب : كمل فرحتنا ولا تشمت فينا ولاد ال . . . إنجليز ! !

التوقيت

الشتوى

في إنجلترا بدأ الليلة ، وعادوا إلى توقيت جرينيتش الأصلي : فأخروا الساعة ساعة .. الغريب في هذا الأمر شيئان : أنهم لا يؤخرون الساعة عند منتصف الليل مثلما فعل نحن في مصر ، لكنهم يؤخرونها في الثانية صباحاً لتصبح الواحدة صباحاً .. الشيء الثاني أنهم لا يبدأون التوقيت الشتوى في أول يوم في الشهر أو في ١٥ منه مثلاً ، لكنهم

يبدأونه ليلة ٢٨ - ٢٩ في الشهر .. ليه ٢٨ مش ٢٧ أو ٢٥ ؟ مش فاهم .. ويبدأون التوقيت الصيفي يوم ١٠ مارس .. برضه ايه مش أول الشهر ؟ مش فاهم ، وتلاقىهم ولا هم كمان فاهمين .. لكن للإنجليز فيما يعشقون مذاهب ! ! .

في أيام

أجازاتي التي أبيت فيها في بيتي ولا أذهب إلى عملي في الفندق لا أكاد أفتح عيني في الصباح حتى أهرع إلى مكتبة الضاحية لأشترى صحف الصباح : حتى قبل أن أغسل وجهي أو أتشطف . وما زالت هذه هي وجهة نظري في صحافة إنجلترا : ما دامت لا تجد ما تظنن به عن انتصارات إسرائيل . إذن فالموقف في صالحنا جداً وإسرائيل مضروبة على دماغها . . حتى حين تكذب صحافة إنجلترا وتدعي . يبدو كذبتها وادعاءها واضحاً مكشوفاً ، وتناقض اليوم ما قالت أمس . . اليوم أيضاً لم تستطع أن تقول شيئاً عن أي تقدم لإسرائيل في ميدان المعركة ، بينما لم تنكر أن الضفة الشرقية للقناة قد أصبحت الآن بأكملها تحت السيطرة المصرية .. وقالت أن الطائرات الإسرائيلية تضرب القوات المصرية المتقدمة في سيناء بقنابل النابالم المحرمة دولياً .. وأن ٤٠٠ دبابة مصرية محاصرة الآن في سيناء ، دون أن تذكر شيئاً عن الـ ٦٠٠ دبابة المصرية الأخرى التي قالت عنها بالأمس أن ١٠٠٠ دبابة مصرية قد اقتحمت سيناء !!!.. وقالت !! « إيفيننج نيوز » إن القوات المسلحة المصرية قد أسرت عدداً كبيراً من الجنود الإسرائيليين .. وقالت أيضاً أن الطيران الإسرائيلي متفوق .. معنى ذلك أنه « بالكثير » هو السلاح الوحيد عند إسرائيل الذي يلعب دوراً الآن .. وقالت أنه في خلال الـ ٢٤ ساعة الأخيرة قد ألقي على القوات المصرية كمية من القنابل تفوق كل ما أسقطه من القنابل

خلال حرب يونيو ٦٧ كلها !!

ولم تنشر صحيفة « نيوز أوف ذي وورلد » خبر الحرب نفسها إلا في ثلث العمود الأخير من صفحتها الأولى . في حين « تصدرت » الصفحة الأولى أخبار أخرى شامة جداً من نوع : الفتاة الزنجية التي سوف يتزوجها الممثل الإنجليزى « بيتر فينش » . والعروس التي هربت مع زوج أخت عريسها بعد ٤ أيام من الزفاف !! .. وكان من رأى « نيوز أوف ذي وورلد » أن : « اللدابات المصرية قد (اختطفت) قناة السويس من يد الإسرائيليين » !! .. هكذا : « إختطفت » .. .
إحنا اللي - يا حرام - إختطفنا القناة من يد الإسرائيليين !! .. ولو ،
ليكن ، إختطفنا إختطفنا ..

وأذاع راديو الجزائر في نفس الليلة أن مدينة القنيطرة أهم مدن مرتفعات الجولان السورية قد استردتها القوات السورية المقاتلة في الجبهة الثانية ..
انصرنا يا رب ولا تشمت فينا أعداءنا ونحن هنا في الغربية في وسطهم ..
وأسمعنا دائماً أحسن الأخبار عن انتصارات القوات العربية ..

اليوم

صباحاً ..

وفي بيتي ، ولم يكن فيه غيرى وغير جارتى المصرية « منى » ..
شعرت كأن أحداً صفعنى على قفاى بمرزبة ثقيلة في ميدان التحرير علناً وأمام كل الناس ! .. كانت « منى » تضع بعض الملابس التي اشتريتها من هنا في حقيبتها . حين اكتشفت أن البنطلون القطيفة الجديد الذي اشتريته أمس وكانت سعيدة به جداً . إكتشفت أن عليه ماركة أنه مصنوع في : إسرائيل !! .. وبسرعة فحصت « منى » كل ملابسها التي اشتريتها من لندن ، فاكشفت أن أغلب ما اشتريته مصنوع في إسرائيل ومكتوب عليه ذلك !! ..

يا لعظمة ويا لروعة ما فعلت « منى » . وما فعلت أنا . وما يفعل كل المصريين الذين يأتون إلى هنا ويصبون أموالهم في المحلات التجارية التي يملكها يهود !.. وبكت « منى » وصرخت وولوات : أو أصيب أخوها أو قتل في الحرب الدائرة الآن فسوف تكون هي التي قتله . . . أخوها ضابط مهتلس في القوات البحرية المصرية . . . نحن إذن الذين ندفع للإسرائيليين لكي يقتلونا . . . كل بنس واحد ندفعه لهذه المحلات التي تباع لنا بضائع إسرائيلية أو مصنوعة في إسرائيل ، يساوى رصاصة في قلب أخى أو أخيك أو ابنك أو زوج أختك أو خطيب ابنتك . . . كل شلن ندفعه لهذه المحلات - كما قالت « جولدا مائير » مرة من قبل - يساوى رصاصة في صدر عربى مثلى ومثلك . . .

تصوروا كم دفعنا لهم منذ عام ١٩٤٨ حتى الآن . ومنذ عام ١٩٦٧ حتى الآن ، ومنذ ٦ أكتوبر ١٩٧٣ حتى الآن : اليوم الخامس في الحرب الآن ؟ ! . ولا تحسبوها بالبنسات ولا بالشلنات ، وإنما احسبوها بالدم المصرى . وبالدم العربى ! !

يبدو

أنا

سنكتفى بأن نظل نصرخ طول عمرنا من جهل الأجانب بوجهات النظر العربية في موضوع فلسطين وإسرائيل . دون أن نفعل من ناحيتنا شيئاً جاداً لمحاولة تعريفهم بها ، وكأننا ننتظر من كل من يريد أن يعرف وجهة نظرنا أن يتفضل ويشرفنا في مبنى هيئة الاستعلامات بالقاهرة في مواعيد العمل الرسمية من الثامنة صباحاً إلى ٢ بعد الظهر ، فيما عدا أيام الجمعة والعطلات الرسمية ، ليعرف بنفسه ما يريد ! ! .

مستر « بتشورتشيك » المدير المساعد الألماني للفندق جاء الليلة إلى مكتبي ليفتح معى مرة أخرى موضوع الحرب الدائرة الآن بين العرب

وإسرائيل . ويبلى دهشته الشديدة من أن « تتكالب » الدول العربية كلها على « الدولة الصغيرة الضعيفة إسرائيل » .. فأقول له : « ومع ذلك فقد استطاعت « الدولة الصغيرة الضعيفة إسرائيل » في عام ١٩٦٧ أن تهزم ٣ دول عربية مجتمعة . فكيف يمكن أن تتصور إذن أنها « دولة صغيرة ضعيفة » كما تقول أنت وكما تقول هي عن نفسها ؟ ! .. » . فينعكس منطق مسٹر « بتشورتشيك » على الفور ليقول : « وسوف تهزمكم هذه المرة أيضاً » !! أقول له أن أميركا هي التي تحاربنا من وراء قناع إسرائيل . فيقول : « قد تكونوا ١٠ مليون عربي كما تقولون ، لكن الـ ٢ مليون إسرائيلي سوف يهزمونكم .. الفرق بينكم وبين إسرائيل ليس في التسايح فقط إنما في كيفية استخدام الإمكانيات » .. فأقول له إن لدينا مثلاً عربياً يقول (الكثرة تغلب الشجاعة) ، وقد تكون أنت محمد علي كلاي بطل أبطال العالم في الملاكمة ، لكن لو تكاثر عليك ٤ شبان لا يعرفون شيئاً عن الملاكمة . . . » وتوقفت قليلاً لأبحث عن معنى بالإنجليزية يساوي عبارة « مسحوا بيلك الأرض » فلم أجده ، فاستطردت : « بلعوا منك سجادة » !! . وتتسع عينا مسٹر « بتشورتشيك » من الدهشة للحكاية « سجادة » هذه ، ويبدوا أنه تصور نفسه فعلاً في هذا الوضع . فتركني وعاد إلى عمله ، وتوقفت مناقشتنا عند هذا الحد ، لكنه توقف مؤقت ، قطعاً سيتجدد مع تجدد الأحداث وتطوراتها . .

.. قلقان

قلقان

جداً .. يكاد رأسي أن ينشطر إلى نصفين من القلق الذي هبط على فجأة الليلة — في اليوم الثامن للحرب — من أجل ابنتي « نهلة » التي تركتها ورأى في مصر قبل حضوري إلى هنا منذ عدة شهور . . زهرة صغيرة ، وردة مفتحة ، ربيتها وكبرتها ورأيتها أمام عيني تنمو وتشب

وتكبر وتصبح آنسة صغيرة حسناء .. عندي الآن إحساس غامر بأنني
 ان أراها مرة أخرى .. لا يهمني لو كنت أنا الذي سوف يحدث لي شيء ..
 لكن الخواطر والذواجر الشريرة تملأني وتغعم قلبي حزناً وسواداً وانقباضاً
 وتشاؤماً من أجلها هي .. أشعر .. اليوم فقط ، كأن مكروها قد حل بها
 نتيجة للحرب الدائرة الآن في وطني وأنا هنا بعيد عنه .. وعنها ، بألاف
 الأميال لا أدري شيئاً عما يدور هناك .. كانت دائماً في حضني وفي
 قلبي وبين جنبي ، وطالما بعدت عنها في رحلات صحفية سابقة ، لكنني
 لم أفلت عليها من قبل كما فلتت عايتها الآن ، اللبابة ..

إستر يا رب .. فهي كل حياتي ، وهي الابتسامة الوحيدة علي شفتي
 الدنيا أمامي .. وهي كل ما بقي لي في هذه الدنيا .. بلونها وبعيداً عنها
 أشعر أنني أنا اليتيم .. هي ابنتي وصديقتي وأمي وحبيبتي ، وهي كل شيء
 في حياتي وكل آمالي الدنيا بالنسبة إلي ..
 يا رب إحميها واحرسها حتى أعود إليها ..

أخبار

الحرب

صباح اليوم : الصحف الإنجليزية كل يوم تردد نفس الكلام
 القديم عن سقوط الجبهة السورية وخروجها من القتال ، لكنها لا تسقط
 ولا تخرج من القتال .. وكل يوم تقول أن القوات الإسرائيلية في طريقها
 إلى دمشق ، لكنها لا تصل أبداً إلى دمشق ..
 على العموم ، أصبحت أقرأ الصحف الإنجليزية بلا اهتمام كأن
 ما تقوله لا يعني ، لأنه غير دقيق وغير صحيح ..

وزنت

نفسى

اليوم فاكشفت أننى « خسيت » ١٠ كيلوجرامات كاملة منذ وصولى إلى لندن من نحو ٤ شهور .. الأكل الإنجليزى الخفيف « العيئات » + العمل المرهق جداً ذهنياً وبدنياً + التوتر العصبى الشديد الذى نعانيه بسبب الحرب الدائرة فى بلدنا + مجيء رمضان بأكله علينا ونحن هنا .. قلبى على البنات « سوسن » و « بيسة » و « منى » .. فهن « عصافير » أصلاً ومش ناقصين ، ولو نقصت الواحدة منهن ١٥ درهماً لأصيبت بهبوط ووقعت من طولها . .

البنات

المصريات

هنا فى الفندق : « سوسن » و « سناء » و « بيسة » و « نورا » و « منى » ، يتنمرن ويستأسدن إذا حاول أحد من زملائنا الإنجليز العاملين فى الفندق أو أحد رجال أمن مطار « هيثرو » الذين يقيمون هنا ، أن يمس مصر من قريب أو بعيد فى موضوع الحرب .. تتفتح فيه البنات كالأسود والضباع بلغتهن الإنجليزية الركيكة فيفرعنه ويرعبنه . فيهرب من مناقشتهن .. حتى كف الإنجليز فى النهاية عن مناقشتنا فى موضوع الحرب ، أو على الأقل أصبحوا يسألوننا عن أخبار الحرب بلطف وبأدب ويتعاطف . .

تصورت أو أن الدولة فى مصر عندنا قد قررت على كل طالب مصرى خارج من مصر فى أجازة الصيف أن يقرأ كتاباً معيناً أو كتابين باللغة الإنجليزية — أو حتى العربية — يشمل كل الموضوعات الممكن أن يفتحها معه صديق أجنبى ويناقشه فيها .. إذا كان الطالب يمتحن فى ١٠ أو ١٥ مادة وفى ١٠٠ كتاب لكى « مجرد ينتقل » من سنة دراسية إلى سنة دراسية

أعلى . أفلا يحق لنا أن نمتحنه في كتاب واحد فقط إذا أراد أن يخرج إلى خارج مصر سفيراً ومثلاً لنا سوف يلتقي هنا بالشعب الحقيقي الذي يريد أن يعرف وليس لديه مانع من أن يعرف؟! . . البنات هنا بمعاوناتهن السطحية المحدودة غير الدقيقة وغير الواضحة — حتى لهن أنفسهن — في أغلب الأحيان . لكن بحماسهن المتدفق كن يدفعن الإنجليز أو الأجانب إلى الحرب من المناقشة . فكيف أو استطعنا أن نستفيد من وجود المصريين في الخارج لكسب أصدقاء جدد متفهمين نشاكلنا وقضايانا . أو على الأقل لنجعلهم يعرفون عنها الصورة السايمة الصحيحة الصادقة . .

بمجرد رأى ، فهل من منفذ؟! . .

وجاء

يوم

عودة البنات إلى مصر عن طريق ليبيا . . وهنا كلمة لا بد وأن يقال ، خصوصاً في « ظروف حرب » كهذه . . فإذا كنت قد قرأت وأنا هنا في لندن بأنه قد صدر في مصر قرار جمهوري بوجوب تسهيل عودة المصريين الموجودين في الخارج بأي شكل ، حتى دون أن يدفعوا ثمن تذاكر عودتهم على الطائرات المصرية . . وإذا كانت مؤسسة مصر للطيران قد كلفت نفسها عبء نقل تذاكر المصريين الذين كانت لديهم تذاكر عودة إلى مصر على شركات طيران أخرى . . وإذا كانت قد كلفت نفسها نفقات تسيير أوتوبيسات واستئجار سفن وبواخر تحمل المصريين العائدين من أوروبا عن طريق مطارات ليبيا . . فلا يمكن أن تكون الصورة في مصر للطيران في القاهرة هكذا ، ثم تكون الصورة مختلفة تماماً في مصر للطيران في لندن ، ويتحول مكتب مصر للطيران في مطار لندن إلى دكان « عم عبده الفراجي » لصاحبه الحاج عبد الشكور — رجل مصر للطيران هنا — الذي حول مكتب الشركة

هنا إلى عزبة خاصة يذلّ فيها من يشاء ويعزّ من يشاء ويمنح الرضا السامى الكريم لمن يشاء ويمنعه عن من يشاء.. ولا يمكن أبداً أن أتصور أن الولد المصرى فى الجامعة الممتلئ بالحماس للعودة إلى مصر فى ظروف الحرب هذه . لا يمكن أن أتصور أن أصفهه فى مطار لندن بهذه الصورة ، حين يرى شنت وحقائب معالى « الوزير السابق » تدخل إلى الطائرة المصرية دون أن توزن ودون أن تحصل عنها قيمة الزيادة فى الوزن . بينما يعصّلج الحاج عبد الشكور مع « الطلبة » فى عدد من الكيلوجرامات الزائدة فى وزن حقائبهم . ويصرّ على أن « يتركوها » وراءهم على أرض مطار لندن إذا أرادوا أن يركبوا طائرته الملاكى التى تعمل لحسابه . . ثم يتحول الأمر إلى مساومة . ومساومة غير منطقية ولا عادلة : حين يرى الطالب أن زميلاً له معه ١٥ كيلو جراماً زيادة فى الوزن يدفع عنها ٣ جنيهات . بينما آخر معه ١٠ كيلو جرامات فقط يرغبه الحاج عبد الشكور على أن يدفع عنها ١٥ جنيهًا وإلا ترك حقائبه على أرض المطار أو لا يركب هو نفسه الطائرة واللى يتفلق يتفلق و : « ابقوا روحوا اشتكوا فى مصر . . أنا عارف كويس أوى أنا باعمل إيه » ! ! . كل ذلك يحدث ومكاتب شركة « العال » الإسرائيلية فى مطار لندن فى مواجهة مكتب مصر للطيران مباشرة على بعد ٣ أمتار فقط هى عرض الممر بيننا وبينهم . . ويقف الإسرائيليون العائدون إلى إسرائيل على طائرات « العال » يضحكون على المعاملة التى يعاملها الحاج عبد الشكور للمصريين العائدين إلى مصر على طائرات « عبد الشكور للطيران » ! !

أعيش

الآن

أيامى الأخيرة فى لندن . . سوف تظل هذه الرحلة كلها تحيا فى وجدانى وقتاً طويلاً . . فهذه هى المرة الأولى التى أتعامل فيها مع

أوروبا من القاع . . وأعاشر وأخالط الناس العاديين البسطاء . انصريحين الواضحين في صداقتهم وفي عداوتهم . . إكتسبت في هذه الرحلة أشياء كثيرة تتفاعل في داخلي الآن . وأتصور أن كل طالب مصرى يحىء إلى أوروبا في أجازة الصيف يكتسب هذا النوع من الخبرات والإتفاعلات . . ورأيت أمام عيني قلبين مصريين شابين يتفتحان لحب رقيق نظيف كنت أنا نفسى سعيداً به جداً . وأتصور أيضاً أن هذه الرحلة سوف تظل حية في ذاكرة هذين القلبين إلى الأبد . وسوف تظل ذكرياتهما - وذكرياتهما - زاداً دائماً لهما ودليلاً على أن الحب ممكن أن يوجد وينمو في أى وقت وأى زمان وأى مكان ، حتى لو فرقت بينهما الأيام بعد ذلك - كما أتوقع من الآن - نظراً للإختلاف الشديد في ظروفهما الإجتماعية !!
منهم لله . فكرونى بالذى مضى ! ! .

أخبار

الحرب

اختفت من الصفحات الأولى في معظم الصحف الإنجليزية بعد عشرة أيام من بدئها ، لكنها ظلت تحتل مكاناً بارزاً في صفحاتها الداخلية . .
لكن أخبار الحرب عادت من جديد إلى الصفحات الأولى في كل الصحف صباح اليوم ، بسبب الخطاب الذى ألقاه الرئيس « أنور السادات » أمس في مجلس الشعب المصرى وقال فيه أنه في الوقت الذى يفتح فيه الباب للسلام ، فإن العين بالعين والسن بالسن والموت بالموت ، وأن صواريخنا ((أرض - أرض)) موجهة الآن إلى مدن إسرائيل ، وأن إسرائيل لو أغارت علينا في العمق فسوف نرد عليها فوراً بضرب مدنها نحن أيضاً . .
واضح جداً من طريقة عرض الصحف الإنجليزية لخطاب الرئيس السادات أنهم مرعوبون جداً منه . . والحمد لله على كده ، واللهم زدهم رعباً وهلعاً . .

من أخبار الحرب اليوم أيضاً أن القوات العراقية قد انضمت إلى القوات السورية في جبهتها فدعمتها وجعلتها تسترد بعض المواقع من القوات الإسرائيلية . . . وتقول الصحف الإنجليزية إن الرئيس السادات أمر بأن تعلن نتائج الحرب كما هي أولاً بأول . صادقة تماماً بلا أى تغيير أو تبديل . الأخبار السيئة والأخبار الطيبة . يجاورها ومرها . . . وفي الصفحات الأولى للصحف الإنجليزية اليوم كذلك تحليل عسكري عن الصواريخ المصرية « الظافر » و « القاهرة » . . .

وفي المساء سمعت من « توني » البارمان الشاب المؤيد والمتحمس جداً للعرب في حربهم ضد إسرائيل . سمعت منه أن مصر قد أطلقت اليوم فعلاً صواريخها على القوات والأهداف الإسرائيلية . . . ياللا . . . خليها تطبل وتكركب وزى ما يحصل يحصل . . . ولو أن بيتى فى القاهرة سوف يكون أول بيت يروح فى رجلين محطة السكة الحديد الرئيسية فى ميدان رمسيس لأنه يجاورها مباشرة ! ! .

باقى

لى

أيام قليلة فى لندن قبل أن أعود إلى مصر . . الأصدقاء الإنجليز هنا يحاولون إقناعى بالبقاء فى إنجلترا حتى تنتهى الحرب ، ومندهشون جداً لإصرارى على العودة ، لكن مكافئ هناك فى بلدى مهما كانت الظروف . . فأنا مصرى ولست إنجليزياً . ولو كان الله قد أراد أن يخلقنى إنجليزياً لفعل ، لكن بما أنى ولدت مصرياً فإن مكافئ هناك فى مصر حتى لو كانت هى الجحيم المشتعل . . يكفى أن البنات اللاتي تبلغ الواحدة منهن نصف عمرى قد سبقننى فى العودة وسافرن إلى مصر منذ أسبوع كامل . فهل هن أكثر حباً لمصر منى أنا ؟! لا أظن ، أو على الأقل فنحن جميعاً نحب مصر بنفس القدر . هى بلدنا ووطننا وأرضنا وأمننا . كبرنا فيها وفى

شوارعها وجواربها . وتعلمنا في مدارسها ولحم أكتافنا من خيرها . ويجب أن نكون هناك جميعاً الآن : إذا انتصرنا فرحنا كلنا معاً ، وإذا غرقنا نغرق كلنا معاً . . مصر : بلدنا . . بلدنا . . وذلك يكفي . .

جاء

الليلة

« كيرون Keiron » : شاب إنجليزي صغير عمره ١٨ سنة . . جاء ليتسلم عمله في الفندق معنا كـ « پورتر » جديد ليحل محلي بعد سفرى بعد أيام قليلة . . المطلوب منى أن أقوم بتدريب « كيرون » وتعريفه بالعمل تعريفاً كاملاً خلال هذه الأيام القليلة . . هأنذا أرد الدّين : « ريتشارد برايان » و « تبنى مورجن » دربانى وعلمانى ، وأنا دربت « ريكمار » و « كيرون » ، والعجلة تدور . .

قرأت

اليوم

خبراً نشرته الصحف الإنجليزية كلها في صفحاتها الأولى ، جعلنى أشعر بالزهو كصحفى : « نيكولاس تومالين » المراسل الحربى لجريدة « تايمز » الإنجليزية مع القوات الإسرائيلية فى الجبهة السورية : لقي مصرعه أمس بصاروخ سورى إنقض على السيارة التى كان « نيكولاس » يقف إلى جوارها . . مات « نيكولاس » ونجا كل الذين كانوا « بداخل » السيارة التى نسفها الصاروخ السورى ! ! .

لم أشعر بالزهو لأن صاروخاً سورياً قتل صحفياً إنجليزياً ، إنما شعرت بالزهو لأن الناس تظن أن حياة الصحفى كلها حفلات كوكتيل وسهرات ونجوم سينما وحسناوات ومرتب مليون جنيه وسيارة شيك ومكتب فاخر بتكييف هواء وتليفونات حمراء وخضراء و « پايب » وقلم جبر شيفرز

أو يذكّر . . لكن ذلك أيضاً هو الجانب الآخر من حياة الباحثين عن المتاعب : ذاهب إلى الحرب ورايح يكتب عن الحرب يعنى رايح ميدان قتال مش ميدان العتبة . . مش رايح يهزر . وإنما رايح يقابل الحرب وجهاً لوجه كما يقابلها أى ضابط وأى جندي يمحارب . بكل ما فيها من مخاطر وقنابل ورمصاص وبارود كأي محارب . ويصاب ويموت ويستشهد وهو يحمل قلمه أو كاميرته كما يصاب ويموت ويستشهد أى محارب آخر يحمل بندقيّة أو مدفعاً رشاشاً . .

أعرف أن ٤٣٤ صحنياً ومصوراً قد استشهدوا في حرب فيتنام حتى نهاية العام الماضي . فلا نامت أعين الجبناء . .

وكأنما

أرادت

لندن أن تودعني وداعاً إنجليزياً . فقد شهدت الليلة ضباباً لم أر مثله في حياتي . . يكفي أن تفرد ذراعك أمامك حتى تضيع منك في الضباب . . ولو فردت الخطوة قليلاً لتاهت مني « مني » - جارتي في السكن وزميلتي في العمل - في الضباب . . للرجة أننا وقفنا على محطة الأوتوبيس فلم يرنا السائق ولم يتوقف عند المحطة . لأنه لا هو رأى إشارتنا ولا نحن أشرنا إليه أصلاً . لأننا نحن أيضاً لم نره . وإنما سمعنا فقط « صوته » وهو يعبر من أمامنا : كتلة ضباب كبيرة في كتلة ضباب أكبر . . ولم تستوقفه إلا صرخة « مني » بأعلى صوتها . فتوقف على بُعد قليل من المحطة ، انذهب إلى الفندق متأخرين عن موعدنا نحو ربع ساعة . .

أخبار

الحرب

على جبهة سيناء في الصحف الإنجليزية اليوم سيئة جداً : « إيثنج ستاندارد » نشرت صورة ! « دايان » ووراءه نخيل على اعتبار أنها قد صورت داخل مصر بشكل ما . . وتردد أن القوات الإسرائيلية قد استطاعت فتح ثغرة وسط الخطوط المصرية عبرت منها قناة السويس إلى ضفتها الغربية لتصبح خلف الخطوط المصرية داخل الصحراء الشرقية ، واحتلت مدينتي السويس والإسماعيلية ! !

تبقى كارثة لو كان ذلك صحيحاً واستطاعوا أن يصبوا إلى مصر في العمق ويحتلوا مدنها . . تبقى مصيبة ما بعدها مصيبة . . وتقول ال « دايلي ميرور » وال « صن » إن الدبابات الإسرائيلية قد توغلت في الأراضي المصرية في طريقها إلى القاهرة . . بينما تقول ال « دايلي ميل » وال « دايلي إكسبريس » أن مشروعاً للسلام ولإيقاف القتال مطروح للبحث ، وأن « كاسيجين » رئيس وزراء روسيا يتدخل لإنهاء الحرب . . وربنا يستر وتكون كل هذه الأخبار غير صحيحة كعادة الصحف الإنجليزية المغرضة المؤيدة لإسرائيل على طول الخط . . .

غريب

جداً

أمر مستر « هويكتر » هذا ، المدير المساعد للفندق . . بالرغم من أنه هو الذي أعطاني الفرصة ووافق على تعييني في الفندق لأقوم بكتابة القصة الصحفية التي أريدها ، إلا أنه من بعدها تجاهلني تماماً ، بل وتعامل معي أحياناً بكبرياء وغطرسة ، ورفض كل طلب طلبته منه بعد ذلك ! ! . . لست أدري لماذا ، لكن لعله فهم طريقتي في العمل -

كصحفى - خطأ . . لعله تصور أنى سوف أظل طول الوقت أجرى فى الفندق ممسكاً بأوراقى وأقلامى وكاميرتى وفلاشى وأصور الناس وأعمل معهم أحاديث صحفية؛ لكنى يعرف الزبائن أن هناك صحفياً يعمل فى الفندق، بليل أن كل الناس الذين هنا فى الفندق . مصريين وأجانب . عرفوا من قبل استلامى العمل بحكاية الصحفى المصرى الذى سوف يعمل فى الفندق ! . . أولعله ظن - من سكونى الطويل بعد استلامى العمل - أنى خدعته لكنى فقط أعمل فى الفندق دون أن « أفعل » شيئاً صحفياً . . ولا يدري أنى أراقب طول الوقت وألاحظ طول الوقت . وأكتب فقط « بعض » الوقت . .

مستر « هوبكتر » تجاهلنى اليوم تماماً وهو يعلم أنى لم يبق لى إلا أيام قليلة وأترك العمل فى الفندق عائداً إلى بلادى . حتى لم يخفى أو يقول لى مجرد صباح الخير . .
ولو أنى مدين له قطعاً . لكن : يتفلق ! ! .

بمجرد

أن تصل

صحف الصباح أترك كل شئ فى يدى مهما كان مهماً . لكنى أعرف أخبار الحرب فى وطنى . . فحتى لو كانت هذه الصحف متحيّزة ومعادية وتطلق علينا - على المصريين وعلى السوريين - إسم الأعداء ! كأننا نحاربهم هم شخصياً ولا نحارب إسرائيل ، إلا أنها على أى حال هى النافذة الوحيدة التى نطل منها على صورة الحرب مهما حاولت أن تبديها سيئة وبشعة بالنسبة إلينا .

أخبار الحرب فى صحف اليوم سيئة للغاية . . على حد كلام الصحف الإنجليزية فإن القوات الإسرائيلية قد انتهزت فرصة وجود مسافة أو فجوة أو ثغرة بين قوات الجيشين المصريين الثانى والثالث المتقدمين فى سيناء ،

فعبرت منها قناة السويس على كوبرى أو كبارى أقامتها . ونزلت إلى صحراء السويس والإسماعلية المصرية - وذلك ممكن عملياً فعلاً - لتحتل مدن القناة ثم تبدأ تشق طريقها إلى القاهرة العاصمة وتصبح على بعد ٤٥ ميلاً فقط منها . . . وأن معركة مهولة بالدبابات تكاد تشبه معارك ستالينجراد ومعارك كوربا تدور الآن فى الصحراء بين القوات الإسرائيلية « المتقدمة » والقوات المصرية التى « تدافع عن القاهرة » ! ! .

يارب استر . . فإذا كان الإسرائيليون قد استطاعوا أن يفعلوا ذلك فعلاً فالخطر كل الخطر يتهدد بلادى الآن ، وسوف يصبح شكنا - نحن المصريين الموجودين هنا فى لندن أو فى إنجلترا أو فى أوروبا عموماً - وحش جداً أمام وفى وسط الناس الشمتانين هنا فينا بلاهرر واضح . . وينبغى أن أعود إلى مصر فوراً حتى ولو سيراً على الأقدام . . قد لا أستطيع أن أفعل شيئاً . لكننى على أى حال يجب أن أكون هناك وأواجه كل الأخطار التى يواجهها بيتى وأهلى وأسرتى وأصدقائى ووطنى . . . مكافئ هناك حتى لو كنت سأضار أو سأصاب أو سأقتل . . فالضرر والموت فى وسط بلدى وفى وسط قومي وأهلى وناسى ولا السلامة والأمان والحياة هنا . .

يارب : بلدى

وفى

الصباح

سمعنا أن إطلاق النار سوف يتوقف فى الساعة السادسة من مساء اليوم . . وفى نشرة أخبار التليفزيون سمعنا أن إطلاق النار قد توقف فعلاً . . الشئ الوحيد الذى سوف يترتب على وقف إطلاق النار بالنسبة لى أنا شخصياً هو فتح مطار القاهرة . فأعود من لندن إلى القاهرة مباشرة دون الإحتياج إلى مشوار العودة عن طريق مطارات ليبيا . .

لكن من صبحف صباح اليوم التالى أعرف أن وقف إطلاق النار لم يستمر أكثر من ١٠ دقائق ثم استأنفت مصر الضرب مرة أخرى . . وقالت جريد الـ «تايمز» إن جنرالا مصرياً في جبهة سيناء فاتح نيران قواته على القوات الإسرائيلية بشكل جعل مراسل الـ «دايلي ميرور» يكتب أنه لأول مرة في حياته يشعر أن هذا هو الجحيم بعينه فعلاً !!! . والمراسلون عادة يكونون بعيدين - إلى حد ما - عن مركز المعركة الحقيقي . فما بالك بالذين يصلون نار هذا الجحيم فعلاً !!! . .

ياللا . . خلبهم يجربوا كيف يكون المحارب المصرى حين تتاح له فرصة حقيقية كاملة . .

ليلى

الأخيرة

في الفندق هنا وفي لندن كلها . . كنت متأثراً أشد التأثير وأنا أقوم بجولات الأمن الليلة في الواحدة والثالثة والخامسة صباحاً . . كان قلبي يعتصر وأنا أشعر أنني أرى هذا المكان للمرة الأخيرة: هذا الركن الذي لي فيه ذكريات وذكريات . . هذا الطريق الذي قطعتة مئات المرات جيئة وذهاباً وأنا أكاد أنشق من الملل والرتابة . أقطعه الليلة للمرة الأخيرة وكل عواطف مشحونة . . هنا عند الجانب الآخر من مكتبي كانت الرقيقة «سوسن» تهرب من الكافيتيريا لتقف أمامى ساعات طويلة تحكى لي حواديتها الطريفة طول الليل بطريقتها الطفولية الوادعة التي ظلت تصاحبها حتى بعد أن بلغت العشرين . . هنا في الجناح (H) مكاني «السرى» المفضل الذي كنت أهرب إليه لأختلس فيه لحظات راحة أريح فيها ظهري المكدود المتعب ، كنت أسمى هذا المكان «الخبأ» !! . هذا الباب في الجناح (G) الذي كنت أفتحه كل ليلة بعد سفر البنات لأطل منه عبر الشارع على الـ «تيودور هاوس» أو «بيت الشامبر ميلز» الذي كانت البنات يقمن

فيه والذي طالما أوصلت إليه « سوسن » و « ييسة » في الليالي المظلمة خوفاً عليهما من أن تتعرضا لما قد يمكن أن يحدث في ظلمات شوارع لندن الخطرة ليلاً . . هنا « ستاف كاتين » أو مطعم العاملين في الفندق الذي طالما سهرنا فيه نتعشى أو نتسحر ونحكى لبعض كل ما حدث لكل منا في يومه . و « سوسن » الطفلة الكبيرة الشقية تترك - بعد أن تشبع - جزءاً صغيراً جداً من الطعام في طبقها . حتى إذا ما جاءت رئيستها الأيرلندية الشمطاء « بيجي » مديرة الكافيتيريا استدعيها للعودة إلى العمل وجدتها لم تنته من عشايتها بعد!! . . هنا وهنا وهنا وهنا . . كل هذه الأماكن - وتكاد الدموع أن تطفر من عيني - بعد ساعات قليلة سوف تصبح مجرد ذكريات تفرق بيني وبينها آلاف الأميال . . كل هذه الأماكن لن أراها مرة أخرى بعد الليلة . . على الأقل لن أراها كـ « پورتر » . قد أراها يوماً ما كزبون أو كتزير في الفندق . . ولكن : هل سأجد في نفسي الشجاعة لأعود إلى هذا المكان مرة أخرى . وحدي . وأرى كل مواطن ذكر ياتي فيه دون أن تكون معي نفس المجدوعة التي كانت سعادتي بوجودها إلى جوارى في تلك الأيام ؟ ! . . وهل سأجد نفس الناس ونفس الوجوه ونفس الزملاء ما زالوا يعملون في الفندق ؟ ! . . من يدري . . وإن كنت شخصياً أتصور أنني سوف أنجبل من أن أعامل « زملائي القدامى » كزبون ولو بعد ٢٠ سنة !! . .

وعندما

أشارت

ساعة الحائط المعلقة على العمود المجاور لمكتبي إلى الثامنة صباحاً ، كانت مهمتي هنا في لندن قد انتهت تماماً ، وانتهى كذلك عملي كـ « پورتر » في فندق « سنتر إير پورت هوتيل » الذي استمر نحو ١٣ أسبوعاً ، وبالتحديد ثلاثة شهور وأربعة أيام . .

وعندما غادرت الفندق صباح اليوم. كنت أغادره لآخر مرة كموظف فيه . . وتركته خلف ظهري وأنا أنقل قدمي مبتعداً عنه يبطء وتثاقل : كأن شيئاً خفياً يربطني به ويجتذبي إلي

وعندما وقفت على محطة الأوتوبيس واستديرت لأواجه الفندق كله أمامي يملأ عيني . أغرورقت عيناى بالدموع ولم أتمالك نفسي وبكيت

□ حسين قدرى □

٢٥ يناير ١٩٧٤

□ كتب للمؤلف □

- رحلة إلى جزر الكناريا . .
- مذكرات شاب مصرى
- يغسل الأطباق فى لندن . .
- رحلة إلى دولة ترانزستور . .
- راكبان على السفينة . .
- رحلة إلى المحيط الأطلنطى . .
- مذكرات شاب مصرى
- يغسل الأطباق فى لندن . .
- دار المعارف — ١٩٧٣ .
- (الطبعة الأولى) — دار المعارف
- سلسلة إقرأ — ١٩٧٤ .
- دار الشعب — ١٩٧٤ .
- دار أخبار اليوم
- كتاب اليوم — ١٩٧٥ .
- (الطبعة الثانية)
- دار المعارف — ١٩٧٥ .

□ تحت الطبع □

- هو . . والذين كانوا معه . .
- لعبة الأيام . .
- تحقيق صحفى من الحياة . .
- أيام من حياتهم . .
- هروب إلى الفضاء . .
- كلام فى الحب . .
- صعلكة فى بيت . .
- القاهرة للمثاقفة الجديدة . .
- دار المعارف
- كتاب اليوم .
- دار الهلال — روايات الهلال
- بيروت .
- بيروت .

فهرس

الإهداء	٥
مقدمة	٦
الفصل الأول	٨ : القاهرة-لندن . سيراً على الأقدام .
الفصل الثاني	١٨ : عليوة يفرض شروطه على لندن .
الفصل الثالث	٣٣ : لو غاريتمات إنجليزية .
الفصل الرابع	٤٤ : دكتور : ماذا فعلت بأخيك؟! .
الفصل الخامس	٥٩ : هؤلاء الأولاد الهائفين وتصرفاتهم الطائشة .
الفصل السادس	٧١ : كيف تشتري لندن : بشلن!! .
الفصل السابع	٩٠ : معالي الوزير يغسل الصحون .
الفصل الثامن	١١٠ : الرعب يحتاج المدينة .
الفصل التاسع	١٢٥ : صاحبة الجلالة الطباخة .
الفصل العاشر	١٤٤ : القاهرة تغزو لندن .
الفصل الحادى عشر	١٦٧ : حكاية الغرفة رقم ١١٨ .
الفصل الثانى عشر	١٨٦ : فقط : إمتلك « عنواناً » .
الفصل الثالث عشر	٢٠٣ : جاك ماشاش فى روكاباك .
الفصل الرابع عشر	٢٢٤ : إنه عالم أهبل أهبل أهبل!! .
الفصل الخامس عشر	٢٤٥ : أو : خطاب حب إلى واحدة ما اعرفهاش .
الفصل السادس عشر	٢٦٤ : بنت سيئة السمعة .
الفصل السابع عشر	٢٨٣ : توت عنخ آمون . رئيس جمهورية .
الفصل الثامن عشر	٢٩٦ : الكتيبة الناعمة .. تحارب فى لندن .
الفصل التاسع عشر	٢٩٦ : بلياردو . . . أو : بين الحب والحرب .

تم إيداع

نـب والوثائق القومية

١٩٧٤

١٩٧٥ -

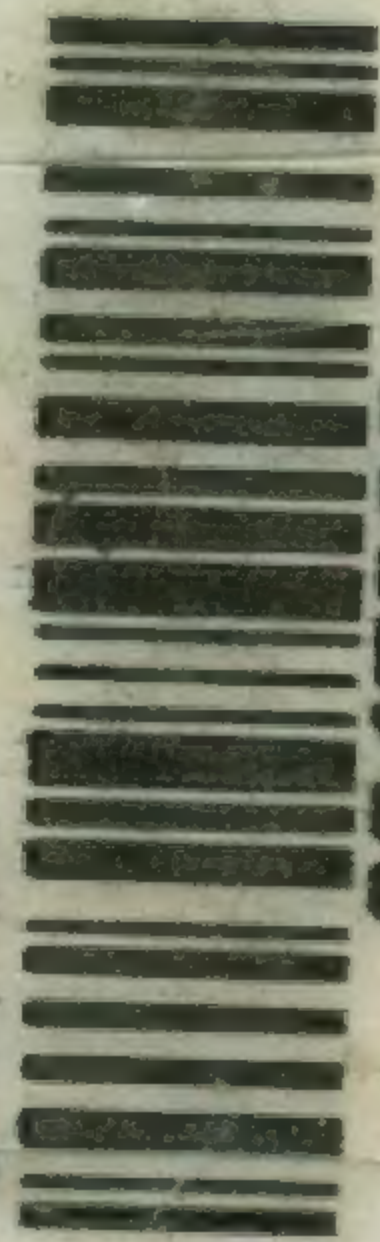
١

٤٠٤٤١١/٤

٢٥



Bibliotheca Alexandrina



0247862